

محمد بن فارس الجميل

أزواج النبي ﷺ

دراسة للعلاقة بين النبي ﷺ وأزواجه
«عرض ونقد للروايات»



Jadawel جداول

أزواج النبيﷺ

دراسة للعلاقة بين النبيﷺ وأزواجه

«عرض ونقد للروايات»

محمد بن فارس الجميل

أزواج النبي ﷺ

دراسة للعلاقة بين النبي ﷺ وأزواجه

«عرض ونقد للروايات»

Jadawel جداول

الكتاب: **أزواج النبي ﷺ.. دراسة للعلاقة بين النبي ﷺ وأزواجه**
«عرض ونقد للروايات»
المؤلف: **محمد بن فارس الجميل**

جداول
للنشر والترجمة والتوزيع
رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 - فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى: شباط/ فبراير 2014
الطبعة الثانية: أيار/ مايو 2016
ISBN 978-614-418-226-0

طبع في لبنان

Copyright © Jadawel S.A.R.L.
Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2014 Beirut
Second Published 2016 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

الفهرس

المقدمة

سبق للباحث أن كتب في جوانب متعددة من السيرة النبوية، خصوصًا الجوانب الاجتماعية منها وكان آخرها، بيوت النبي ﷺ وحجراتها[1]، لذلك فقد رأى أن يتوّج دراساته السابقة بهذه الدراسة التي تتناول بعض الجوانب المتصلة بزوجات النبي ﷺ ليتمكن أخيرًا من تقديم صورة شبه مكتملة عن حياة أزواج النبي ﷺ وعلاقتهن برسول اللّه ﷺ وعلاقتهن فيما بينهن.

إن هذه الدراسة تسعى في الجانب الأول منها للتعريف بأزواج النبي ﷺ من حيث النشأة، وظروف زواج النبي ﷺ بكل واحدة منهن، وهي تهدف في الوقت ذاته إلى التعرف على العلاقات المتداخلة فيما بين الزوجات أنفسهن ثم علاقتهن برسول اللّه ﷺ، هذا ما يختص بالجانب الأول من الدراسة.

---

(1) محمد بن فارس الجميل، بيوت النبي ﷺ وحجراتها: وصفة معيشته فيها «بيت عائشة أنموذجًا» (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1431هـ/ 2010م).

أما الجانب الثاني منها فهو يهدف إلى التعرف على ما قد يطرأ على العلاقات الزوجية بين النبيﷺ وزوجاته من أسباب الغيرة والتنافس على قلب الرسول الكريم.

وبطبيعة الحال، فإن هذه الدراسة ليست الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة، فلا زالت السيرة النبوية معينًا لا ينضب، يقصده الدارسون والباحثون حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

ومن الكتابات المتقدمة في هذا الميدان، كتاب: منتخب من كتاب أزواج النبيﷺ لمحمد بن الحسن بن زَبَالة (ت: 199هـ/ 814م)[1]. وكتاب أزواج النبيﷺ لهشام بن محمد الكلبي (ت: 204هـ/ 819م)[2] ولم يصل إلينا هذا الكتاب، ومن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، كتاب: أزواج النبيﷺ لمحمد بن عمر الواقدي (ت: 207هـ/ 822م)[3] وهذا الكتاب لم يصل إلينا كذلك، ولعل جزءًا كبيرًا منه وصل إلينا عن طريق محمد بن سعد كاتب الواقدي. وكتاب: تسمية أزواج النبيﷺ وأولاده، لأبي عُبيدة معمر بن المثنى البصري (ت: 209هـ/ 824م)[4] أما الكتاب الأخير من مؤلفات المتقدمين،

---

(1) محمد بن الحسن بن زَبَالة، منتخب من كتاب أزواج النبيﷺ، رواية الزبير ابن بكار، تحقيق أكرم ضياء العُمري (المدينة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، 1401هـ/ 1981م).

(2) انظر، محمد بن إسحاق النديم، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، الطبعة الثالثة (د: م، دار المسيرة، 1988م)، ص109.

(3) **النديم**، ص111.

(4) أبو عُبيدة معمر بن المثنى البصري، **تسمية أزواج النبي**ﷺ، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية (بيروت: دار الجنان، 1410هـ/ 1990م).

فهو لعلي ابن محمد المدائني (ت: 225هـ/ 839م) كتاب أزواج النبي ﷺ[1]، وللأسف أن هذا الكتاب لم يصل إلينا كذلك.

أما الكتابات المعاصرة باللغات الأجنبية بشأن النبي ﷺ وأزواجه فيصعب حصرها، ولكن لعل من أشهرها، كتاب: عائشة محبوبة محمد، لمؤلفته نبيهة عبود[2]:

وكذلك كتاب: محمد في المدينة، لمؤلفه مونتغمري واط[3]

ناقشت نبيهة عبود في الفصل الأول من كتابها العلاقة الحميمة بين النبي ﷺ وزوجته عائشة وألقت أضواء كاشفة على تلك العلاقة، وفي الفصل الثاني من الكتاب تحدثت فيه نبيهة عبود عن انخراط عائشة بالشأن السياسي. وفي الوقت نفسه وفي ثنايا حديثها عن النبي ﷺ وعائشة لم تهمل الإشارة إلى أزواج النبي الأخريات وعلاقتهن بالرسول ﷺ، وكذلك اهتمام بعض نساء النبي ﷺ بالشأن السياسي وإن كان بدرجة أقل.

أما مونتغمري واط، فقد تحدث في جزء من كتابه عن أزواج النبي ﷺ وظروف زواجه بكل واحدة منهن حديثًا مستفيضًا. أما الكتَّاب المحدثون من عرب ومسلمين، فيضيق المقام بتتبع ما كتبوه عن النبي ﷺ وأزواجه.

---

(1) النديم، ص114.

(2) Nabia Abbott, Aishah, The Beloved of Mohammed, The University of Chicago press, 1942.

(3) W. Montgomery Watt, Muhammad at Medina, Oxford Press, 1956.

الأمر الذي يجب التنبيه إليه هنا، هو أن المقصود بأزواج النبي ﷺ هن النساء اللائي توفي عنهن وهن في عصمته:

(1) سودة بنت زمعة، (2) عائشة بنت أبي بكر، (3) حفصة بنت عمر، (4) أم سلمة المخزومية. (5) جويرية بنت الحارث،(6) زينب بنت جحش،(7) صفية بنت حُييٍّ، (8) أم حبيبة بنت أبي سفيان، (9) ميمونة بنت الحارث.

ومما قد يلحظه القارئ أن الدراسة اعتمدت في الكثير من أخبارها على مرويات ابن سعد عن شيخه الواقدي، إضافة إلى مرويات ابن سعد نفسه عن رواة آخرين، واستعانت الدراسة كذلك بما جاء عند ابن زَبَالة وكذلك عند أبي عبيدة معمر بن المثنى، فهؤلاء يقدمون معلومات عن أزواج النبي ﷺ لا توجد أحيانًا عند الواقدي أو تلميذه ابن سعد، وكذلك فقد تمّ الرجوع لابن عبد البر، في كتابه الاستيعاب، حيث يقدم أحيانًا معلومات مفصلة لا توجد عند من سبقه من المهتمين بهذا الشأن.

وكذلك فقد رجع الباحث في كثير من الحالات إلى مصادر الحديث النبوي الشريف حيث أمكن فهم بعض الإشكالات في ضوء ما تقدمه من معلومات، تكون مفقودة أحيانًا عند المؤرخين.

إنني أُقدم هذه الدراسة التي بذلت جهدي فيها وأنا على يقين بأن فيها كثير من أوجه القصور، والشفيع في ذلك ما أحسبه لدى القارئ من لطف الفهم وتقدير طبيعة الدراسة.

كما لا يفوتني في الختام أن أوجه الشكر الجزيل وعظيم الامتنان للأخوة الزملاء الذين تفضلوا بقراءة هذه الدراسة وقدموا الكثير من

النصح والتوجيه، وهم: الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، والأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد السيف، والدكتور عمر بن سليمان العقيلي، والدكتور عبدالله بن محمد المنيف. فلهم من الله جزيل الأجر والمثوبة.

- 1 -

سودة بنت زمعة

هي سودة بنت زمعة بن عبد شمس، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو، من بني النجار من الأنصار[1] تزوجها السكران بن عمرو، أخو سُهيل بن عمرو، وهي بكر، فهاجر إلى الحبشة وهي معه، ثم قدما مكة، فمات عنها فتزوجها رسول اللَّه ﷺ[2] وكان زواجه منها بعد وفاة السيدة خديجة وهي أول أزواج النبي ﷺ وفق هذه الدراسة. فقد جاء عند ابن سعد بسنده، أن خولة بنت حكيم السلمية[3]، زوج عثمان بن مظعون، أتت إلى رسول اللَّه ﷺ بعد وفاة خديجة، وعرضت عليه الزواج من سودة بنت زمعة، واقترحت عليه في الوقت نفسه الزواج من عائشة

---

(1) محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، د. ت)، 8/ 52.

(2) محمد بن إسحاق، **السِّير والمغازي**، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر، 1398هـ/ 1978م)، ص255؛ وانظر حول هجرة سودة وزوجها إلى الحبشة، عبدالملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، الطبعة الثانية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ/ 1997م)، 1/ 366.

(3) خولة: هي خولة بنت حكيم السُّلمية، كانت تخدم النبي ﷺ، وتزوجها عثمان بن مظعون، فمات عنها. ابن سعد، 8/158.

بنت أبي بكر[1]. فبنى بسودة بمكة في السنة العاشرة من النبوة، وهاجر بها إلى المدينة[2]. وقيل في السنة الثامنة[3]. وحسب بعض الروايات فقد سبق زواج سودة من رسول اللَّه ﷺ إرهاصات ورؤى، فقد ذكر هشام بن محمد الكلبي (ت: 204هـ/ 819م) بسنده عن ابن عباس. الرواية التالية: قال: «كانت سودة بنت زمعة عند السكران بن عمرو أخي سُهيل بن عمرو، فرأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطأ على عنقها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك رسول اللَّه ﷺ. فقالت: حَجرًا وسِترًا. وقال ابن هشام: الحجر تنفي عن نفسها ذلك. ثم رأت في ليلة أخرى أن قمرًا انقضّ عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها فقال: لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلّا يسيرًا حتى أموت وتزوجين من بعدي. فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث قليلًا حتى مات وتزوجها رسول اللَّه ﷺ»[4]، ومما تجدر الإشارة إليه أن رواية سودة عن رؤيا منامها لا

---

(1) ابن سعد، 8/ 57.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 53؛ وقارن أحمد بن يحيى البلاذري، حيث ذكر أن رسول اللَّه ﷺ تزوج من سودة قبل الهجرة بأشهر، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد اللَّه، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، 1/ 407؛ وانظر محمد بن محمد ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، 20/ 300؛ وجاء في مصدر آخر أن رسول اللَّه ﷺ تزوج سودة قبل الهجرة بأربع سنين، انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، ص ص53ـ54.

(3) ابن سيد الناس، 2/ 300.

(4) انظر ابن سعد، 8/ 56ـ57؛ وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407؛ محمد بن حبيب، **المُحَبّر**، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د. ت)، ص ص79ـ80.

يوجد لها صدى لدى المحدثين. ولكن بعض الروايات تلقي بظلال من الشكوك حول عودة السكران بن عمرو من الحبشة. فالبلاذري (ت: 279هـ/ 892م). مثلًا يقدم روايتين عن هجرة السكران بن عمرو، ذكر في روايته الأولى أن السكران هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته سودة بنت زمعة، ويقال إنه هاجر في المرتين جميعًا، ثم إنه قدم مكة فمات بها قبل الهجرة، فدفنه رسول اللّٰه ﷺ وخلف بعده على سودة وذلك الثبت[1].

وجاء في روايته الثانية نقلًا عن رواة آخرين ذكر منهم أبو عُبيدة معمر بن المثنى أن السكران قدم مكة، ثم رجع إلى الحبشة مرتدًا أو متنصرًا، فمات بها، ثم يعلق على ذلك بالقول: «والخبر الأول أصحّ وأثبت»[2].

أما رواية المصعب الزبيري (ت: 236هـ/ 850م) حول هجرة السكران إلى الحبشة فهي لا تخلو من غموض، فقد ذكر أن السكران مات مهاجرًا بأرض الحبشة[3].

ويظهر أن ابن حزم (ت: 456هـ/ 1063م) قد نقل عن المصعب الزبيري، الرواية نفسها، حيث قال: والسكران بن عمرو، مات مهاجرًا بأرض الحبشة[4].

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 219.

(2) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

(3) المصعب بن عبداللّٰه الزبيري، **كتاب نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص419.

(4) علي بن أحمد بن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، الطبعة الثالثة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م)، ص166.

وربما أن أمر السكران بن عمرو وهجرته إلى الحبشة قد اشتبه على الطبري (ت: 310هـ/ 922م) حيث جاء في روايته عن زواج النبي ﷺ من سودة بنت زمعة. قوله: كان زوجها قبل النبي ﷺ السكران بن عمرو وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصر ومات بها[1]. وفي حديث ابن الأثير (ت: 630هـ/ 1232م) عن هجرة السكران بن عمرو إلى الحبشة هو وزوجه سودة، ذكر أن السكران توفي هناك، نقلًا عن موسى بن عقبة وأبي معشر والزبير[2].

وفي ضوء هذا اللبس والغموض بخصوص هجرة السكران، وعودته من عدمها أو ردته وتنصره، فإنه ليس من المستبعد أن بعض المؤرخين الذين أُشير إلى رواياتهم هنا قد اشتبه عليهم الأمر بين هجرة عُبيد اللّٰه بن جحش وردته وتنصره وهجرة السكران، لذلك حدث الإشكال. والذي يترجح هنا أن السكران بن عمرو وزوجه سودة بنت زمعة قد هاجرا إلى الحبشة، ثم عادا إلى مكة، وتوفي السكران بمكة مسلمًا، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة[3].

وكذلك الشأن في أمر من تولى تزويج سودة من رسول اللّٰه ﷺ إذ إنه

(1) محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، 3/ 161؛ وانظر علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق كارلوس جوهانس تورنبرج «نسخة مصورة» (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د. ت)، 2/ 307.

(2) علي بن محمد بن الأثير، **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا (بيروت: دار المعرفة، 1418هـ)، 2/ 344.

(3) انظر ابن إسحاق، ص255؛ ابن سعد، 8/ 52؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 219.

لا يخلو من إشكال! حيث إن الروايات لا تكاد تتفق على إجابة واحدة. فقد جاء عند ابن هشام (ت: 218هـ/ 833م) أن الذي زوّج رسول اللَّه ﷺ من سودة هو: سليط بن عمرو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو [كذا][1]. وفي السياق نفسه يذكر ابن هشام أن ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، ويذكر أن سليطًا، وأبا حاطب، كانا غائبين بأرض الحبشة[2].

وهذه الملاحظة التي نقلها ابن هشام عن ابن إسحاق حول سليط وأبي حاطب جديرة بالنظر. لأنه يوجد روايات أخر تصرف أمر ولاية زواج سودة من رسول اللَّه ﷺ إلى آخرين!. فقد ذكر الواقدي بسنده عن مخرمة بن بُكير عن أبيه: أن رسول اللَّه ﷺ أرسل إلى سودة بعد أن حَلّت، فخطبها، فقالت: أمري إليك. فقال: «مُري رجلًا من قومك يزوجك» فأمرت حاطب بن عمرو، فزوجها من رسول اللَّه ﷺ[3]. ولكن الإشكال الذي يعترض هذه الرواية، هو ما ذكره ابن إسحاق وهو أن حاطب بن عمرو كان في الحبشة حينذاك[4].

وجاء عند البلاذري رواية، تفيد أن من تولى أمر زواج سودة من رسول اللَّه ﷺ هو حاطب بن عمرو. ثم أضاف قائلًا: ويقال: أبوها. أي هو الذي تولى أمر تزويجها من رسول اللَّه ﷺ[5]. ولعل ما يزيد

---

(1) ابن هشام، 4/ 301.

(2) ابن هشام، 4/ 301. يلاحظ أن سليط بن عمرو وأبا حاطب بن عمرو هما: أخوا السكران بن عمرو وسُهيل بن عمرو، وهم جميعًا أبناء عم سودة بنت زمعة. انظر، المصعب الزبيري، ص ص417ـ420.

(3) انظر ابن سعد، 8/ 53.

(4) ابن هشام، 4/ 301.

(5) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407.

الأمر التباسًا هو ما ذكره ابن حِبَّان (ت: 354هـ/ 965م) حيث قال: إن من تولى أمر تزويج سودة من رسول اللَّه ﷺ هو عمها وقدان بن عبد شمس[1]. وتبقى هذه الرواية محوطة بالشك إذ إنها جاءت عند ابن حِبّان دون سند. وابن حبان في الوقت نفسه هو الوحيد من المؤرخين الذي أسند أمر زواج رسول اللَّه ﷺ من سودة إلى عمها وقدان!.

ومما يقلل من قيمة رواية ابن حِبَّان، هو رواية الطبري، حيث ذكر بسنده عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب[2]، عن عائشة أم المؤمنين في حديث طويل حول قصة زواجها من رسول اللَّه ﷺ وزواجه من سودة بنت زمعة، قالت: «... ثم خَرجتُ ـأي خولة بنت حكيمـ فدخلتُ على سودة، فقلتُ: أي سَوْدة، ماذا أدخل اللَّه عليك من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول اللَّه ﷺ يخطبك عليه، قالت: فقالت: وددتُ! أُدخلي على أبي فاذكري له ذلك، قالت: وهو شيخ كبير قد تخلّف عن الحج، فدخلتُ عليه فحييته بتحية أهل الجاهلية، ثم قلتُ: إن محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب، أرسلني أخطب عليه سَوْدة، قال: كُفْء كريم. فماذا تقول صاحبته؟ قالت: تحب ذلك. قال:

---

(1) محمد بن حِبّان البُستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق السيد عزيز بك وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ/ 1987م)، ص404.

(2) يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، روى عن أبيه وأسامة وحسان بن ثابت وعائشة، وروى عنه جماعة، يُعدُّ من محدثي المدينة، وكان ثقة كثير الحديث. ولد في خلافة عثمان بن عفان، ومات سنة 104هـ. انظر أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1417هـ/ 1996م)، 6/ 154ـ155 (ت: 8869).

ادعيها إليّ. فدعيتُها له . فقال: أيْ، سَوْدَةَ زعمَتْ هذه أن محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب أرسل يخطبك وهو كفء كريم. أتحبين أن أزوجكه؟ قالت: نعم. قال: فادعيه لي. فدعته فجاء فزوّجه...»[1]. وقد ذكر أحد الدارسين أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بسَوْدَةَ وقد بلغت الخامسة والخمسين من العمر، وهو قول يصعب تصديقه[2].

إذا أمكن الجمع بين رواية البلاذري، التي يذكر فيها: ويقال: إن من تولى تزويج رسول اللَّه ﷺ من سَوْدة أبوها[3]. ورواية عائشة التي رواها عنها يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، التي تؤكد فيها أن من تولى تزويج سَوْدة من رسول اللَّه ﷺ هو أبوها زمعة[4]. فإنه يترجح لدى الباحث أن زواج رسول اللَّه ﷺ من سَوْدة، كان بالاتفاق المباشر بين الرسول ﷺ ووالد سَوْدة زمعة بن قيس. وهذا يعني استبعاد أي جهد في هذا الزواج لأي من أبناء عمها سليط بن عمرو أو حاطب بن عمرو والمشار إليه أحيانًا بأبي حاطب، وذلك لأن كلا الرجلين كانا في الحبشة حين زواج رسول اللَّه ﷺ من سودة حسب ما جاء عند ابن هشام منسوبًا إلى ابن إسحاق[5].

أما بخصوص الصداق؛ فقد جاء عند ابن هشام أن رسول اللَّه ﷺ

---

(1) الطبري، 3/ 163ـ162.

(2) انظر: عمر أحمد زكريا، **حياة النبي ﷺ في بيته** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2011م)، ص158.

(3) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407.

(4) الطبري، 3/ 163.

(5) انظر ابن هشام، 4/ 301.

أصدقها أربع مئة درهم[1]. ومقدار هذا الصداق فيه خلاف، حيث إن من المعروف، أن صداق رسول اللَّه ﷺ لأزواجه، اثنتا عشرة أوقية ونشًّا[2]. ومما يدعو للغرابة؛ أن عبد بن زمعة؛ أخا سَوْدَةَ لما علم بزواجها من رسول اللَّه ﷺ وكان غائبًا، حثا على رأسه التراب جزعًا من ذلك الزواج. ولكنه عندما أسلم ندم على فعلته، وقال: إني لسفيه يوم أحثي على رأسي التراب أن تزوج رسول اللَّه ﷺ سَوْدَةَ بنت زمعة؟[3].

وبعد أن بنى رسول اللَّه ﷺ بسَوْدَةَ أصبحت راعية بيته والمدبرة له، إذ كان في بيت رسول اللَّه ﷺ ابنتاه: أُم كلثوم وفاطمة. وربما أن وجود البنات بعد خلو البيت من والدتهن الأثيرة، خديجة بنت خويلد؛ هو الذي دفع رسول اللَّه ﷺ إلى الزواج من امرأة مسنة مثل سَوْدَة. حيث إن سدَّ مثل هذا الفراغ يحتاج إلى سيدة ذات تجربة وحكمة لإرضاء رغبة الزوج، وحسن التعامل مع بناته. وبعد مضي أكثر من سنتين على هذا الزواج المبارك، أي في السنة الثالثة عشرة من البعثة، هاجر رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة، تاركًا بمكة زوجه سَوْدَةَ وابنتيه[4]. وبعد أن أمضى رسول اللَّه ﷺ نحو سبعة أشهر في المدينة في ضيافة أبي أيوب الأنصاري[5]. وبعد أن أكمل بناء المسجد وبعض بيوته،

(1) ابن هشام، 4/ 301.

(2) انظر ابن سعد، 8/ 130؛ النش: نصف أوقية، والأوقية: أربعون درهمًا، والنش عشرون درهمًا. محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د. ت) 6/ 353، مادة «نشش».

(3) الطبري، 3/ 163.

(4) انظر أمر هجرة رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة عند ابن هشام، 2/ 99ـ107؛ ابن سعد، 1/ 227ـ237، 8/ 62ـ63.

(5) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كُليب من بني غنم من بني النجار، وأُمه =

أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمس مئة درهم إلى مكة، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم، وسَوْدَةَ بنت زمعة، وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن ومعها ابنها أُسامة بن زيد[1].

ولم تذكر المصادر أن سَوْدة أنجبت من السكران بن عمرو، ولكن وردت إشارة واحدة وشاذة عند ابن عبدالبَرّ (ت: 463هـ/ 1070م) أن للسكران بن عمرو من سَوْدَةَ بنت زمعة، ولدًا اسمه «عبداللَّه»[2]. وهذه الرواية فيها نظر حيث إن مصادر التراجم والأنساب التي أمكن الرجوع إليها لا تذكر شيئًا عن عبداللَّه بن السكران بن عمرو[3].

وبعد وصول زوج الرسول ﷺ وبناته إلى المدينة قادمين من مكة، أسكن سَوْدَةَ في أحد البيتين اللذين بناهما مع بناء المسجد في الجهة الشرقية منه[4]. والمصادر المتوافرة للبحث لا تذكر المعلومات

= زهراء بنت سعد بن قيس. وشهد أبو أيوب العقبة مع السبعين من الأنصار، وآخى رسول اللَّه بين أبي أيوب ومصعب بن عمير، ونزل رسول اللَّه في ضيافة أبي أيوب حين قدم مهاجرًا إلى المدينة وشهد أبو أيوب بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللَّه واستشهد أبو أيوب عند أسوار القسطنطينية في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، 3/ 484.

(1) ابن سعد، 1/ 237ـ238؛ زيد بن حارثة وأبو رافع هما موالي رسول اللَّه ﷺ: عن زيد بن حارثة، انظر ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 238ـ240 (ت: 1829هـ)؛ أبو رافع، انظر ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 4/ 441 (ت: 5874).

(2) يوسف بن عبداللَّه بن عبد البر النمري القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: مطبعة ومكتبة نهضة مصر، د. ت)، 4/ 1867 (ت: 3394).

(3) راجع المصعب الزبيري، ص219؛ ابن حزم، ص ص166ـ167.

(4) انظر ابن سعد، 8/ 63.

الضرورية عن حياة بنات رسول اللّه ﷺ مع سَوْدَةَ، زوج أبيهن! وهل عشنَ معها في بيت واحد أم خلاف ذلك؟

ومن طريف أخبار سَوْدَةَ، أنه بعد أن انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى (2هـ/ 623م) حيث كانت هزيمة موجعة لقريش، وجيء بالأسرى إلى المدينة، كان من بينهم سُهيل بن عمرو؛ أخو زوجها الراحل السكران بن عمرو وابن عمها. قالت سَوْدَةُ في خبر طويل مفاده: إنها كانت عند آل عفراء في مناحهم على عَوف ومُعَوذ ابني عفراء وذلك قبل أن يضرب الحجاب على نساء النبي ﷺ، فجاءها الخبر أنه قد أُتي بالأسرى، فعادت إلى بيتها؛ فوجدت سُهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. قالت: «فواللّه ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا مُتمُ كرامًا. فواللّه ما أنهبني [أنبهني؟] إلا قول رسول اللّه ﷺ من البيت: «يا سَوْدَةُ، أعلى اللّه ورسوله تحرضين؟» قالت: قلت: يا رسول اللّه، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت[1].

ولعل ما يدعو إلى التوقف أمام هذه الحادثة هو الموقف الإنساني الكريم من الرسول ﷺ تجاه سُهيل بن عمرو فالملاحظ هنا أنه لم يُسلم الأسير إلى أحد بيوت الأنصار أو المهاجرين بل أحضره إلى بيت زوجه سَوْدة بنت زمعة؛ لأن سَوْدةَ هي بنت عم سُهيل وسهيل

(1) ابن هشام، 2/ 256؛ محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة (بيروت: عالم الكتب، 1404هـ/ 1984م)، 1/ 118؛ وقارن سليمان ابن الأشعث السجستاني، **سُنن أبي داود**، تحقيق كمال يوسف الحوت (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1409هـ/ 1988م)، 2/ 63ـ64 (ح: 2680).

أخـو زوجها الراحـل: السكران بن عمرو، لذلك فهي أحق من يقوم برعايته والرفق به طيلة أسره!!

وموقف آخر مرتبط بغزوة بدر يدلل على عظمة النبي ﷺ وسمو أخلاقه وتعاليه على الإحن والأحقاد، فقد دخل بعض كبار بني مخزوم من أسرى بدر إلى بيت أم سلمة المخزومية. فلم تكلمهم، حتى وجدت رسول اللّه ﷺ في بيت عائشة، فقالت: «يا رسول اللّه، إن بني عمي طلبوا أن يُدخَل بهم عليّ فأضيفهم، وأدهن رؤوسهم، وألمّ من شعثهم، ولم أحبَّ أن أفعل ذلك حتى أستأمِرك فقال رسول اللّه ﷺ: لست أكره شيئًا من ذلك! فافعلي من ذلك ما بدا لك»[1]. ويلاحظ هنا أن رسول اللّه ﷺ يحترم رغبة أم سلمة، ويقبل شفاعتها في بني عمها من بني مخزوم، وهم من كبار كفار قريش، وهم من ناصبوه العداء وأعلنوا حربهم عليه، فيسمح لها بضيافتهم والإحسان إليهم!

وإذا ما تركت هذه المواقف الإنسانية من رسول اللّه ﷺ تجاه ألدّ أعدائه جانبًا، فإن سَوْدَةَ كانت من الناحية الإنسانية هي الأخرى، مشهورة بحب الخير والصدقة حتى أنه اشتبه الأمر على بعض الرواة، فخلطوا بينها وبين الزوجة الأخرى لرسول اللّه ﷺ ألا وهي زينب بنت جحش، وذلك في مجال حب الخير والإحسان والصدقة.

فقد جاء عن عائشة؛ أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن له: «أينا أسرع لحوقًا بك؟ قال: «أطولكن يدًا» فأخذوا قصبة يذرعونها [كذا]، فكانت

---

(1) الواقدي 1/ 118ـ119؛ هذه الرواية التي ذكرها الواقدي تستدعي التوقف حيث إن أم سلمة يوم بدر كانت بعصمة زوجها أبي سلمة، أي لم تكن قد تزوجت من رسول اللّه ﷺ، ولا يستبعد أنها جاءت تستأذن النبي ﷺ في استضافة بني عمها في بيت زوجها أبي سلمة.

سَوْدةُ أطولَهن يدًا، فعلمنا بعد، أن ما كان طول يدها في الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقًا به، وكانت تحب الصدقة»[1].

ربما نشأ الوهم لدى نساء النبي ﷺ حول طول اليد، لما لسودة من طول الجسم مما أدى إلى الظن بطول يدها، فقد قالت عائشة: «وكانت امرأة طويلة بائنة الطول»[2]، وكانت سَوْدةُ كثيرة الصدقة، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن أول نساء النبي ﷺ لحوقًا به، فقد سبقتها إلى ذلك زينب بنت جحش (ت: 20هـ/ 640م) وكانت هي الأخرى كثيرة الصدقة، وكما قال الواقدي: هذا الحديث وَهَلٌ [أي غلط] في سودة، وإنما هو في زينب بنت جحش، وهي كانت أول نساء رسول اللَّه ﷺ لحوقًا به[3].

ومن صفات سَوْدةَ بنت زمعة المحببة، دُعابتها، فقد وقفت ذات ليلة تصلي خلف رسول اللَّه ﷺ صلاة التهجد، فطال عليها الوقوف وفي صباح الغد، قالت لرسول اللَّه ﷺ: «صليت خلفك البارحة»، فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم، فضحك رسول اللَّه ﷺ، وكانت تضحكه أحيانًا بالشيء[4].

---

(1) انظر محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام للنشر، 1417هـ/ 1997م)، ص281 (ح: 1420)؛ أحمد بن شعيب النسائي، **سُنن النسائي**، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، تحقيق عبدالفتاح أبو غُدة، الطبعة الثالثة (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ/ 1988م)، 5/ 66ـ67 (ح: 2541).

(2) ابن سعد، 8/ 175.

(3) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 55؛ وانظر حول هذا الموضوع تعليق السيوطي والسندي في حواشي **سُنن النسائي**، 5/ 67ـ68.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 54.

ويظهر من إحدى الروايات أن سَوْدةَ، كانت ذات مهارة في صناعة الطيب، وأن بعض النساء ربما يأتينها لأجل ذلك[1]. ويظهر كذلك أن سَوْدةَ كانت تحسن صناعة دباغة الجلود، وخاصة الأديم الطائفي منها، ولا يستبعد أنها تتكسب من هذه الصنعة[2].

تقدمت السن بسَوْدةَ، وخشي الرسول ﷺ أن يبخسها بعض حقها في الحياة الزوجية، فهمّ بطلاقها، وقال لها «اعتدِّي» فقالت: يا رسول اللّه! ما بي حبّ الرجال، ولكني أُحب أن أُبعث في أزواجك. فراجعها رسول اللّه ﷺ[3] ووهبت سَوْدةَ يومها لعائشة، فكان رسول اللّه ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سَوْدةَ[4]. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾[5] الآية[6].

وجاء في إحدى الروايات ما يفيد بسلامة صدر سَوْدةَ، وحسن نيتها وسرعة تصديقها لما تسمع: «عن خُليسة جارية حفصة أن عائشة وحفصة، كانتا جالستين تتحدثان، فأقبلت سَوْدةُ زوج النبي ﷺ،

---

(1) عبداللّه بن عبدالرحمن الدارمي، **سُنن الدارمي**، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان للتراث، 1407هـ/ 1987م)، 2/ 196ـ197 (ح: 2215).

(2) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 266 (ت: 6881).

(3) ابن سعد، 8/ 53ـ54؛ وانظر الروايات المختلفة حول طلاق الرسول ﷺ لسَوْدةَ ومراجعتها في المصدر نفسه، 8/ 53ـ54؛ وانظر البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407.

(4) البخاري، ص1131 (ح: 5212) وقارن ص515 (ح: 593) في المصدر نفسه؛ أبو داود، 1/ 649 (ح: 2135).

(5) سورة النساء، الآية 128

(6) انظر: ابن سعد، 8/ 53.

فقالت إحداهما للأخرى: أما ترى سَوْدَةَ؟ ما أحسن حالها لنفسد عليها، وكانت من أحسنهن حالًا، وكانت تعمل الأديم الطائفي، فلمّا دنت منهما قالتا لها: يا سَوْدَةُ، أما شَعرتِ؟ قالت: وما ذلك؟ قالتا: خرج الأعور الدجال. ففزعت، وخرجت حتى دخلت خيمة لهم يوقدون فيها، وكأن في مآقيها زعفران. فأقبل النبي ﷺ فلمّا رأتاه استضحكتا، وجعلتا لا تستطيعان أن تكلماه. حتى أومأتا إليه. فذهب حتى وقف على باب الخيمة، فقالت: يا نبي اللَّه! خرج الدجال الأعور؟ فقال: «لا» فخرجت وجعلت تنفض عنها نسج العنكبوت»[1].

وفي السنة السابعة من الهجرة، أي بعد فتح خيبر، أطعم رسول اللَّه ﷺ سَوْدَةَ بخيبر ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا شعيرًا، ويقال قمحًا[2]. وفي السنة العاشرة من الهجرة، حج رسول اللَّه ﷺ بنسائه، وهي حجة الوداع، وكانت سودة بنت زمعة ، من بين من حج مع رسول اللَّه ﷺ[3].

وفي رواية لعائشة أن سَوْدَةَ استأذنت رسول اللَّه ﷺ ليلة المزدلفة، أن تدفع قبله، وقبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة ـ أي ثقيلة ـ، فأذن لها رسول اللَّه ﷺ[4]. وكأن عائشة غبطت سَوْدَةَ على استئذانها رسول اللَّه ﷺ على التقدم في الإفاضة من مزدلفة قبل الناس، فقالت: وددت

---

(1) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 266 (ت: 6881).

(2) ابن سعد، 8/ 56، والوسق ستون صاعًا، انظر ابن منظور، 10/ 378ـ379. مادة «وسق».

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 55.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 56؛ النسائي، 5/ 262 (ح: 3037).

أني كنت استأذنت رسول اللّه ﷺ، كما استأذنته سَوْدةُ فأصلي الصبح بمنى قبل أن يجيء الناس[1].

وكانت سَوْدةُ حريصة كل الحرص على التقيد بوصية رسول اللّه ﷺ فبعد حجه بنسائه حجة الوداع، قال لهن: «هذه الحجة ثم ظهور الحُصُر»[2]. أي بعد هذه الحجة إلْزَمْنَ بيوتكن. قال أبو هريرة: وكانت كل نساء النبي ﷺ يحججن إلّا سَوْدة بنت زمعة وزينب بنت جحش[3]. وقالت سَوْدةُ: «حججت واعتمرت فأنا أقرُّ في بيتي كما أمرني اللّه عز وجل»[4].

ويظهر من إحدى الروايات أن سَوْدةَ كانت شديدة الزهد، عازفة عن ماديات الحياة، فقد بعث لها عمر بن الخطاب، بغرارة[5] من دراهم فتساءلت متعجبة ومستنكرة: «ما هذه!؟» قالوا: دراهم. قالت: في غرارة مثل التمر! يا جارية، بلغيني القنع[6]، ففرقتها[7].

ترملت سَوْدةُ بعد وفاة الرسول ﷺ وتقدمت بها السن وثقل

---

(1) ابن سعد، 8/ 56.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 55.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 55.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 55.

(5) الغرارة: الجوالق، واحدة الغرائر، التي للتبن، ويظهر أن الاسم معربًا، ابن منظور، 5/ 18، مادة «غرر» وانظر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1989م)، ص579.

(6) القنع: القنْعُ والقِناعُ: الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام، وقيل:القنع: الطبق الذي تؤكل فيه الفاكهة وغيرها. ابن منظور، 8/ 301، مادة «قنع».

(7) ابن سعد، 8/ 56.

سمعها[1]. واختلف في وقت وفاتها، فقيل توفيت سنة 23هـ وصلى عليها عمر بن الخطاب[2]، وقيل توفيت في خلافة عثمان بن عفان[3]، وقيل توفيت في شوال سنة 54هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان[4].

وبعد وفاة سَوْدةَ، ظلت عائشة تذكرها بكل خير، وتثني عليها جميل الثناء، فكانت تقول: «ما من الناس امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها أي (جلدها) من سَوْدةَ بنت زمعة، إلّا أنها امرأة فيها حِدة»[5] أي إن سَوْدةَ سريعة الغضب والانفعال وكانت سَوْدةَ مقلة في الرواية عن النبي ﷺ فلم ترو عنه سوى خمسة أحاديث! [6] رحم اللّه أم المؤمنين سَوْدةَ وأسكنها فسيح جناته وألحقها بحبيبها رسول اللّه ﷺ.

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407.

(2) المصدر السابق نفسه، 1/ 407.

(3) المصدر السابق نفسه، 1/ 407ـ408.

(4) ابن سعد، 8/ 57؛ وجاء في رواية عند القسطلاني وربما هي الأرجح أن وفاة سودة كانت في آخر خلافة عمر بن الخطاب. انظر: أحمد بن محمد القسطلاني، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، تحقيق مأمون محيي الدين الجنان (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1996م)، 1/ 405.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 54.

(6) محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة (بيروت: دار الرسالة، 1413هـ/ 1993م)، 2/ 269؛ أكرم ضياء العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، الطبعة الأولى (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/ 1995م)، 2/ 649.

ـ 2 ـ

عائشة بنت أبي بكر

هي عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن تيم بن مُرة، وأمها أم رومان بنت عمير بن عامر من كنانة [1]. خطب رسول اللَّه ﷺ عائشة وهي صبية، فقال أبو بكر: أي رسول اللَّه، أيتزوج الرجل ابنة أخيه؟ فقال: «إنك أخي في ديني»، قال: فزّوجها إياه[2].

وكانت عائشة يوم خطبها رسول اللَّه ﷺ ابنة ست سنين، وذلك في شوال سنة عشر من النبوة، أي قبل الهجرة بثلاث سنين[3]. وكانت عائشة، فتاة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها «الحميراء» ولم يتزوج رسول اللَّه ﷺ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها[4].

ويبدو أن اختيار رسول اللَّه ﷺ لعائشة زوجًا له، لم يكن اعتباطًا،

---

(1) ابن سعد، 8/ 58.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 59.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 58؛ ابن زَبَالة، ص51؛ محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي؛ ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق عرفان عبدالقادر العشا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، 1418هـ/ 1997م)، 1/ 59.

(4) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 2/ 140.

ولم يكن رغبة شخصية خالصة، بل كان الزواج بناءً على رؤيا منام، فقد جاء عن ابن إسحاق رواية عن عائشة، أن رسول اللَّه ﷺ قال لها: «رأيتك في المنام مرتين، أرى أن رجلًا يحملك في سرقة حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف، فأراك فأقول إن كان هذا من عند اللَّه فلْيُمضِه»[1]. وجاء في رواية عند ابن سعد، أن جبريل جاء رسول اللّه بصورتها من السماء في حريرة، وقال: «تزوجها، فإنها امرأتك»[2].

وبعد بضعة أشهر من هجرة رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة، جاءت عائشة مع عائلة أبي بكر إلى المدينة مهاجرين من مكة. تقول عائشة: ثم إنّا قدمنا المدينة فنزلت مع عيال أبي بكر، ونزل آل رسول اللَّه ﷺ، ورسول اللّه يومئذ يبني المسجد وأبياتًا حول المسجد فأنزل فيها أهله[3].

وقد بدأ اهتمام أم رومان[4] والدة عائشة في إعداد ابنتها للزواج من رسول اللَّه ﷺ إذ قالت عائشة: كانت تعالجني تريد لتسمنني،

---

(1) ابن إسحاق، ص255؛ وقارن البخاري، ص ص797ـ798 (ح: 3895)؛ محمد ابن عيسى بن سورة الترمذي، **سُنن الترمذي**، تحقيق إبراهيم عطوه عوض (مصر: شركة مصطفى البابلي الحلبي، 1382هـ/ م)، 4/ 704 (ح: 3880)؛ وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 311، «سرقة حرير»: أي قطعة قماش من الحرير.

(2) الترمذي، 5/ 704 (ح: 3880)؛ ابن سعد، 8/ 63؛ وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 411.

(3) ابن سعد، 8/ 63.

(4) أم رومان: بنت عامر بن عويمر الكنانية، امرأة أبي بكر الصديق، وهي أم عائشة وعبدالرحمن ولدي أبي بكر، وتوفيت في حياة الرسول ﷺ في ذي الحجة سنة ست من الهجرة، ابن الأثير، **أسد الغابة**، 5/ 446ـ447 (ت: 7451).

لتدخلني على رسول اللَّه ﷺ فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلت التمر بالقثاء[1]. ثم إن أم رومان والدة عائشة، أقدمت على خطوة أخرى من أجل إعداد عائشة للزواج المنتظر، حيث قالت عائشة: «تزوَّجني رسول اللَّه ﷺ وإني ألعبُ مع الجواري بالبنات ـ أي لُعبٌ على صور بنات ـ فما شعرت بذلك حتى حبستني أمي عن الخروج، فوقع في نفسي أني قد زُوجت، وما سألتها حتى أخبرتني ابتداءً[2].

ويبدو أن حبس عائشة عن الخروج لم يكن مستمرًّا إذ لا بد أنها كانت تخرج للعب مع لداتها في بعض الأحيان حيث إن الروايات اللاحقة ستكشف عن شيء من ذلك. أما بخصوص الوقت الذي تمّ فيه زفاف عائشة إلى الرسول ﷺ فقد اختلفت الروايات بشأنه، فقد ذكر ابن زَبَالة، أن رسول اللَّه ﷺ أعرس بعائشة على رأس ثمانية عشر شهرًا من مهاجره إلى المدينة في شوال[3]. وجاء عند ابن القيم الجوزية، أن رسول اللَّه ﷺ بنى بعائشة في شوال من السنة الأولى للهجرة[4]. وذكر ابن كثير أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بعائشة في شوال من السنة الثانية للهجرة[5].

كما أن ابن سيد الناس قد أشار إلى الاختلاف بخصوص السنة

---

(1) ابن إسحاق، ص255.

(2) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 410ـ 411.

(3) ابن زَبَالة، ص51.

(4) ابن قيم الجوزية، 1/ 59.

(5) إسماعيل بن كثير، **الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ**، تحقيق محمد السعد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة الأولى (دمشق: مؤسسة علوم القرآن، 1399هـ/ 1400م)، ص218.

والشهر اللذين تمّ فيهما زواج رسول اللّه ﷺ من عائشة؛ فقال: إن رسول اللّه ﷺ أعرس بعائشة على رأس ثمانية أشهر من مهاجره، وقيل سبعة أشهر، وقيل ثمانية عشر شهرًا[1].

ويستفاد من رواية لعائشة أن زواج رسول اللّه ﷺ منها كان قبل بدر، وربما كان في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة، حيث تقول: «خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في غزوة بدر ...»[2]. ومعلوم أن غزوة بدر حدثت في السنة الثانية من الهجرة وفي شهر رمضان[3].

ولعل ما يرجّح زواج النبي ﷺ من عائشة في شوال من السنة الأولى للهجرة، هو قول عائشة، ومكثنا في منزل أبي بكر أيامًا أي بعد وصولهم للمدينة ـ ثم قال أبو بكر يا رسول اللّه! ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ قال رسول اللّه ﷺ: الصداق فأعطاه أبو بكر الصداق، فبعث به رسول اللّه ﷺ إلينا وبنى بي رسول اللّه ﷺ في بيتي الذي أنا فيه[4].

وموضوع الصداق الذي دفعة أبو بكر للنبي ﷺ فيه نظر، لأنه قد مضى على وجود رسول اللّه ﷺ بالمدينة قرابة العام، ومن ثم يمكن التساؤل ممَّ كان ينفق؟ وهل يُعقل أن رسول اللّه ﷺ طيلة إقامته في المدينة ما يقارب السنة ولا يجد خمس مئة درهم يدفعها صداقًا لزوجته؟!.

---

(1) ابن سيد الناس، 2/ 301ـ302.

(2) ابن زَبَالة، ص52.

(3) انظر ابن هشام، 2/ 224، 218؛ ابن سعد، 2/ 12، 11.

(4) ابن سعد، 8/ 63؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 1/ 414.

وهنا رواية أخرى ربما أن فيها إجابة مقنعة حول أمر الصداق، فقد جاء في رواية عند ابن سعد بسنده عن يزيد بن هارون أن أبا بكر زوّج ابنته من رسول اللّه ﷺ على متاع بيت قيمته خمسون أو نحوًا من خمسين[1]. وقد جاء عند الزمخشري (ت: 538هـ/ 1143م) رواية شبيهة بالرواية السابقة، حيث قالت عائشة: «تزوَّجني رسول اللّه ﷺ على بيتٍ قيمته خمسون درهمًا» وروي على بتٍّ[2].

ثم حان وقت الزفاف، الذي يبدو وكأنه تمّ على عجلة ولم يكن خُطط له بدقة، فقد جاء عند البخاري ـ رواية عن عائشة وهي تصف زفافها، قالت: «... فأتتني أمي، أم رومان وإني لفي أُرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها لا أدري ما تريد بي. فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلّا رسول اللّه ﷺ ضحى، فأَسلَمْنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[3].

(1) ابن سعد، 8/ 59.

(2) محمود بن جار اللّه الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثانية (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، 1/ 143. «والبيت» كما فسره الزمخشري هو: فرش البيت وهو معروف عندهم يقولون: تزوج فلان امرأة على بيت. الزمخشري، والبت: هو الكساء، وقيل: الطيلسان من خز. الموضع نفسه.

(3) البخاري، ص ص797ـ798 (ح: 3894) وراجع الأحاديث: 5133، 5134، 5156، وقارن محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، **كتاب أزواج النبي ﷺ**، =

وجاء في رواية أخرى عن عائشة، تصف فيها زفافها إلى رسول اللَّه ﷺ أقل تفصيلاً من الرواية السابقة، قالت فيها عائشة: «إني لأرجح بين عذقين، ـ أي نخلتين ـ وأنا ابنة تسع، فجاءت أمي فأنزلتني، ثم مشت بي حتى انتهيت إلى الباب وأنا أنهج، فمسحت وجهي بشيء من ماء، وفرقت جميمة كانت لي ثم دخلت بي على رسول اللَّه ﷺ، وفي البيت رجال ونساء، فقالت: هؤلاء أهلك، فبارك اللَّه لك فيهن وبارك لهن فيك»[1].

إن الروايتين السابقتين تشيران بوضوح إلى أن زفاف عائشة إلى رسول اللَّه ﷺ ربما تمّ على عجل، حيث إن عائشة كانت في ذلك اليوم تلعب مع صويحباتها، وأنها استُدعيت على عجل وبعد برهة وبعد أن أُصلح من شأنها زُفت إلى رسول اللَّه ﷺ إذ قالت عائشة: فأسلمتني (أمي) إليهن، فغسلن رأسي وأصلحن من شأني، فلم يرعني إلّا رسول اللَّه ﷺ جالس على سرير في بيتنا، فأسلمنني إليه[2].

ولكن لعل ما يفاجئ القارئ هو شهادة أسماء بنت عُميس[3]،

= تحقيق محمد نظام الدين الفتيح (بيروت: مكتبة التراث، 1413هـ)، ص ص83ـ84.

(1) محب الدين الطبري، **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تحقيق محمد علي قطب (القاهرة: دار الحديث، 1408هـ)، ص56.

(2) الصالحي، **أزواج النبي** ...، ص83ـ84؛ وقارن البخاري، الصحيح (ح: 3894)؛ مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: دار الفكر، 1403هـ/ 1983م)، 2/ 1038 (ح: 1422).

(3) أسماء:هي أسماء بنت عُميس بن معد بن تيم، من خثعم، وأمها خولة بنت عوف ابن زهير، من جُرش، أسلمت أسماء قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر، ثم عادت إلى المدينة مع زوجها في السنة السابعة للهجرة أيام فتح خيبر. ابن سعد، 8/ 280ـ285.

بخصوص زفاف عائشة إلى رسول اللَّه ﷺ إذ قالت: «كنت صاحبة عائشة رضي اللَّه عنها، التي هيأتها وأدخلتها على رسول اللَّه ﷺ ومعي نسوة ...».[1] يجب النظر إلى هذه الرواية بشيء من التحفظ، لأنه من المعروف أن أسماء بنت عُميس كانت في الحبشة آنذاك[2]. لهذا فمن المستبعد قبول ما روي عن أسماء أنها شاركت في عُرس عائشة. لذلك فلعل المقصودة هنا هي أسماء بنت يزيد بن السكن، فقد جاء عنها أنها قالت: قينت عائشة -أي زينتها - لرسول اللَّه ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها[3].

أما فيما يتعلق بوليمة رسول اللَّه ﷺ على عائشة، فالروايات المتوافرة لا تكاد تتفق على شيء منها.

فقد ذكرت أسماء بنت عميس [لعلها أسماء بنت السكن]، أنها لما أدخلت عائشة على رسول اللَّه ﷺ لم تجد عنده قرى إلّا قدحًا من لبن [4]. وإذا صُرف النظر عن هذه الرواية بسبب أن أسماء كانت في الحبشة في ذلك الوقت، فإن عائشة عندما تحدثت عن وليمة زواجها من رسول اللَّه ﷺ، قالت: «ما نُحِرتْ عليّ جزور ولا ذُبحت عليّ شاة، حتى أرسل سعد بن عُبادة بجفنة، كان يرسل بها إلى رسول اللَّه ﷺ إذا دار على نسائه»[5].

(1) الصالحي، أزواج النبي ...، ص85.
(2) انظر ابن سعد، 8/ 280ـ285.
(3) انظر ابن حنبل، 6/ 458؛ الذهبي، 2/ 172ـ173.
(4) الصالحي، أزواج النبي ...، ص85.
(5) المصدر السابق نفسه، ص ص83ـ84.

ومن الراجح أن تكون رواية ابن زَبَالة، بشأن وليمة عُرس عائشة أقرب إلى الواقع. إذ يذكر أن الأنصار طلبوا من رسول اللَّه ﷺ أن يأذن لهم في صُنع وليمة بمناسبة زواجه من عائشة، قالت: فأذن لهم فاتعدوا المسجد، وغدوا عليه بالقنع[1] فيها التمر والجفنة فيها الودك، لحمٌ أو غيره، وكان يومها كثير الأطباق والجفان[2].

ويمكن معالجة هذا التعارض في الروايات لوليمة عُرس رسول اللَّه ﷺ، بعائشة على النحو الآتي؛ فمن حيث المبدأ لا يمكن أن يدعو أبو بكر رسول اللَّه ﷺ إلى بيته للدخول بابنته، ولا تتكلف الأسرة شيئًا من الطعام، وذلك على الأقل طعام الغداء لأن رسول اللَّه ﷺ دخل بعائشة في ضحى ذلك اليوم[3].

وفي الوقت نفسه، وربما في مساء ذلك اليوم، أي بعد أن انتقلت عائشة إلى بيت رسول اللَّه ﷺ، جاءت جفنة سعد بن عبادة، التي تعوّد أن يبعث بها كل يوم[4] إلى رسول اللَّه ﷺ، فكان عشاء الزوجين الكريمين في تلك الليلة الأولى من زواجهما، من جفنة سعد وفي صباح اليوم التالي للزواج، كانت الوليمة التي أقامها الأنصار احتفالًا وابتهاجًا بالزواج المبارك[5].

ونظرًا لصغر سن عائشة عندما زُفت إلى رسول اللَّه ﷺ، فقد

(1) القنع: سبق التعريف به.
(2) ابن زَبَالة، ص51.
(3) البخاري، ص ص797 ـ 798 (ح: 3894).
(4) الصالحي، **أزواج النبي**...، ص ص83 ـ 84.
(5) ابن زَبَالة، ص51.

انتقلت إلى بيته ومعها لُعبها[1]. وأشارت عائشة في رواية لها: أنها كانت تلعب بالبنات مع صواحبها، فإذا جاء الرسول ﷺ وعائشة وصواحبها يلعبن، كان لا ينكر عليهن ويطلب منهن الاستمرار باللعب، ويقول «مكانكن»[2].

وفي رواية أخرى لعائشة وممارستها للعب هي وصاحباتها بين يدي رسول اللَّه ﷺ، قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول اللّه، وكنّ يأتينَني صواحبي ينقمعن من رسول اللَّه ﷺ وكان رسول اللّه يُسربهن إليّ فيلْعبن معي[3]. ودخل رسول اللَّه ﷺ ذات يوم على عائشة، وهي تلعب بالبنات، فسألها؛ ما هذا يا عائشة؟ قالت: خيل سليمان. فضحك[4]. وهكذا كان خُلق رسول اللَّه في تعامله مع زوجته الصغيرة المولعة باللعب مثلها مثل صواحبها ممن هن في سنها. فهو في هذا السلوك الحاني تجاه زوجه الصغيرة، يراعي حقها كزوجة وحقها كطفلة، يجب أن تستمتع بحقوق الطفولة كاملة غير منقوصة بل إن الأمر يتعدى ذلك حتى أن الرسول ﷺ يكون هو المبادر بدعوة عائشة إلى متعة المشاهدة.

قالت عائشة: واللَّه لقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد ورسول اللَّه ﷺ يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو[5].

---

(1) مسلم، 2/ 1039 (ح: 1422).

(2) ابن سعد، 8/ 61.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 61.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 62؛ وانظر النسائي، 3/ 195.

(5) مسلم، 2/ 609 (ح: 892).

وفي رواية أخرى عند مسلم عن عائشة: أنه جاء الحبشة في يوم عيد يزفنون[1]، قالت: فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم[2].

وفي رواية أخرى عن عائشة، ربما أنها وثيقة الصلة بالرواية السابقة، قالت فيها: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون والنبي ﷺ قائم ينظر إليهم. فقمت وأنا مستترة خلفه، فنظرت حتى أعييت، فقعدت، ثم قمت فنظرت حتى أعييت، ثم قعدت ورسول اللَّه ﷺ، قائم ينظر. فأقدروا الجارية الحديثة السن المشتهية للنظر[3].

والرواية الأخيرة ذات الصلة باهتمام رسول اللَّه ﷺ في الترويح عن زوجته الصغيرة ومحاولة جلب السرور لنفسها، قالت: كان رسول اللَّه ﷺ جالسًا فسمع لغطًا وإذا صوت صبيان، وإذا الحبشة تزفن والصبيان حولها. فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول اللَّه ﷺ، فجعلت أنظر إليها.. فقال لي: «أما شبعت!» قالت: فجعلت أقول لا، لأنظر منزلتي عنده[4].

لعل ما يلفت النظر في الرواية الأخيرة، أنه على الرغم من أن رسول اللَّه ﷺ هو صاحب المبادرة بدعوة عائشة لمشاهدة الأحباش وهم يلعبون ويرقصون، وتقف عائشة خلف زوجها، وتطيل الوقوف

---

(1) الزَّفْنُ: الرَّقصُ، زَفَنَ يَزفنُ زفنًا وهو شبيه بالرقص، واصل الزفن اللعب والدفعُ. وَمنه حديث عائشة رضي اللَّه عنها قدم وفد الحبشة، فجعلوا يزفنون ويلعبون أي يرقصون. ابن منظور، 13/ 197، مادة «زفن».

(2) مسلم، 2/ 609ـ610 (ح: 892).

(3) الزمخشري، 2/ 112.

(4) الترمذي، 5/ 621 (ح: 3691)؛ المحب الطبري، ص8.

والنظر للأحباش، وتتعب من الوقوف، فتستريح ثم تعاود الوقوف، والرسول ﷺ قائم يستر زوجه، ويمنحها أطول فرصة لمتعة المشاهدة، ثم يتبين من هذا كله أن طول الوقت الذي أمضته عائشة في مشاهدة الأحباش لم يكن القصد منه في الحقيقة سوى اختبار مدى حب رسول اللّٰه ﷺ لها، ومقدار منزلتها في نفسه!.

وتظل عائشة، الزوجة الصغيرة والأثيرة عند زوجها الحنون، قلقة على مدى حبه لها؛ فتسأله ذات يوم: «كيف حبك لي»؟

فيجيبها الرسول الكريم والزوج الوفي، قائلًا «كعقدة الحبل» تقول عائشة فكنت أقول: «كيف العقدة يا رسول اللّٰه ﷺ؟» فيقول: «هي على حالها»[1]. ولكن عائشة، لم تكن لتطمئن على مقدار حب رسول اللّٰه ﷺ لها، وتعلق قلبه بها، فأصبحت قلقة وخائفة على رباط الحب الوثيق بينهما، حتى، أنها كانت متيقظة أشد اليقظة لحركات رسول اللّٰه ﷺ، ولعل أبلغ دليل على ذلك، الرواية التالية: قالت عائشة: «لما كانت ليلتي التي هو عندي أي (النبي)، انقلب فوضع نعليه عند رجليه ووضع رداءه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلّا ريثما ظن أني قد رقدت، ثم انتعل رويدًا وأخذ رداءه رويدًا، ثم فتح الباب رويدًا وخرج وأجافه رويدًا. وجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري فانطلقت في إثره، حتى جاء البقيع فرفع يديه ثلاث مرات، وأطال القيام، ثم انحرف وانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت؟ فأحضر فأحضرت، وسبقته فدخلت

---

(1) أحمد بن عبداللّٰه الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، 2/ 44.

فليس إلّا أن اضطجعت، فدخل فقال: ما لك يا عائشة حشيًا رابية؟[1] قالت: لا. قال: تخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير. قالت: يا رسول اللّه بأبي أنت وأمي فأخبرته الخبر»[2].

الشيء الذي يمكن استنتاجه من هذه الرواية هو خوف عائشة وقلقها على رسول اللّه ﷺ وما يساورها من شكوك وغَيْرة، ربما أنها كانت تظن أن خروج رسول اللّه ﷺ من بيتها في جوف الليل، أنه ذاهب لإحدى نسائه، لذلك خرجت في أثره، لأن الليلة ليلتها ومن حقها أن تستمتع بليلتها مع رسول اللّه ﷺ.

بل إن عائشة حتى وهي مستغرقة في نومها، لا تكاد تطمئن إلى أن رسول اللّه ﷺ نائم إلى جانبها، فقد جاء عنها أنها قالت: التمست رسول اللّه ﷺ فأدخلت يدي في شعره، فقال: «قد جاءك شيطانك؟» فقلت: أما لك شيطان؟ فقال: بلى، ولكن أعانني اللّه عليه فأسلم[3]. وفي مناسبة أخرى، قالت عائشة: افتقدت رسول اللّه ﷺ ذات ليلة، فظننت أنه ذاهب إلى بعض نسائه، فتحسسته، فإذا هو راكع أو ساجد، ... فقلت: بأبي وأُمي، إنك لفي شأن وإني لفي شأن آخر[4].

بل إن عائشة عندما تفتقد رسول اللّه ﷺ، أو عندما يتأخر لبعض شأنه، تنتابها الشكوك ويساورها القلق وتبلغ منها الغيرة مبلغًا. تحدثت

(1) حشيًا رابية: رابية أي مرتفعة البطن، وحشيًا، أي مرتفع النفس متواتره كما يحصل للمسرع بالمشي. انظر النسائي، 7/ 74 «الحاشية».

(2) النسائي، 7/ 74.

(3) المصدر السابق نفسه، 7/ 72 (ح: 3960).

(4) المصدر السابق نفسه، 7/ 72 (ح: 3961).

عائشة يومًا، وأظهرت شيئًا من هذا القلق والحيرة، فقالت: «دخل عليّ يومًا رسول اللَّه ﷺ، فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حُميراء كنت عند أم سلمة. فقلت: ما تشبع من أم سلمة؟ قالت فتبسم، فقلت: يا رسول اللَّه ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعدوتين[1] إحداهما لم ترع والأُخرى قد رُعيت، أيهما كنت ترعى؟ قال: التي لم ترع، قلت: فأنا لست كأحد من نسائك، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل، غيري، قالت: فتبسم رسول اللَّه ﷺ»[2]. وتبلغ الغَيْرَة عند عائشة مبلغها حتى من الأموات، فقد طالت غيرتها خديجة بنت خويلد أُولى أزواج النبي ﷺ، فتقول: «ما غِرتُ للنبي ﷺ على امرأة من نسائه ما غِرتُ على خديجة، لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط»![3].

وفي السنة السابعة من الهجرة، قدمت مارية القبطية إلى المدينة، وكانت من ضمن الهدايا التي بعث بها المقوقس، صاحب الإسكندرية إلى رسول اللَّه ﷺ[4] فأعجب بها رسول اللَّه ﷺ؛ وكان يختلف إليها، وكانت جميلة، جعدة. واحتَّلت من قلب رسول اللَّه ﷺ مكانًا، فكانت عائشة تغار منها، قالت عائشة عن مارية: «فكانت جارتنا، فكان رسول اللَّه ﷺ عامة النهار والليل عندها حتى فرغنا لها، فجزعت، فحولها

(1) العدوة: هي الخُلةُ، ضرب من المرعى، محبوب إلى الإبل. وإبل عادية وعواد إذا رعته. انظر المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (بيروت: دار الفكر، د. ت)، 3/ 194ـ195.

(2) ابن سعد، 8/ 80؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 413.

(3) مسلم، 4/ 1889 (ح: 2435)؛ ابن حنبل، 6/ 117ـ118.

(4) ابن سعد، 8/ 212.

إلى العالية ـ أحد أحياء المدينة ـ فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا...»[1]. وفي مناسبة أخرى تصرح عائشة عن غَيْرَتها من مارية، وتقول: «ما غرت على امرأة غيرتي على مارية، وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر، وكان رسول اللَّه ﷺ معجبًا بها ورزق منها الولد وحرمناه»[2].

وتبلغ الغَيْرَة من عائشة ذروتها عندما رزق رسول اللَّه ﷺ بولده إبراهيم من مارية، فتتحدث عائشة عن تلك الغَيْرَة، فتقول: «... وكان لرسول اللَّه ﷺ لقائح وقطعة غنم، فكانت مارية تشرب من ألبانها وتسقي ولدها. وأُتي رسول اللَّه ﷺ يومًا بإبراهيم وهو عند عائشة، فقال: انظري إلى شبهه، قالت: فقلت: ما أرى شبهًا، فقال: «ألا ترين بياضه ولحمه»؟ فقالت: من قُصِرت عليه اللقاح، وسُقي ألبان الضأن سَمن وبيَّض»[3].

إن موقف عائشة من مارية المرأة الجميلة، وموقفها كذلك من المولود الذي رزق اللَّه نبيه به من مارية كل ذلك أمر مفهوم، فعائشة الصبية الصغيرة، وزوج النبي الكريم لا بد وأن تنال منها الغيرة حينما ترى امرأة تنافسها على قلب رسول اللَّه ﷺ ، وزيادة على ذلك تنجب منه.

ولكن الشيء الذي يصعب فهمه والذي لا بد وأنه آذى شعور

---

(1) ابن سعد، 8/ 212 ـ 213؛ ابن زَبَالة، 79.
(2) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 449 ـ 450.
(3) البلاذري، المصدر السابق نفسه، 1/ 449 ـ 450.

رسول اللّه ﷺ هو نفي عائشة أن يكون المولود الصغير إبراهيم ذا شبه برسول اللّه ﷺ؛ لا شيء سوى الغَيْرة!.

ومما يمكن ملاحظته في أمر غَيْرَة عائشة، هو أن تلك الغَيْرَة لم تقتصر على جمال المرأة أو أنها أنجبت من رسول اللّه ﷺ بل تعدى ذلك إلى الغَيْرَة من المرأة التي تجيد صنع الطعام، فحدث ذات يوم أن بعثت إحدى أزواج رسول اللّه ﷺ بطعام إلى النبي وأصحابه وهم في بيت عائشة، فلم تتمالك عائشة نفسها، حتى كسرت صحفة الطعام بحجر كان معها، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة، وقال مخاطبًا أصحابه: «كلوا: غارت أمكم»!، قالها مرتين، ثم بعث بصحفة عائشة إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة لعائشة[1].

وفي مناسبة أخرى، بعثت إحدى نساء النبي ﷺ بطعام إلى رسول اللّه ﷺ وهو في بيت عائشة، تقول عائشة: فما أن رأيت الجارية، حتى أخذتني رِعدة من الغَيْرَة، فضربت القصعة فرميت بها، فنظر إليّ رسول اللّه ﷺ فعرفتُ الغضبَ في وجهه..[2].

ليس من العسير أبدًا تفهم موقف عائشة من طعام ضرتيها أُم سلمة، وصفية، ولكن الأمر الذي يثير الدهشة والإعجاب في الوقت نفسه هو موقف الرسول ﷺ وتصرفه تجاه تلك المواقف: إذ إنه وفي حضور ضيوفه من الصحابة، يتجاهل خطورة ما حدث، ويقدر مشاعر وغَيْرَة زوجه الحديثة السن ويقول لأصحابه: «كلوا: غارت أمكم»!

(1) النسائي، 7/ 70 ـ 71.

(2) ابن حنبل، 6/ 277؛ وقارن النسائي، 7/ 71 (ح: 3957).

ثم لا يفعل شيئًا تجاه زوجته الغيور غير أن يُعوّض زوجه الأخرى أم سلمة صحفة عائشة السليمة، ويعطي عائشة الصحفة المكسورة، والسؤال هنا مَنْ من الرجال في ذلك الزمن ورجال هذا الزمن الذي لديه الاستطاعة والقدرة في السيطرة على مشاعره، ويتصرف هذا التصرف النبيل؟!.

فالملاحظ من هذه الروايات أن النبي ﷺ، لم يثر ولم يغضب ولم يهدد زوجه بطلاق ولا غيره، فكانت معالجته لهذا الأمر بكل هدوء وبساطة، ولا بد أن مثل السلوك، قد ترك في نفوس الحضور من أصحابه أثرًا عميقًا لا يمكن أن ينسوه، وأن يستحضروه في تعاملهم مع أزواجهم، فهو درس بليغ في العفو والتسامح، ولا غرابة في ذلك فقد قال الحق تبارك وتعالى عن رسوله الكريم في خطابه لجماعة المسلمين ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. ولكن غَيْرَة عائشة من أُم سلمة، لم تكن لتقف عند الطعام، بل إن الأمر تعدى ذلك إذ إن عائشة قد لاحظت أن رسول اللَّه ﷺ يطيل المقام عند أم سلمة في أثناء زياراته اليومية لأزواجه، فكان هذا الأمر مثار شك لدى عائشة، لا تدري سبب مُكث الرسول ﷺ عند أم سلمة، وأفضت بشكوكها لصاحبتها حفصة بنت عمر، لأنهما كانتا جميعًا يدًا واحدة[2] وظنّتا أن طول مكث النبي ﷺ عند أُم سلمة، أنه يخلو معها؛ أي يجامعها[3]؛ فبحثتا عن سبب مكوث النبي ﷺ عند أم سلمة، فعلمتا أن لديها عسل

(1) سورة الأحزاب، الآية: 33.

(2) ابن سعد، 8/ 170.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 170.

يصيب منه رسول اللَّه ﷺ، فاحتالتا للأمر. قالت عائشة: فلمّا دخل رسول اللَّه ﷺ على أُم سلمة بعد ذلك، فأخرجت له العسل، فقال: «أخِّريه عني، لا حاجة لي فيه»[1].

وهكذا حالت غَيْرَة عائشة، ومظاهرة حفصة لها بين رسول اللَّه ﷺ والعسل الذي كان يعجبه لدى أم سلمة!

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مصادر رئيسة أخرى اختلفت في أمر صاحبة العسل، أهي زينب بنت جحش أم حفصة بنت عمر أم أم سلمة؟. وسيعالج هذا الأمر في مبحث آخر من هذه الدراسة.

وعلى الرغم من بعض المنغصات الصغيرة التي تبدو من عائشة التي كان دافعها حبها الشديد لرسول اللَّه ﷺ وغيرتها عليه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يبادل عائشة حُبًّا بحب بل يغمرها بحبه ولم يكن لأي من نسائه أن تنافس عائشة على مكانتها من قلب الرسول الكريم.

فقد سُئل رسول اللَّه ﷺ ذات يوم «أي أحبُّ الناس إليك»؟ قال: «عائشة» قال: من الرجال؟ قال: «أبوها»[2]. وقد صرّح رسول اللَّه ﷺ بحبه لعائشة ومكانتها الأثيرة في قلبه على سائر النساء، فقال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[3].

وفي مناسبة أُخرى شَبّه رسول اللَّه ﷺ حبه لعائشة كحبه للزبد

(1) ابن سعد، 8/ 170؛ سيأتي تفصيل ذلك في جزء آخر من هذه الدراسة.

(2) الترمذي، 5/ 706.

(3) البخاري، ص1173 (ح: 5419)؛ وقارن الترمذي، 4/ 275 (ح: 1834)؛ ابن سعد، 8/ 79.

والتمر، فقال ﷺ مخاطبًا عائشة ومعربًا لها عن حُبه: «لأنت أحب إليَّ من زُبد بتمر»[1]. وكان يحبُّ الزُّبد[2] وتظهر بعض الروايات صورًا مدهشة ومنقطعة النظير من ولع نبي اللَّه ﷺ بعائشة، وتدليلها وملاطفتها، فتقدم عائشة هنا بعض صور هذا الحب، قالت: «إن كنت لأستاك، فيأخذ رسول اللَّه ﷺ السواك، فيستاك بفضل ريقي»[3] وقالت: «وكان رسول اللَّه ﷺ يعطيني العظم فأتعرقه، ثم يأخذه فيديره حتى يضع فاه على موضع فمي»[4]. وصورة أخيرة شبيهة بما سبق من صور تسوقها عائشة لتدلل على شدة ولع رسول اللَّه ﷺ بها؛ قالت: «كنت أتعرق العظم وأنا حائض فأعطيه النبي ﷺ فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب الشراب فأناوله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه»[5] والمصادر تقدم صورًا أخرى من صور حب رسول اللَّه ﷺ لعائشة ومحاولته في كثير من المناسبات الترفيه عنها وإشباع رغبات الطفولة في نفسها، قالت عائشة: «خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة بدر حتى إذا كنا بالأثيل[6] عند الأراك ...

---

(1) ابن سعد، 8/ 79.

(2) محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، **سُنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت)، 2/ 1106 ـ 1107 (ح: 3334)؛ أبو داود، 2/ 391 (ح: 3837).

(3) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 415 ـ 416.

(4) انظر مسلم، 1/ 245 ـ 246 (ح: 300).

(5) أبو داود، 1/ 117 ـ 118 (ح: 259).

(6) الأثيل: موضع قرب المدينة في الطريق إلى بدر، وقد حدّده المتقدمون بأنه بين بدر ووادي الصفراء، مع أن بدرًا من وادي الصفراء، ولكنهم يعنون به قرية الصفراء المعروفة اليوم بالواسطة. انظر **معجم المعالم الجغرافية في السيرة**=

إذا نحن بشخص يتخلل الآراك... فذهبت فإذا رسول اللّه ﷺ، فأقبل حتى نزل عندي فلمّا فرغت من حاجتي قال: «تعالى أُسابقك فشددت درعي على بطني»، ثم خططنا خطًا... فاستبقنا، فسبقني، فقال: «هذه مكان ذي المجاز»[1].

وجاء في رواية عند الواقدي عن عائشة، أنها كانت مع رسول اللّه ﷺ في غزوة المرُيسيع، وهي غزوة بني المصطلق في شعبان سنة (5هـ/ 626م)[2] وأن رسول اللّه ﷺ سأل عائشة إن كان لها رغبة في السباق، قالت: قلت نعم. فتحزمت بثيابي، وفعل ذلك رسول اللّه ﷺ ثم استبقنا، فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة، التي كنت سبقتني. قالت: وكانت هذه الغزوة بعد أن ضُرب الحجاب[3]. إن أمر سباق النبي ﷺ مع عائشة، أمر يصعب التشكيك فيه، نظرًا لتواتر الروايات بشأنه، ولكن ربما تثار بعض الشكوك حول تفاصيل ذلك السباق وأزمان حدوثه.

ففي الرواية الأولى التي ساقها ابن زَبَالة، ذكرت عائشة، أنها سابقت رسول اللّه ﷺ وهم في طريقهم إلى بدر. وعلى الرغم من غنى الرواية بالتفاصيل الدقيقة التي تقود للاعتقاد بصدقها إلّا أنه من المعلوم أن النساء لم يخرجن مع المسلمين في يوم بدر!

= **النبوية**، عاتق غيث البلادي (مكة: دار مكة للنشر، 1402هـ/ 1982م)، ص16.

(1) ابن زَبَالة، ص52، وجاءت الإشارة إلى سباق رسول اللّه ﷺ مع عائشة في مصادر أخر وبألفاظ مختصرة، أنظر: أبو داود، 2/ 34ـ35 (ح: 2578)؛ ابن ماجة، 2/ 636 (ح: 1980). وذو المجاز: موضع في عرفة، تقوم فيه سوق ثمانية أيام. ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، 1376هـ/ 1957م)، 5/ 55.

(2) الواقدي، 1/ 404.

(3) المصدر السابق نفسه، 2/ 427.

وكذلك الأمر بالنسبة لغزوة بني المصطلق على ماء المريسيع، التي ذكرت فيها عائشة أنها سابقت رسول اللَّه ﷺ فيها، وأنه سبقها؛ إذ لا تخلو من إشكال. حيث قالت عائشة في آخر الرواية وكانت هذه الغزوة بعد أن ضُرب الحجاب. ومعلوم أن آية الحجاب نزلت بعد دخول النبي ﷺ بزينب بنت جحش في شهر ذي القعدة سنة 5هـ[1] أي بعد غزوة المريسيع بأربعة أشهر تقريبًا.

الإشكالية الثانية في رواية عائشة الأخيرة المتعلقة بغزوة بني المصطلق أي غزوة المريسيع، إذ إنها تعلق على قول رسول اللَّه ﷺ لها حين سبقها «هذه بتلك السبقة التي سبقتني» قائلة: جاء إلى منزل أبي [أي رسول الله]، ومعي شيءُ فقال: هَلمُيّه! فأبيت، فسعيت وسعى على أثري، فسبقته[2]. إذ إن هذه الرواية تناقض الرواية الأولى ذات الصلة بغزوة بدر وخاصة الجزء الأخير منها، أي سباقها مع رسول اللَّه ﷺ بذي المجاز، حيث سبقته![3].

والإشكال الآخر في سباق غزوة بني المصطلق، هو ما جاء عند الواقدي من أن أم سلمة كانت مع عائشة في تلك الغزوة[4]. بل جاء عند الواقدي رواية أخرى بسنده عن عباد بن عبداللَّه بن الزبير،

(1) الذهبي، 2/ 217؛ ومما يؤكد إرتباط فرض الحجاب بزواج رسول اللَّه ﷺ من زينب بنت جحش هو ما جاء عند مسلم، 2/ 1050 (ح: 93)؛ وكذلك ما جاء عند البخاري، ص1020 (ح: 4791، 4792، 4793، 4794).

(2) الواقدي، 2/ 427.

(3) راجع ابن زَبَالة، ص52.

(4) الواقدي، 1/ 407.

أن عائشـة حدثته، أن رسـول اللَّه ﷺ لما أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا «فخرج سهمي وسهم أم سلمة»[1].

وفي حقيقة الأمر فإنه ليس من المستغرب أن يخرج رسول اللَّه ﷺ إلى الغزو بأكثر من زوجة، ولكن لعل من المشكوك فيه أن يعمد الرسول الكريم إلى الترفيه عن عائشة والمسابقة معها بمشهد من ضرتها أم سلمة، ومعلوم أن لأم سلمة من المكانة السامية في قلب رسول اللَّه ﷺ وللرسول كذلك من الرأفة والرفق واللطف ما يعصمه من جرح مشاعر السيدة أم سلمة. لذلك فربما أن حادثة السباق تلك لم تقع في غزوة المريسيع، بل لعلها في مناسبة أخرى لم تكن أم سلمة من شهودها، ولعل أقوى دليل على ذلك ما جاء عند ابن إسحاق بسند جمعي عن عمرة بنت عبدالرحمن[2] عن عائشة، قالت: «فلمّا كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول اللَّه ﷺ[3]. لذلك فإن كان السباق قد

(1) الواقدي، 2/ 426؛ وبالنسبة لقرعة رسول اللَّه ﷺ بين نسائه في السفر، فيظهر أنه كان يفضل عائشة أن تكون رفيقة سفره. قالت عائشة: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أقرع بين نسائه لسفر، فخرج غير سهمي، تغير وجهه.. البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 417. أما بشأن خروج أم سلمة مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة بني المصطلق ـ المريسيع ـ فهو أمر مشكوك فيه كما سيتبين لاحقًا.

(2) عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار، روت عمرة عن عائشة وأُم سلمة وكانت عالمة. وكانت هي وأخواتها في رعاية عائشة وعندها. ابن سعد، 8/ 480ـ481.

(3) انظر ابن هشام، 3/ 325؛ مسلم، 4/ 2129ـ2130 (ح: 2770)؛ البخاري، ص852ـ853 (ح: 4141).

وقع فعلًا في غزوة بني المصطلق، فإنه من المستبعد أن تكون أم سلمة قد حضرت تلك الغزوة حيث إن عائشة حسبما جاء عند ابن إسحاق كانت هي الزوجة الوحيدة التي خرجت مع رسول اللَّه ﷺ وهكذا. فلا عجب أن يلاطفها رسول اللَّه ﷺ ويُسرّي عنها بالسباق وغيره.

المهم في الأمر هنا أن رسول اللَّه ﷺ كان يبذل ما في وسعه للترفيه عن زوجته الصغيرة عائشة ويبذل ما في وسعه من الجهد في تدليلها وجلب السعادة إلى قلبها. وليس المهم هنا إن كان السباق قد وقع في غزوة بني المصطلق أم في غيرها، أو إن كانت عائشة وحدها مع رسول اللَّه ﷺ في تلك الغزوة أم معه غيرها بل إن الأكثر أهمية هنا هو ثبوت العلاقة الحميمة بين رسول اللَّه ﷺ وزوجه عائشة ومراعاته الإنسانية لمشاعرها وحبّها للمرح، فهو يسعى جاهدًا لإرضاء الرغبات المشروعة لدى الزوجة الأثيرة ومنحها قدرًا أكبر للاستمتاع والترفيه عن نفسها.

وفي سياق هذه الملاحظة من رسول اللَّه ﷺ لزوجه عائشة، فإن الرسول ﷺ في بعض الأحيان يتقبل من عائشة بعض التصرفات من المزاح الذي يُعدُّ أحيانًا فيه خروج عن المألوف، فقد حدث مرة أن زارت السيدة سودة بنت زمعة عائشة في بيتها ووجدت رسول اللَّه ﷺ عندها. فجلس رسول اللَّه ﷺ بين عائشة وسودة، فجاءت عائشة بنوع من الطعام يدعى «حريرة»[1] وطلبت من سودة أن تأكل، فاعتذرت

(1) الحريرة: الحساء من الدسم والدقيق، وقيل: هو الدقيق الذي يطبخ بلبن، وفي حديث عمر بن الخطاب، يقول: ذري الدقيق لأتخذ لك منه حريرة. ابن منظور، 4/ 184، مادة «حرر».

فقالت لها عائشة: «لتأكلين وإلّا لطخت وجهك. فأبت سودة، فأخذت عائشة من الحريرة فلطخت به وجه سودة، فضحك رسول اللَّه ﷺ ورفع رجله من حجر سودة، وقال: لطخي وجهها، فأخذت سودة شيئًا من الحريرة، ولطخت به وجه عائشة، ورسول اللَّه ﷺ يضحك»[1]. وهذه الرواية تحتمل الشك إذ إن ما جاء فيها نوع من العبث بالنعمة.

ومن طريف ما يروى عن تبسط رسول اللَّه ﷺ مع عائشة وممازحته إياها، أنه ذات يوم خطب امرأة من كلب، فأرسل عائشة لتنظر إليها فذهبت، ثم رجعت، فسألها رسول اللَّه ﷺ عن رأيها في المرأة فقالت: «لم أر طائلًا»، أي إن المرأة ليست بذاك. فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «لقد رأيتِ خالًا بخدّها اقشعّرتْ له كل شعرة منكِ». فقالت عائشة، «يا رسول اللَّه! ما دونك ستر»[2]. وهكذا فإن رسول اللَّه ﷺ لم يُعَنف عائشة ولم يتهمها بالكذب أو الحسد بل أشار إلى سر جمال تلك المرأة الكلبية وأن ذلك الجمال كان مثار غيرة عائشة بل لعل الأكثر طرافة من ذلك، ما جاء عن عائشة أنها قالت: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للنبي؟ حتى أنزل اللَّه ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾[3] فقالت مخاطبة رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ ربك ليسارعُ في هواك»[4].

(1) المحب الطبري، ص80؛ محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، سُبل الهدى والرشاد، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1993م)، 9/ 70.

(2) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 461.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 51.

(4) ابن ماجة، 1/ 644 (ح: 2000).

ومما يثير الدهشة هنا والإعجاب في الوقت نفسه، أن هذا التعليق اللاذع من لدن عائشة، حول ما نزل على رسول اللَّه ﷺ من الوحي في أمر الإرجاء والإيواء من النساء، أن ذلك لم يستثر غضب النبي ﷺ من عائشة، فهو لم ينهرها، أو يلومها على ما أبدت من ملاحظة ذات مغزى لا يخفى على أحد.

وبلغ من ملاطفة رسول اللَّه ﷺ لعائشة أن قال لها ذات يوم: «إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى» قالت، قلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أمَّا إذا كنتِ عني راضية فإنك تقولين: لا وربِّ محمد! وإذا كنت غضبى، قلت: لا وربِّ إبراهيم قالت، قلت: أجل واللَّه يا رسول اللَّه ما أهجر إلّا اسمك[1].

ولكن هذا الحب المتبادل بين الزوجين الكريمين والعواطف المتأججة بينهما لم يكن لها أن تدوم؛ بل قد تعرضت لعاصفة هوجاء من الشك والريبة كادت أن تعصف ببيت الزوجية. لقد حدث ذلك في السنة الخامسة من الهجرة وعلى وجه التقريب في شهر شعبان في سياق غزوة بني المصطلق، أي المريسيع، وكان المسلمون في طريق عودتهم إلى المدينة، وعند اقترابهم منها باتوا جزءًا من الليل، وذهبت عائشة لقضاء حاجتها، وعند عودتها وجدت القوم قد رحلوا وظن الموكلون بهودجها[2] أنها فيه فقادوا بعيرها وساروا، وعند عودتها لم تجد أحدًا، فلبثت في مكانها حتى مرّ عليها صفوان بن المعطل

(1) مسلم، 4/ 1890 (ح: 2439).

(2) الهَوْدَجُ: من مراكب النساء، مقبب وغير مقبب، يصنع من العِصيِّ، ثم يجعل فوقه الخشب، فيقبب. ابن منظور، 2/ 389، مادة «هَدَجَ».

السلمي[1] وهو في ساقة الجيش فحملها على بعيره ولم يدرك القوم إلّا عند اشتداد الضحى. فسرت بين المنافقين شائعة الإفك واتهمت عائشة بعرضها وشرفها[2].

هذا الموضع ليس المكان المناسب لمناقشة حادثة الإفك، بل ستناقش في مبحث لاحق من هذه الدراسة. والمهم في الأمر هنا أن عائشة مكثت ما يزيد على الشهر لم تسمع بما كان يدور حولها وما كانت تلوكه ألسن المنافقين بل لعل الأمر الأشد غرابة هو أن الرسول ﷺ ظل أكثر من شهر وهو يتقلب على جمر هذه الشائعة القبيحة الملصقة بأحب أزواجه إليه وهو لا يبدي لها شيئًا من شكوكه أو ما تلوكه الألسن، وقد يعود ذلك إلى احترامه لمشاعرها ومشاعر والدها، وتقديرًا لحالتها الصحية إذ ظلت بعد العودة إلى المدينة مريضة ما يزيد على الشهر[3].

وممّا يروى في هذه الغزوة أن عائشة فقدت عقدًا لها[4]، فحبس رسول اللَّه الناس، كي تبحث عنه وأصبحوا على غير ماء وقد حان وقت صلاة الفجر، فنزلت آية التيمم[5]. وهذه الرواية محل نظر.

---

(1) صفوان بن المعَّطل بن ربيعة السُّلمي الذكواني، شهد مع رسول اللَّه ﷺ الخندق والمشاهد كلها، ومات شهيدًا سنة 58هـ. ابن عبد البر، 2/ 725ـ726 (ت: 1223).

(2) انظر مسلم، 4/ 2129ـ2137 (ح: 2770)؛ الواقدي، 2/ 426ـ440.

(3) البخاري، ص ص856، 852 (ح: 4141)؛ مسلم، 4/ 2129ـ2137 (ح: 2770).

(4) البخاري، ص853؛ مسلم، 4/ 2921ـ2130 (ح: 2770).

(5) ابن سعد، 2/ 65. ربما أن فقد عائشة لعقدها ونزول آية التيمم كان في غزوة غير غزوة بني المصطلق كما سيتبين في الجزء الثاني من هذه الدراسة.

إنه من النادر جدًّا أن يجد المرء صورة من صور الحب والرأفة واللطف مثلما يجدها لدى رسول اللَّه ﷺ مع زوجته عائشة لدرجة أن يُحبس جيش بأكمله ويؤجل رحيله، حتى تجد عائشة عقدها. ثم يعقب ذلك تشريع إلهي وهو التيمم عند عدم وجود الماء، لذلك فقد علق أسيد بن الحُضير وهو أحد سادة الأنصار على هذه الواقعة وما تلاها من تشريع، قائلًا: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[1]. ولم تدم محنة الإفك طويلًا، فبعد شهر ونيف، قضاها رسول اللَّه ﷺ وزوجه الكريم يتجرعان الغصص مما يسمعان من المنافقين ومن على شاكلتهم، من نهش لعرضِ المؤمنة الصابرة، وما نال رسول اللَّه ﷺ من أذى هذه الشائعة التي أُلصِقَتْ بأحب أزواجه إليه، حتى جاء الفرج الإلهي، ونزلت براءة عائشة من السماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ....﴾[2] الآية[3]. وتمضي الأيام سراعًا وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، وفي شهر ربيع الأول يوعكُ رسول اللَّه ويشتد به المرض، ويستأذن نساءه في أن يمرَض في بيت عائشة، فيأذنّ له[4].

وبعد أيام لحق رسول اللَّه ﷺ بالرفيق الأعلى[5]. فكانت عائشة

(1) البخاري، ص772 (ح: 3773)؛ ابن سعد، 2/ 65.

(2) سورة النور، الآية:11.

(3) علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول** (بيروت: المكتبة العصرية، 1422هـ/ 2002م)، ص ص173 ـ 175.

(4) ابن سعد، 2/ 232 ـ 233.

(5) وقع اختلاف كبير في الوقت الذي توفي فيه رسول اللَّه ﷺ، فمن قائل في اليوم =

تتذكر تلك اللحظات الأليمة، فتقول: «إنّ من نعمة اللّه عليّ وحسن بلائه عندي أن رسول اللّه ﷺ مات في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري..»[1]. وتشاء الإرادة الإلهية أن يوارى الجسد الشريف في البيت الذي توفي فيه؛ أي بيت عائشة، وتُمضي عائشة الأرملة الشابة بقية عمرها بجوار قبر زوجها الراحل، فيا لها من قصة حب لم تنقطع أواصره حتى بعد الممات! إذ ظلت ترمق ذلك القبر وتشعر بسعادة غامرة وطمأنينة نفسية بجواره حتى لفظت أنفاسها بجواره بعد حين.

وظلت عائشة بعد رحيل الرسول الكريم تسترجع ذكرياتها الجميلة معه، وتفاخر بقية نسائه بما تميزت به عنهن، فقالت: «فُضلتُ على نساء النبي ﷺ، بعشر ... قالت: لم ينكح بكرًا قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل اللّه عز وجل، براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك، فكنت أغتسل أنا وإياه من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري، وقبض اللّه

= الأول من شهر ربيع الأول، ومن قائل في الثاني منه، ومن قال في العاشر منه، وقيل في الثاني عشر منه. انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد اللّه بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار هجر، 1418هـ/ 1997م)، 8/ 104ـ110.

(1) ابن سعد، 2/ 234؛ عبد العزيز بن محمد بن جماعة، **المختصر الصغير في سيرة البشير النذير**، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين (بيروت: عالم الكتب، 1408هـ/ 1988م)، ص ص178ـ180.

نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها، ودفن في بيتي»[1].

وهـذا فـي الحقيقـة سـجل شـرف وفخـر لا يدانيـه شـرف، ولـم يكن لأحد من نسـاء الرسـول ﷺ ما يقـارب هذا السـجل، مع فضلهن وكرامتهن على رسـول اللّه ﷺ. وزيادة على ما سـبق فإن عائشـة تقدم صورة أخرى من صور تميزها على ما سـواها من نسـاء النبي ﷺ قريبة الشـبه من الصورة الأولـى فقالت: «أُعطيـت خلالًا ما أعطيتهـا امرأة، ملكني رسـول اللّه ﷺ وأنا بنت سبع سـنين، وأتاه الملك بصورتي في كفّه فنظر إليها وبنى بي لتسع سنين، ورأيت جبريل ولم تره امرأة غيري، وكنت أحبّ نسـائه إليه، وكان أبي أحبّ أصحابه إليه، ومرض رسـول اللّه ﷺ في بيتي فمرضته فقبض، ولم يشهده غيري والملائكة»[2].

بـل وكان مـن حـق عائشـة أن تفاخـر أمهـات المؤمنيـن، أن جبريـل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قـرأ عليهـا السـلام، دون بقيـة النسـاء، قال لها رسـول اللّـه ﷺ «هذا جبريـل وهو يقرأ عليك السـلام». قالت، قلـت: «وعليه السـلام، ورحمـة اللّـه وبركاته، ترى مـا لا نـرى»[3]. إن امـرأة لها هذا الرصيـد الجم مـن المواقـف والذكريات مـع زوجها الحبيب رسـول اللّه ﷺ حق لها أن تفاخر نسـاءهُ ونساء العالمين، فليس أحدٌ من النساء حاز هذه المنزلة وهذا الشرف سوى عائشة بنت أبي بكر.

أما معاش عائشة بعد وفاة رسول اللّه ﷺ، فقد كان لها نصيبها

---

(1) ابن سعـد، 8/ 63ـ64. حـول بيـت عائشـة ومكـان دفـن رسـول اللّه ﷺ فيـه، انظـر، الجميل، **بيوت النبي ﷺ وحجراتها**، ص ص34ـ44.

(2) ابن سعد، 8/ 65.

(3) مسلم، 4/ 1896 (ح: 2447)؛ الترمذي، 5/ 705 (ح: 388).

السنوي من خيبر، حيث أطعمها رسول اللّه ﷺ من خيبر طعمة سنوية قدرها ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا شعيرًا، ويقال قمحًا[1].

ولما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب سنة (13هـ/ 634م) فرض لعائشة اثني عشر ألف درهم سنويًا[2] ولا بد أنه مع مرور الزمن أصبح لدى عائشة قدرًا من الثروة، ولكنها لم تكن تحفل بذلك، بل سرعان ما تنفقه في وجوه الخير المختلفة، فقد جاء في إحدى روايات ابن سعد، عن هشام بن عروة[3] أنه رأى عائشة، تتصدّق بسبعين ألفًا[4].

وبعث ابن الزبير ذات مرة إلى عائشة بقدر كبير من المال مقداره، مئة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم في الناس، فلمّا أمست وحان وقت إفطارها، قالت لجارية لها: يا جارية! هاتي فطري. فقالت لها الجارية: يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟ فردت عليها عائشة قائلة: «لا تعنفيني لو كنت أذكرتني لفعلت»[5] إن ما أشارت إليه الروايات أعلاه لهي صورة ناطقة للزهد والسخاء قلما توجد في كثير من النساء بل وحتى الرجال!.

(1) ابن سعد، 8/ 69، وجاء عند ابن هشام أن رسول اللّه ﷺ، قسم لهن أي لنسائه، مئة وسق وثمانين وسقًا. انظر ابن هشام، 3/ 383 وهذه الرواية لا تخلو من وهم.

(2) ابن سعد، 8/ 67؛ قارن أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد اللّه وعمر أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، 1407هـ/ 1987م)، ص630.

(3) هشام بن عروة: بن الزبير بن العوام، أُمهُ أُم ولد، ومات هشام عند المنصور في صحابته ببغداد سنة خمس أو ست وأربعين ومائة من الهجرة 45/ 146هـ. المصعب الزبيري، ص248.

(4) ابن سعد، 8/ 66.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 67.

إن حطام الدنيا لا يساوي شيئًا في نظر عائشة إلّا بقدر حاجتها إليه، فهي مع ما وسع اللّه عليها من الخير، لم تكن تسرف في ما لا حاجة لها فيه، حتى أنها كانت تُرَقِّعْ بعض ما تحتاجه من لباس! فقد جاء في إحدى الروايات، أن داخلًا دخل على عائشة وهي تخيط «نقبة» لها[1]. فقال: يا أم المؤمنين! أليس قد أكثر اللّه الخير؟ قالت: دعنا منك، لا جديد لمن لا خَلَق له[2]. وكانت إذا تعودت خلقًا ـ ثوبًا لبيسًا ـ لم تحب أن تدعه[3].

وبسبب ما وسع اللّه عليها من الرزق، فقد كانت تنفقه في وجوه المشروعة، وربما أنها كانت تعتق الرقاب، قربة إلى الله. فكان ممن ذُكر من مواليها الذين رووا عنها بعض حديثها: أبوعمر، وذكوان، وأبو يونس، وابن فروخ[4]. ومن موالي عائشة المشهورات من النساء بريرة، حيث اشترتها ثم أعتقتها[5].

وأخيرًا، بعد حياة حافلة بالخير والعطاء، وبعد مجاورة لقبر حبيبها وزوجها دامت قرابة سبعة وأربعين عامًا، اختارها اللّه إلى جواره، لتلحق بجوار زوجها رسول اللّه ﷺ في الدار الآخرة، وكان ذلك في سنة (58هـ/ 677م) ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان، ودفنت

---

(1) النقبة: المقصود بها هنا النقاب.

(2) ابن سعد، 8/ 73.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 73.

(4) انظر أحمد بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا (بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/ 2004م)، 4/ 2576 (ح: 11452).

(5) ابن الأثير، **أسد الغابة**، 5/ 229 (ت: 6778).

من ليلتها، وهي بنت ست وستين سنة[1] تقريبًا. وخلّفتْ وراءها ثروة علمية نفيسة من أحاديث الرسول ﷺ قُدرت بألفين ومئتين وعشرة أحاديث[2]. وهذا ما أكد تفوقها على بقية نساء النبي ﷺ حيث أصبحت ذات مرجعية وحجية كبيرة في السنة النبوية، فقد جاء عند الترمذي بسنده، أن أحد أصحاب رسول اللَّه ﷺ قال: ما أشكل علينا، أصحاب رسول اللَّه ﷺ «حديث» فسألناها عنه، إلّا وجدنا عندها منه علمًا[3].

رحم اللَّه أم المؤمنين عائشة وجمعها بحبيبها المصطفى في فسيح جناته.

(1) ابن سعد، 8/ 78ـ79.

(2) الذهبي، 2/ 139.

(3) الترمذي، 5/ 705 (ح: 3883).

ـ 3 ـ

حفصة بنت عمر

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل من بني عدي[1] وأمها زينب بنت مظعون من بني جُمَح[2] وُلدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين[3]. تزوجها خُنيس بن حذافة بن عدي السهمي[4] بمكة وهاجرت معه إلى المدينة، ومات خُنيس بعد غزوة بدر[5] وقيل بعد أُحد[6].

ولما تأيمت حفصة، عرضها عمر على عثمان بن عفان، فاعتذر،

(1) ابن سعد، 8/ 81.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 81.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 81.

(4) خنيس بن حذافة: بن قيس بن عدي السهمي القرشي، زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب من المهاجرين الأولين إلى الحبشة، شهد بدرًا بعد عودته من الحبشة وأُحدًا، ونالته جراحة، مات منها بالمدينة، وبعد وفاته تزوج رسول اللّه ﷺ بحفصة بنت عمر. ابن عبد البَّر، 2/ 452 (ت: 679)، ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 130 (ت: 1485).

(5) ابن سعد، 8/ 81.

(6) ابن سيد الناس، 2/ 302 ـ 303.

ثم عرضها على أبي بكر فَسَكَتَ[1] فشكى عمر الأمر إلى رسول اللّه ﷺ، فقال له رسول اللّه ﷺ: «ألا أدلك على ختن هو خير لك من عثمان وأدل عثمان على ختن هو خير له منك؟» قال: بلى يا رسول اللّه ﷺ، فتزوج النبي ﷺ حفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول اللّه ﷺ[2].

وبعد أن تأكدت خطبة النبي ﷺ لحفصة بنت عمر، لقي عمر أبا بكر فقال له: «إني عرضت على عثمان فردني وعرضت عليك فسكتَّ، فلأنا كنت أشد غضبًا حين سكت مني على عثمان وقد ردني. فقال أبو بكر: «إنه قد كان النبي ﷺ ذكر منها شيئًا ـ أي حفصة ـ وكان سرًّا فكرهت أن أفشي السر»[3].

وتبين فيما بعد أن عثمان عندما اعتذر عن قبول عرض عمر بتزويجه من حفصة، أنه كان يرغب بالزواج من أم كلثوم ابنة رسول اللّه ﷺ وذلك بعد وفاة أختها رقية التي كانت في عصمته حينذاك[4].

الروايات المتوافرة لا تكاد تتفق على وقت دخول رسول اللّه ﷺ بحفصة، فقيل إن رسول اللّه ﷺ تزوج حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا قبل أُحد[5]، وقيل بعد بدر[6] وفي رواية أخرى لابن سيد

(1) ابن سعد، 8/ 81ـ82.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 82ـ83؛ وقارن أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص60.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 82.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 83

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 83؛ ابن سيد الناس، 2/ 302.

(6) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 422، وجاء عند أبي عُبيدة معمر بن المثنى، أن رسول اللّه ﷺ تزوج حفصة في السنة الثانية من الهجرة بعد عودته من بدر، ص59.

الناس، أن زواج رسول اللّه ﷺ من حفصة، كان بعد أُحد[1] وهو الأرجح وكان سن حفصة عندما دخل بها رسول اللّه ﷺ نحو عشرين سنة[2].

وأمهر رسول اللّه ﷺ حفصة، بساطًا ووسادتين، وكساءً رحبًا، يفترشان في القيظ والشتاء نصفه، ويلتحفان نصفه، وإناءين أخضرين، وأولم عليها المهاجرون دون الأنصار، وَطَبة مأقوطة[3] بسمن وتمر عجوة وسويقًا مكتوتًا[4]. وكان صداقها أربع مئة درهم[5] ويظهر أن مقدار هذا الصداق محل نظر إذ يبدو أن الصداق كان أكثر من ذلك، فقد جاء في رواية عن عائشة، أنَّ صداق رسول اللّه لنسائه، اثنتا عشرة أوقية ونشًّا فذلك خمس مئة درهم، قالت عائشة: الأوقية أربعون والنشُّ عشرون[6]. وجاء في رواية أخرى عن عمر بن الخطاب، أن رسول اللّه ﷺ ما أصدق نساءه ولا بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وهي ثمانون وأربع مئة درهم[7]. وفي كل الأحوال يبدو أن صداق رسول اللّه ﷺ لأزواجه كان ما بين 480 و 500 درهم، ولم يكن بأقل من ذلك.

---

(1) ابن سيد الناس، 2/ 302.

(2) الذهبي، 2/ 227.

(3) وطبة مأقوطة: الحيس، يجمع بين التمر والأقِط والسمن. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، 5/ 203.

(4) ابن زَبَالة، ص57.

(5) ابن هشام، 4/ 302.

(6) ابن سعد، 8/ 161.

(7) المصدر السابق نفسه، 8/ 161، وقارن ص162.

وأصبحت حفصة بزواجها من رسول اللَّه ﷺ، الزوجة الثالثة، بعد سودة وعائشة، وربما بسبب تجاور بيتي حفصة وعائشة؛ حيث لا يفصل بينهما إلّا ممر ضيق[1]، فقد نشأت بين المرأتين علاقة مميزة من الودِّ، كان لها في بعض الأحيان شيء من الأثر السلبي في علاقتهما مع رسول اللَّه ﷺ. وسيتضح أثر تلك العلاقة بين المرأتين في الجزء الثاني من هذه الدراسة.

وفي أحد الأيام ولسبب لم تفصح عنه المصادر المتاحة، فقد طلّق رسول اللَّه ﷺ حفصة بنت عمر[2]. فأخذت حفصة تبكي وتقول: واللَّه ما طلّقني رسول اللَّه ﷺ عن شبع [شنع؟][3]. وجزع عمر بن الخطاب وهلع من ذلك الحدث الجسيم، وقال: لو كان للَّه من آل عمر حاجة، ما طلّق رسول اللَّه ﷺ حفصة[4]. ويظهر أن محنة آل الخطاب بطلاق حفصة لم تطل إذ سرعان ما راجعها رسول اللَّه ﷺ، وكان ذلك بأمر إلهي! إذ جاء رسول اللَّه ﷺ فدخل على حفصة، وقال لها: «إن جبريل أتاني فقال لي: أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة»[5]. ورواية شبيهة بالرواية السابقة أنه لما طلق رسول اللَّه ﷺ حفصة جاء جبريل، فقال: يا محمد، [وشك في قول الراوي:] إما قال

---

(1) عن منازل أزواج النبي ﷺ انظر ابن سعد، 1/ 240؛ وقارن الجميل، **بيوت النبي ﷺ وحجراتها..**، ص ص15 ـ 22.

(2) ابن سعد، 8/ 84؛ ابن زَبَالة ص58؛ الذهبي، 2/ 227.

(3) ابن سعد، 8/ 84.

(4) ابن زَبَالة، ص58.

(5) ابن سعد، 8/ 84؛ وقارن أبو داود، 1/ 695 (ح: 2283).

راجع حفصة، وإما قال: لا تطلّق حفصة، فإنها صؤوم قؤوم وإنها من نسائك في الجنة[1].

وفي رواية أخرى حول طلاق رسول اللَّه ﷺ لحفصة ومراجعته إياها، ذكر ابن زَبَالة بسنده قال: فلمّا خرج رسول اللَّه ﷺ للصلاة، أذّن بلال، ثم أقام الصلاة، فلمّا قام رسول اللَّه ﷺ من القِبْلة رجع حتى أتى بيت حفصة، فقال: «إن جبريل عرض لي من القِبْلة، فقال: راجع حفصة فإنها صؤوم قؤوم وإنها زوجتك في الجنة[2].

كل هذه الروايات المتعلقة بطلاق رسول اللَّه ﷺ لحفصة ثم مراجعته إياها توحي للقارئ بأهمية شأن حفصة وأهمية بقائها ضمن أزواج النبي ﷺ، وفوق ذلك كله تزكية جبريل لها بأنها صوامة قوامة.

أما ما يخص وضعها المعيشي، فقد عاشت مع رسول اللَّه ﷺ عيش الكفاف، وربما تحسنت حالها نوعًا ما بعد غزوة خيبر (7هـ/ 628م) حيث ذكر الواقدي أن نصيبها من خيبر كان ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا شعيرًا وقيل قمحًا[3].

وفي خلافة والدها عمر، فرض لها في العطاء عشرة آلاف درهم مثلها مثل بقية أزواج النبي ﷺ[4] ولا بد وأنها عاشت بقية حياتها في

---

(1) ابن سعد، 8/ 84.

(2) ابن زَبَالة، ص58.

(3) ابن سعد، 8/ 86؛ وقارن ابن هشام، 3/ 383؛ وهي رواية تحتمل المراجعة إذ المعروف أن رسول اللَّه ﷺ فرض لكل واحدة من نسائه ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا شعيرًا أو قمحًا.

(4) ابن سعد، 8/ 67؛ وقارن البلاذري، **فتوح البلدان**، ص632.

سعة من العيش ومن دلائل ذلك، أنه كان لها جارية تقوم على خدمتها تدعي خُليسة[1]، وما يدل على مكانتها في نفس أبيها أنه قد أوصى إليها[2]. وأمضت حفصة بقية حياتها منقطعة للعبادة، حتى قيل: ماتت حفصة حتى ما تفطر[3]. وقد روت عن رسول اللّه ﷺ ستين حديثًا[4].

انتقلت حفصة إلى الرفيق الأعلى في شعبان في سنة خمس وأربعين للهجرة ولها من العمر ستين سنة[5]. وقيل توفيت سنة إحدى وأربعين، عام الجماعة[6]. تغمد اللّه حفصة أم المؤمنين برحمة واسعة وجمعها بحبيبها المصطفى في دار رضوانه.

---

(1) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 266.

(2) ابن سعد، 8/ 84.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 86.

(4) الذهبي، 2/ 230؛ أكرم ضياء العمري، 2/ 649.

(5) ابن سعد، 8/ 86.

(6) الذهبي، 2/ 228.

ـ 4 ـ

أم سلمة بنت أبي أُميَّة

هي هند بنت أبي أُميّة، سُهيل؛ زاد الركب المخزومي، وأمها عاتكة بنت عامر بن مالك[1]. تزوجها أبو سلمة، عبداللَّه بن عبدالأسد المخزومي، وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة[2] شهد أبو سلمة غزوة بدر مع رسول اللَّه ﷺ، وأصيب يوم أُحُد، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (4هـ/ 625م)[3]. وجاء عند ابن الأثير، أن أبا سلمة جُرح بأُحد جُرحًا ثم اندمل، ثم انتقض في جمادى الآخرة سنة (3هـ/ 624م)[4]. واضح من هذا الزعم أنه لا يتفق مع سير الحوادث؛ حيث إنه من المعلوم أن غزوة أُحد قد وقعت في شوال (3هـ/ 624م)[5]؛ أي إنها

(1) ابن سعد، 8/ 86؛ وقارن الزبيري، ص337، حيث ذكر الزبيري أن اسم أم سلمة «رملة».

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 86؛ أبو سلمة: هو عبداللَّه بن عبدالأسد بن هلال المخزومي، أول من هاجر إلى الحبشة. المصعب الزبيري، ص377؛ وانظر ابن هشام، 1/ 404، 362.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 87.

(4) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 4/ 475ـ476 (ت: 5979).

(5) ابن هشام، 3/ 67؛ الواقدي، 1/ 199؛ ابن سعد، 2/ 36ـ37.

حدثت بعد خمسة أشهر تقريبًا من انتقاض الجرح المزعوم في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة.!

ولعل ما يؤكد بطلان هذه الرواية هو ما جاء عن عمر بن أبي سلمة نفسه في سياق حديثه عن وفاة والده إذ قال: «خرج أبي إلى أُحُد، فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم، فمكث شهرًا يداوي جرحه، ثم برئ الجرح، وبعث رسول اللَّه ﷺ أبي إلي «قطن»[1] في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا، فغاب تسعًا وعشرين ليلة، ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة (4هـ/ 625م) والجرح منتقض فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة (4هـ/ 625م)[2].

واخْتلِف في الحال التي هاجرت فيها أم سلمة إلى المدينة، أي هل كانت بصحبة زوجها أم بمفردها أم ماذا؟

المصادر المتاحة تذكر روايتين عن هجرة أم سلمة إلى المدينة. فالرواية الأولى عن رَوح بن عُبادة بسنده عن أم سلمة: أنها لما قدمت المدينة أخبرتهم أنها بنت أبي أمية بن المغيرة، فكذبوها، وقالوا: ما أكذب الغرائب، حتى ذهب ناس منهم للحج، فقالوا: أتكتبين لأهلك كتابًا؟ فكتبت معهم، فرجعوا إلى المدينة فصدقوها، وازدادت عليهم

(1) قَطَنْ: قيل: قطن جبل لبني عبس، كثير النخل والمياه بين الرُّمَّة وبين أرض بني أسد. وقيل إن قطن: جبل في ديار عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة، بين أُثال وبطن الرمة. ياقوت الحموي، 4/ 374ـ375. مادة «قطن». وقطن حاليًا جبل ما زال معروفًا على الضفة اليسرى لوادي الرُّمة يمرّ به الطريق من المدينة إلى القصيم، ويبعد عن المدينة قرابة (330 كيلًا) البلادي، ص255.

(2) الواقدي، 1/ 343؛ ابن سعد، 8/ 87؛ وانظر البلاذري، 1/ 429.

كرامة[1]. والإشكال في هذه الرواية أنها لا تذكر شيئًا عن الكيفية التي وصلت فيها أم سلمة إلى المدينة، ولا تذكر شيئًا عن زوجها أبي سلمة، ولا عن الوقت الذي قدمت فيه أم سلمة إلى المدينة؟ ثم من هم الذين سألوها من أهل المدينة عن نسبها وكذبوها في دعواها؟ ألم تكن المدينة حينذاك ملأى بالمهاجرين من قريش وهم الذين لا تخفى عليهم حال أم سلمة ابنة زاد الركب؟! وماذا عن المهاجرات القرشيات؟ هل تخفى عليهن حال امرأة مشهورة كأم سلمة؟! وهل قدمت أُم سلمة إلى المدينة مطفلًا أم عزباء؟

كل هذه الأسئلة تظل دون إجابة في الرواية السابقة.!

في ضوء الأسئلة السابقة يبقى الاحتمال الأقوى أنه ربما اختلط الأمر على بعض الرواة فنقلوا هذه الرواية التي ربما لا علاقة لها بهجرة أم سلمة ولا بد أن تكون ذات صلة بمهاجرة أُخرى غيرها.

أما رواية ابن إسحاق عن هجرة أم سلمة إلى المدينة فهي تختلف تمامًا عن الرواية الأولى؛ إذ تفيد هذه الرواية أنه لما أزمع أبو سلمة الهجرة بأهله إلى المدينة اعترض بعض بني المغيرة من آل مخزوم ومنعوه الارتحال بابنتهم أم سلمة إلى المدينة، وفي الوقت نفسه فقد ثار بنو عبدالأسد وانتزعوا سلمة الصغير من حضن أمه، فهم عشيرة أبيه وأحق برعايته من أمه المخزومية[2].

ولهذا قالت أم سلمة وهي محقة في وصفها لمحنتها: «والله ما

---

(1) ابن سعد، 8/ 93.

(2) انظر ابن هشام، 2/ 82 ـ 83؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 258 ـ 259.

أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة...»[1]. وحسب ما جاء في الرواية فإن أبا سلمة قرر الهجرة إلى المدينة دون زوجته وابنه، مفضلًا الفرار بدينه إلى اللَّه ورسوله، تاركًا أهله بمكة لمصير مجهول[2]. تقول أم سلمة: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة .. ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني[3].

وظلت أم سلمة بعد هجرة زوجها إلى المدينة قرابة سنة وهي تعاني مرارة الفراق والاضطهاد، حتى رقّ لحالها أحد بني عمها وطلب من آل مخزوم السماح لأم سلمة باللحاق بزوجها، فسمحوا لها، ورد لها بنو عبد الأسد ابنها سلمة، فارتحلت نحو المدينة وبحجرها وليدها سلمة، وعندما وصلت التنعيم[4]، لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة[5] فسألها عن وجهتها، فأخبرته أنها تريد زوجها بالمدينة، فسألها هل معها رفقة؟ فأجابته بالنفي! فقال: «واللَّه ما لك من مترك. قالت: فأخذ بخطام

(1) ابن هشام، 2/ 83.

(2) المصدر السابق نفسه، 2/ 82.

(3) المصدر السابق نفسه، 2/ 82.

(4) التَّنعْيمُ: موضع بمكة في الحِلْ، وهو بين مكة وسَرِف، على فرسخين من مكة، وقيل على أربعة منه يحرمُ الملبون بالعُمرَة. ياقوت، 2/ 49؛ والتنعيم، وادٍ، خارج الحرم من الشمال. البلادي، ص65.

(5) عثمان بن طلحة: بن أبي طلحة القرشي العبدري، كانت هجرته في هدنة الحديبية، ثم شهد عثمان بن طلحة فتح مكة، فدفع إليه رسول اللَّه ﷺ مفاتيح الكعبة، ثم نزل ابن أبي طلحة المدينة، فأقام بها إلى وفاة النبي ﷺ ثم عاد إلى مكة وتوفي بها سنة 42هـ وقيل إنه قتل يوم أجنادين. ابن عبدالبرّ، 3/ 1034 (ت: 1771).

البعير، فانطلق معي يهوي، فواللَّه ما صحبت رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه... ثم تواصل أم سلمة حديثها عن رحلتها إلى المدينة وحسن صحبة رفيق رحلتها؛ فتقول: .. فلمّا نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلا ـ فادْخُليها على بركة اللَّه، ثم انصرف راجعًا إلى مكة[1].

هذه الرواية أكثر وضوحًا من سابقتها، فهي تبين وتشرح العراقيل التي وقفت في هجرة أبي سلمة وأسرته إلى المدينة، وأظهرت كذلك المعاناة التي عاشتها الأسرة حيث تشتت شملها، وما نتج عن ذلك من المعاناة الدينية والعاطفية التي ذاقت مرارتها أم سلمة حيث دامت قرابة عام!!

ومن المعلوم أنه لما وصلت أم سلمة المدينة لم تكن بحاجة لأن تُعَرِّف بنفسها للمسلمين هناك، فهي ليست نكرة، وهي قادمة على زوجها، حيث التأم شمل الأسرة من جديد. لذلك فإن هذه الرواية هي الأجدر بالقبول لأنها أكثر واقعية ودقة في وصف محنة آل أبي سلمة في هجرتهم إلى المدينة.

وعاشت أم سلمة في كنف زوجها أبي سلمة بالمدينة مدة قصيرة نسبيًّا وكانت قد أنجبت منه ولدين وبنتًا هم: سلمة وعمر ودُرَّة[2]. أما زينب فكانت ولادتها في أرض الحبشة[3].

(1) ابن هشام، 2/ 82ـ83؛ البلاذري، 1/ 258ـ259.

(2) انظر ابن سعد، 8/ 87.

(3) انظر ابن هشام، 1/ 363؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 207؛ بن سعد، 8/ 87؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 399ـ300.

وكان سلمة قد ولد بمكة[1]. وتوفي أبو سلمة في أوائل السنة الرابعة من الهجرة، على إثر جراحة أصيب بها يوم أُحد كما ذكر سابقًا.

ودخل رسول اللَّه ﷺ على أم سلمة يعزيها بأبي سلمة، فقال: «اللَّهم عزّ حزنها واجبر مصيبتها، وأبدلها خيرًا منه...»[2]. وكان أبو سلمة عندما حضرته الوفاة، ناشد ربه قائلًا: «اللَّهم ارزق أم سلمة بعدي رجلًا خيرًا مني لا يحزنها ولا يؤذيها»[3]. وبعد وفاة أبي سلمة كانت أم سلمة تسأل نفسها، تقول، قلت: «من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة»؟[4]

وجاء اللَّه بالفرج سريعًا لأم سلمة، فما أن انقضت عدتها من أبي سلمة، حتى أتاها رسول اللَّه ﷺ، فخطبها لنفسه، قالت أم سلمة: فكلّمني بيني وبينه حجاب، فقلت: أي رسول اللَّه ﷺ! وما تريد إليّ، ما أقول هذا إلّا رغبة لك عن نفسي، إني امرأة قد أدبر مني سني وإني أُم أيتام، وأنا امرأة شديدة الغَيرَة، وأنت يا رسول اللَّه تجمع النساء[5].

فقال رسول اللَّه ﷺ: «أما ما ذكرت من غَيرَتك، فيذهبها اللَّه، وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنًا، وأما ما ذكرت من أيتامك، فعلى اللَّه ورسوله» قالت أم سلمة: «فأذنت له في نفسي فتزوجني»[6].

---

(1) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 357 (ت: 2173)؛ وجاء عند ابن عبد البَر، أن لأبي سلمة بنتًا تدعى أم كلثوم من زوجه أم سلمة، 4/ 1953 (ت: 4202).

(2) ابن سعد، 8/ 89.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 88.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 88.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 90.

(6) المصدر السابق نفسه، 8/ 90؛ جاء عند المحب الطبري في خطبة رسول =

في حقيقة الأمر فإن ابن سعد قد ذكر روايات كثيرة ومتشابهة وذات مغزى واحد وهو خطبة رسول اللَّه ﷺ لأم سلمة ولا حاجة هنا إلى ذكرها(1).

ومما هو جدير بالذكر، أنه سبق وأن تقدم لخطبة أم سلمة، قبل رسول اللَّه، أبو بكر الصديق، فردته، ثم تقدم لها عمر بن الخطاب، فردته(2). وقيل: إن رسول اللَّه ﷺ تقدم لخطبة أم سلمة بعد أن ردت كلًا من أبي بكر وعمر، إذ بعث إليها رسول اللَّه ﷺ من يخطبها عليه، فقالت: «مرحبًا برسول اللَّه وبرسوله، أَخبْر رسول اللَّه ﷺ أني امرأة غَيْرَى، وأني مُصْبيةِ، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد»(3).

ثم إن رسول اللَّه ﷺ أجابها عما أثارته من إشكالات بقوله: «أما قولك إني مُصْبِية، فإن اللَّه سيكفيك صبيانك، وأما قولك إني غَيْرَى فأدعو اللَّه أن يذهب غَيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد، ولا غائب إلّا سيرضاني»(4) فقالت: قم يا عمر -أي ابنها- فزوِّجْ رسول الله(5).

ذكر ابن زَبَالة حديثًا آخر عن خطبة رسول اللَّه ﷺ لأم سلمة، وهو في غاية الاختصار، وهو أن رسول اللَّه ﷺ خطب أم سلمة، قالت:

= اللَّه ﷺ على أم سلمة تفاصيل مختلفة يحسن الرجوع إليها، ص ص138ـ139.

(1) انظر ابن سعد، 8/ 88ـ93.

(2) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 89.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 89.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 89.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 90.

كيف بي ورجالي في مكة؟ فقال النبي ﷺ: «يزوجك ابنك ويشهد لك رجال من أصحابي»، فاجتمعوا لذاك فخطبها إلى ابنها ...[1].

إن التساؤل الذي قد يثار هنا هو ما يتعلق بابن أم سلمة الذي تولى عقد نكاح والدته. إذ إن الرواية التي أوردها ابن سعد تذكر أن عمر ابن أُم سلمة هو الذي تولى عقد نكاحها! وكان سن عمر عندما توفي رسول اللّه ﷺ تسع سنين[2] ومعلوم أن رسول اللّه ﷺ قد تزوج بأم سلمة في شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة[3]. ويكون عمره عند عقد قران أُمه برسول اللّه حوالي ثلاث سنين.!! وهل يجوز هذا! بل لعل ما يزيد الأمر إشكالًا، هو ما ذكره ابن الأثير من أن عُمر ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة[4]. ومما يدعو للتشكيك في هذه الرواية هو أن أبا سلمة بن عبد الأسد، والد عمر كان ممن شارك في غزوة بدر التي وقعت في رمضان من السنة الثانية للهجرة[5]. ويفترض كذلك أن أم سلمة كانت في المدينة في حينها. ثم ماذا عن سلمة بن أبي سلمة الذي تحدثت المصادر عنه وعن خلع يده بين المتنازعين فيه عشية هجرة أسرته من مكة إلى المدينة، إذ يفترض أنه هو الابن الأكبر لأسرة أبي سلمة، حيث إن أباه، أبا سلمة، وأمه أم سلمة، كانا يكنيان به[6].

(1) ابن زَبَالة، ص62.

(2) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 3/ 345.

(3) ابن سعد، 8/ 87؛ ذكر أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص56، أن رسول اللّه ﷺ تزوج بأم سلمة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وهذا زعم يخالف المشهور من الروايات المتعلقة بالزواج وتاريخه.

(4) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 3/ 345.

(5) ابن هشام، 2/ 238.

(6) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 357.

بل لعل ما يزيد الأمر التباسًا هو ما جاء في رواية ابن الأثير، التي ذكر فيها: أن سلمة هو الذي عقد النكاح لرسول اللَّه ﷺ على أُمه أم سلمة، وكان أسنّ من أخيه عمر بن أبي سلمة[1].

وذكر ابن إسحاق أن الذي تولى عقد نكاح أم سلمة، ابنها سلمة، فزوّجه رسول اللَّه ﷺ ابنة عمه، حمزة [بن عبدالمطلب]، وهما صبيان صغيران، فلم يجتمعا حتى ماتا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «هل جزيت سلمة بتزويجه إياي أُمه»[2].

أما بشأن مهر أُم سلمة، فلا بد وأن رسول اللَّه ﷺ قد أمهرها مثل بقية نسائه أي خمس مئة درهم[3]. ويتبع في العادة هذا المهر شيء من أثاث البيت، فقد أصدق رسول اللَّه ﷺ أم سلمة: صحفة كثيفة، وفراشًا حشوه ليف، ومجشّة، أي الرحا[4].

وجاء عند ابن سعد أن رسول اللَّه ﷺ أعطى أم سلمة؛ رحيين، وجرتين، ووسادة من أدم حشوها ليف[5]. وذكر البلاذري عن الأثاث المنزلي الذي دفعه رسول اللَّه ﷺ لأم سلمة شيء من الاختلاف عن رواية ابن سعد، قال رسول اللَّه ﷺ لأم سلمة: «لك عندنا قطيفة

---

(1) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 357.

(2) ابن إسحاق، ص261؛ قارن ابن سعد، 8/ 160؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 357 (ت: 2173).

(3) انظر ابن سعد، 8/ 161.

(4) ابن زَبَالة، ص62؛ حماد بن إسحاق، **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى (د: م، د: ن، 1404هـ/ 1984م)، ص16.

(5) ابن سعد، 8/ 90.

تلبسينها في الشتاء وتفرشينها في الصيف، ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحيان تطحنين بهما وجرتان في أحدهما ماء وفي الأخرى دقيق، وجفنة تعجنين فيها وتثردين فيها»، فقالت أم سلمة: رضيت، فكان ذلك مهرها[1].

وغني عن القول أن ما جاء من تفاصيل في هذه الرواية عن كيفية استخدام هذه الأواني مدعاة للشك في أصلها إذ إن أم سلمة وهي أم أولاد وربة بيت ليست في حاجة لمن يعلمها كيفية استخدام هذه الآنية!

ثم تتحدث أم سلمة عن ليلة دخول رسول اللَّه ﷺ بها، فتقول، قال رسول اللَّه ﷺ إني آتيكم الليلة» قالت: وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي وأخرجت شحمًا؛ فعصدته له، ثم بات ثم أصبح، وقال حين أصبح: «إن بك على أهلك كرامة فإن شئت سبّعت لك، وإن أسبِّعْ لك أسبع لنسائي»[2]. ويقصد بالتسبيع أي يقيم معها سبع ليال واللافت في هذه الرواية الطعام المتواضع الذي صنعته أم سلمة لسيد المرسلين، أي عصيدة شعير في ليلة عرسه!

وجاء في رواية أُخرى عند ابن سعد، أن رسول اللَّه ﷺ أقام عند أم سلمة ثلاث ليال[3]. وكانت أم سلمة على جانب كبير من الجمال والجاذبية، فقد جاء عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحدٌ» فلمّا تزوج أم سلمة سُئل ﷺ فقيل: يا رسول اللَّه

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 431.
(2) ابن سعد، 8/ 94.
(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 94.

ما فعلت الشُّعبة؟ فسكت رسول اللَّه ﷺ فعُرِف أن أُم سلمة، قد نزلت عنده[1] أي إنها قد احتلت مكانة في نفسه.

ولهذا فقد كانت عائشة تغار من جمال أم سلمة، وتحدثت عن ذلك صراحة، فقالت: «لما تزوج رسول اللَّه ﷺ أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا لنا من جمالها، قالت: فتلطفتُ لها حتى رأيتها واللَّه أضعاف ما وصفت لي في الحُسن والجمال»[2].

ولعل ما يدعو للتساؤل في سياق زواج رسول اللَّه ﷺ من أم سلمة هو الإشارة المتكررة إلى زينب بنت أبي سلمة، فقد ذكرت أم سلمة في حديثها عن خطبة الرسول ﷺ لها؛ أنها لما وضعت زينب، جاء رسول اللَّه ﷺ لخطبتها[3]. وقالت في موضع آخر: فتزوجها رسول اللَّه ﷺ فجعل يأتيها فيقول: «أين زناب»؟ حتى جاء عمار بن ياسر، فأخذها، وقال: هذه تمنع رسول اللَّه وكانت ترضعها[4].

لكن لعل ما يلقي بظلال كثيفة من الشك حول هذه الرواية ذات الصلة برضاعة زينب وقت زواج رسول اللَّه ﷺ من أمها أم سلمة، هو ما تواتر في أخبار السيرة من أن زينب كانت من مواليد الحبشة في أثناء هجرة والديها[5]. إن الأمر لا يخلو من لبس إذ ربما اشتبه الأمر على بعض الرواة وخلط بين زينب وأختها دُرّةَ.

---

(1) ابن سعد، 8/ 94.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 94.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 94.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 93ـ94.

(5) ابن هشام، 1/ 363؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 207؛ ابن سعد، 8/ 87؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 299ـ300.

بل لعل الأمر الأكثر غرابة، بخصوص زينب بنت أبي سلمة، أنه لم يأت لها ذكر حين أزمع أهلها الهجرة إلى المدينة، حيث كان محور النزاع أخوها سلمة الذي كان صغيرًا حينها، أما هي فلم تأت الإشارة إليها في سياق ذلك الحدث[1].

وبالمجمل فإن أبناء أبي سلمة، سلمة وعمر وزينب ودُرة، موضع خلاف من حيث مقدار أعمارهم حين زواج رسول اللَّه ﷺ من والدتهم أم سلمة. فمن المعلوم مثلًا أن زينب من مواليد الحبشة، ثم يفاجأ القارئ بأنها كانت رضيعًا حين دخل رسول اللَّه ﷺ بأمها![2]. وأن أخاها عمر بن أبي سلمة، كان من مواليد الحبشة في السنة الثانية من الهجرة[3] وأنه هو الذي تولى عقد قران أمه على رسول اللَّه ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة! «وهو يومئذ غلام صغير»[4].

أما دُرّة بنت أبي سلمة، فلم تذكر المصادر شيئًا عن تاريخ ميلادها، ولا مكانه[5]، وليس من المستبعد أنها تصغر أختها زينب، وربما أنها من مواليد المدينة. ومما يثير التساؤل حول حقيقة سن دُرّة،

---

(1) راجع ابن هشام، 2/ 82.

(2) انظر ابن سعد، 8/ 93.

(3) ابن الأثير، 3/ 344ـ345.

(4) ابن سعد، 8/ 92.

(5) المصعب الزبيري، ص337، واللافت أن المصعب ذكر ثلاثة من أبناء أبي سلمة وهم: عمر ودُرّة، وزينب، ولم يذكر شيئًا عن سلمة!، ابن الأثير، 5/ 277 (ت: 6905)؛ ويلاحظ كذلك أن ابن قتيبة، ذكر أولاد أم سلمة من أبي سلمة، زينب وعمر، ولم يذكر شيئًا عن سلمة ودُرّة!!. انظر عبداللَّه بن مسلم بن قتيبة، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص136.

هو إشاعة رغبة الرسول ﷺ بالزواج منها، فقد سألت أم حبيبة ـ زوجة الرسول ـ رسول اللّه ﷺ قائلة: إنّا تحدثنا أنك ناكح دُرّة بنت أبي سلمة. فقال رسول اللّه ﷺ: «أعلى أم سلمة، لو أني لم أنكح أم سلمة لما حلت لي، إن أباها أخي من الرضاعة»[1].

من خلال ما تقدم من روايات لا ينقصها الغموض بل والتعارض أحيانًا حول أعمار أبناء أبي سلمة غداة دخول رسول اللّه ﷺ بأمهم أم سلمة، فإنه يمكن القول: إذا كانت الروايات التي تحدثت عن زينب وأنها من مواليد الحبشة على جانب من الدقة، فإنه من الصعب بل من المستحيل قبول ما تردد من روايات من أن زينب كانت رضيعًا حين دخل رسول اللّه ﷺ بأمها.

أما ما يتعلق بأي الأخوين سلمة أم عمر الذي تولى عقد قران أمه على رسول اللّه ﷺ، فإن الإجابة الحاسمة ليست بذات أهمية إذ يبدو أن الأخوين كانا متقاربين في السن، ومن ثم اشتبه الأمر على الرواة أي الأخوين الذي تولى عقد قران أمه على رسول اللّه ﷺ ولو أن احتمال كون سلمة هو عاقد القران أقرب.

وإذا أمكن تجاوز هذه الإشكالية بكل تعقيداتها، فإن السؤال الذي ربما يكون أكثر أهمية هو: ما سبب إلحاح النبي ﷺ على الاقتران بأم سلمة، هل الأمر له علاقة مباشرة بجمالها؟ أم لعراقة نسبها إذ إنها من بني مخزوم؟.

في حقيقة الأمر فإنه يبدو أن لا علاقة للأسئلة السابقة برغبة رسول

(1) البخاري، ص1112 (ح: 5123)؛ ابن الأثير، 5/ 277.

اللَّه ﷺ بالاقتران بأم سلمة، بل إن هناك أسبابًا تبدو أكثر وجاهة هي التي دفعت بالرسول ﷺ لإظهار رغبته الأكيدة بالزواج من أم سلمة. وهي دوافع يظهر أنها كانت محاولة من النبي ﷺ لأن يكافئ أبا سلمة، وأم سلمة على ما قدماه من تضحيات في سبيل الإسلام. ومن المعلوم جيدًا أن أبا سلمة وزوجه قد هاجرا الهجرتين إلى بلاد الحبشة[1]، وتذوقا هناك مرارة الغربة وفراق الأهل ومعاناة حياة المنفى.

وأمر آخر وهو عندما عادت الأسرة من الحبشة إلى مكة، ثم أزمعت الهجرة إلى المدينة، حدثت المحنة الثانية وهي التفريق بين أبي سلمة وزوجه أم سلمة وابنهما سلمة، مما اضطر أبا سلمة إلى ترك أهله في مكة والفرار بدينه إلى عاصمة الإسلام الأولى «المدينة» فكان أبو سلمة أول من قدم المدينة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ بعد أن أذن لهم بالهجرة إليها[2].

ثم ما تلا ذلك من محنة أم سلمة، بتشتت أسرتها والإبقاء عليها حبيسة في مكة لدى قومها بني مخزوم قرابة عام[3].

إضافة إلى كل ما تقدم فإن أبا سلمة بن عبدالأسد، هو في حقيقة الأمر ابن عمة رسول اللَّه ﷺ بَرّة بنت عبدالمطلب، وهو أخو رسول اللَّه ﷺ من الرضاعة وأخو حمزة من الرضاعة كذلك، أرضعتهم ثويبة، مولاة أبي لهب[4].

---

(1) ابن هشام، 1/ 363ـ364؛ ابن سعد، 1/ 207، 204.

(2) ابن سعد، 1/ 226.

(3) ابن هشام، 2/ 82ـ83.

(4) ابن الأثير، **أسد الغابة**، 3/ 10ـ11؛ وقارن ابن سعد، 1/ 108ـ110؛ الذهبي، =

لذلك فليس مستغربًا من رسول اللَّه ﷺ أن يضم أرملة ابن عمته تحت جناحه وتحت عصمته، وأن يتكفل بأولادها الصغار الذين كانوا في مسيس الحاجة إلى من يعوضهم حنان الأبوه ويحوطهم بالرعاية، ومن هو الأفضل والأقدر على ذلك من رسول اللَّه ﷺ؟!.

إن قرار الرسول ﷺ بالزواج من أم سلمة، هو قرار في غاية النبل والوفاء لأسرة دخلت في الإسلام في أيام دعوته الباكرة، وهاجرت في سبيل دينها بعيدًا عن وطنها، ثم استشهد رب الأسرة دفاعًا عن الإسلام. فكان زواج رسول ﷺ من أم سلمة هو المكافأة اللائقة لهذه الأرملة وأبنائها. إضافة إلى تلك الأسباب فليس من المستبعد أن رغبة رسول اللَّه ﷺ بالزواج من أم سلمة هو دعوة قومها بني مخزوم إلى الإسلام.

وربما في اليوم الثاني من الزواج أقام رسول اللَّه ﷺ وليمة بهذه المناسبة وكانت في غاية البساطة والتواضع، فهي عبارة عن تمر وسويق[1].

ثم انتقل رسول اللَّه ﷺ بأم سلمة إلى بيوته الملاصقة للمسجد النبوي من الجهة الشرقية، فأسكنها في بيت زينب بنت خزيمة (ت: 4هـ/ 625م) المعروفة بأم المساكين، لحدبها وشفقتها عليهم، إذ لم تمكث مع رسول اللَّه ﷺ طويلًا ، فقد توفيت، بعد ثمانية أشهر من

= 2/ 202ـ204؛ يوسف بن حسن المقدسي، **الشجرة النبوية في نسب خير البرية** ﷺ، تحقيق محيي الدين ديب مستو، الطبعة الثانية (دمشق: دار الكلم الطيب، 1415هـ)، ص80.

(1) ابن اسحاق، ص261.

الزواج، في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهرًا من الهجرة[1].

وبعد أن انتقلت أم سلمة إلى بيت زينب بنت خزيمة، وجدت في البيت جرة فيها شيء من شعير، ووجدت رحى وبُرمة وقدرًا، ووجدت في القدر شيء من شحم. قالت أم سلمة: «فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الإهالة «الشحم» فأدمته به، قالت: فكان ذلك طعام رسول اللّه ﷺ وطعام أهله ليلة عرسه»[2].

ويعلق المطلب بن عبداللّه بن حنطب[3] على ذلك بالقول: «دخلت أيّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروسًا، وقامت من آخر الليل تطحن»[4].

ربما يلاحظ القارئ شيئًا من التداخل أو التكرار في موضوع الطعام الذي صنعته أم سلمة لرسول اللّه ﷺ ليلة العُرس أو بعده، وهذا ما لا يمكن إنكاره. فالمرة الأولى التي صنعت فيها أم سلمة الطعام لرسول اللّه ﷺ، كان في الليلة التي دخل فيها عليها في بيتها قبل الانتقال بها ربما في اليوم الثاني إلى بيت زينب بنت خزيمة.

أما المرة الثانية التي صنعت فيها أم سلمة الطعام لرسول اللّه ﷺ

---

(1) ابن سعد، 8/ 115 ـ 116.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 92.

(3) المطلب بن حنطب: هو المطلب بن عبداللّه بن حنطب المخزومي، روي عن عمر وأبي موسى الأشعري وأم سلمة. أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 5/ 440 ـ 441 (ت: 7914 ـ د 4).

(4) ابن سعد، 8/ 92.

فهي عندما انتقلت إلى بيت زينب الملاصق لمسجد النبي، حيث وجدت بقايا من شعير وشحم وبعض الآنية فصنعت لرسول اللّه ﷺ عصيدة شعير[1].

ولذلك فإنه في ضوء هذا التوضيح يمكن التخفيف من وقع عبارة ابن حنطب التي قال فيها إن «أيِّم العرب قامت من آخر الليل تطحن»[2] إذ لا حاجة لأم سلمة أن تقوم من آخر الليل لتطحن الشعير وتصنع الطعام لرسول اللّه ﷺ.

إن القارئ المختص قد لا يهتم كثيرًا بمثل هذه التفاصيل الصغيرة، حول ماذا طبخت أم سلمة لرسول اللّه ﷺ في الليلة الأولى للزواج، أو ماذا طبخت في الليلة الثانية، ولكن من الضروري بالنسبة للقارئ العادي أن يطلع على هذه التفاصيل الصغيرة والتي ربما تعد من وجهة نظره في غاية الأهمية إذ من خلالها يتعرف على ظروف المعيشة في ذلك الوقت ونوع الطعام السائد، والآنية التي يُعد فيها والتي كانت متداولة حينذاك[3].

ولعل ما يلفت النظر في سيرة أم سلمة هو قوة شخصيتها، وتتجلى تلك القوة في موقفها من خطبة الرسول ﷺ لها، فقد تمنَّعت وترددت في القبول بالاقتران بالرسول ﷺ ليس زهادة فيه ولا رغبة بغيره عنه،

---

(1) ابن سعد، 8/ 92.

(2) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 92.

(3) بخصوص الأطعمة التي كانت سائدة في عصر الرسول ﷺ انظر محمد بن فارس الجميل، **الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ**، الحولية السابعة عشرة (الكويت: حوليات كلية الآداب، 1416هـ/ 1417هـ).

فهي تعرف حق المعرفة أن سعادتها الحقيقية مقرونة بالارتباط بالنبي الكريم، وأي امرأة يمكن أن ترغب عن رسول اللّه ﷺ وترفض الزواج منه؟ إن أم سلمة مدركة تمام الإدراك أن زواجها من رسول اللّه ﷺ شرف لا يدانيه شرف، ولكنها تخشى ألا تفي بحقوقه الزوجية، وتخشى أن تجلب له الضيق وعدم الراحة بسبب أولادها الأربعة، إضافة إلى أمر النفقة عليهم، وفي حديثها مع رسول اللّه ﷺ في أمر الزواج كشفت له عن سر مهم في شخصيتها ألا وهو «الغَيرَة» فتقول لرسول اللّه ﷺ عندما تقدم لخطبتها: «... وإني شديدة الغَيرَة»[1] ثم تكشف للرسول ﷺ عن سر آخر من أسرار حياتها وهو السر الذي قلما تبوح به أنثى على وجه الأرض ألا وهو «السن» فتقول: «إني امرأة مسنة..»[2] وفي رواية أخرى أنها قالت لرسول اللّه ﷺ «... إني امرأة قد أدبر مني سني ...»[3] فأي امرأة تستطيع أن تكاشف من تقدم لخطبتها بهذه الأمور التي تعد من أخص خصوصياتها، لولا ثقة أم سلمة بنفسها وحبها لرسول اللّه ﷺ وتقديرها العظيم له، فهي لا تريد منه الإقدام على الزواج منها ثم يتبين فيما بعد أن فيها عيوبًا لا يستطيع التغاضي عنها مثل كِبَرْ السن، وأهم من هذا: الغَيرَة.

وعلى الرغم من مفاتحتها لرسول اللّه ﷺ بهذه الأمور الخاصة، فقد ظل يبدي رغبة صادقة بالزواج منها، ويُلِحُّ في ذلك! فقد جاء في رواية عند ابن إسحاق، قال: كان رسول اللّه ﷺ يخطب أم سلمة،

---

(1) ابن سعد، 8/ 91.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 91.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 90.

فيجلس على أسكَفة الباب ويضع ثوبه ويتكئ عليه ويقول: «إن كان إن ما بك أن أزيدك في الصداق زدتك وإن أردت أن أزيد النسوة»[1]. وواضح من هذه الرواية مبالغتها في تصوير رغبة رسول اللَّه ﷺ بالزواج من أم سلمة!.

ومن جوانب قوة شخصية أم سلمة حصافة الرأي لديها، فقد حدث في صلح الحديبية (6هـ/ 627م) كما هو مشهور أنه عندما تمّ عقد الصلح بين النبي ﷺ وأهل مكة شعر بعض المسلمين بالغبن، وعندما أمرهم رسول اللَّه ﷺ بنحر الهدي لمن كان معه هَدْي، والحلق، «قوموا فانحروا واحلقوا» فلم يجبه رجل إلى ذلك، انصرف رسول اللَّه ﷺ ودخل على أم سلمة، مغضبًا شديد الغضب، وكانت معه في سفره ذلك، وأخبرها بتردد أصحابه في القيام بالنحر والحلق، والتحلل، فقالت له: «يا رسول اللَّه! انطلق أنت إلى هديك فانحره، فإنهم سيقتدون بك». وفعلًا أخذ رسول اللَّه ﷺ بنصيحة أم سلمة، فخرج وأخذ حربته ونحر هديه رافعًا صوته، «بسم اللَّه واللَّه أكبر». قالت أم سلمة: «فما أن رأوه نحر فتواثبوا إلى الهدي فازدحموا عليه، حتى خشيت أن يغمّ بضعهم بعضًا»[2].

وهكذا وبفضل مشورة هذه السيدة الفاضلة، تمّ بفضل اللَّه احتواء مشكلة كادت أن تهزّ مبدأ الطاعة والانقياد لأمر القيادة المتمثلة بالرسول ﷺ، حيث عادت ثقة المسلمين بصواب ما أقدم عليه رسول

---

(1) ابن إسحاق، ص260.

(2) الواقدي، 2/ 613؛ وقارن الطبري، 2/ 637؛ وانظر بشأن شروط صلح الحديبية البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 349ـ 351.

اللَّه ﷺ بشأن الصلح، وقاموا بتنفيذ ما أمرهم به من نحر الهدي والحلق والتحلل.

وتبرز بعض الروايات وجهًا آخر من قوة شخصية أم سلمة، فهي تتمتع بشجاعة أدبية نادرة، وهي تدافع عن حقها وعن رأيها دون تردد، وهي ترد بقوة من يحاول التدخل بشأنها الأُسري أو علاقتها بالنبي ﷺ؛ ولعل أشهر ما حدث في هذا الخصوص هو عندما اعتزل النبي ﷺ نساءهُ، حين ألححْنَ عليه في التوسع عليهن في النفقة[1].

فسارع أبو بكر وعمر بالطواف على نساء النبي ﷺ واحدة واحدة وحَثَّهِنَّ على عدم إرهاق النبي ﷺ والطلب منه ما ليس عنده حتى دخلا على أم سلمة فذكرا لها ما ذكرا لأزواج النبي ﷺ وكان ردّ أم سلمة حاسمًا إذ قالت لهما: ما لكما ولما ها هنا! رسول اللَّه ﷺ أعلى بأمرنا عينًا، ولو أراد أن ينهانا لنهانا، فمن نسأل إذا لم نسأل رسول الله؟ هل يدخل بينكما وبين أهليكما أحد؟ فما تكلفكما هذا؟ ثم خرجا من عندها، فقال أزواج النبي ﷺ لأم سلمة: «جزاكِ اللَّه خيرًا حين فعلت ما فعلت، فما قدرنا أن نرد عليهما شيئًا»[2].

وهكذا فأم سلمة هي الوحيدة من أزواج النبي ﷺ التي وقفت في وجه أقرب أصحاب رسول اللَّه ﷺ إليه وأعظمهما شأنًا في نفسه، وطلبت منهما عدم التدخل في شأن النبي ﷺ وأزواجه. وتعلن موقفها هذا بكل جرأة ووضوح في الوقت الذي لم تجرؤ فيه واحدة من أزواج

(1) ابن سعد، 8/ 179 ـ 180.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 180.

النبي ﷺ على الإفصاح عن موقفها أمام الصحابيين الجليلين، أبي بكر وعمر، لذلك فقد شكرن أم سلمة، وقلن لها: ما قلن[1].

وفي السياق ذاته، ربما في اليوم الأول للأزمة بين النبي ﷺ وأزواجه أو في اليوم الثاني، دخل عمر بن الخطاب على أم سلمة، فقال: «يا أم سلمة، وتُكَلِمنَ رسول اللَّه، وتراجعنه في شيء! فقالت أم سلمة: واعجباه! وما لك والدخول في أمر رسول اللَّه ونسائه! أي واللَّه إنّا لنكلّمه فإن حمل ذلك كان أولى به وإن نهانا كان أطوع عندنا منك». قال عمر: «فندمت على كلامي لنساء النبي بما قلت»[2]. وهكذا فالروايات السابقة تصور أم سلمة ذات شخصية متفردة، تميزها عن بعض أزواج النبي ﷺ، فهي تدافع عن حقها، ولا ترضى من أحد أن يتدخل في شأنها العائلي وعلاقتها الزوجية، بحكم أنها أمور ذات خصوصية بالغة ليس من حق أحد أن يتدخل فيها.

ومن فرط قوة شخصية أم سلمة وثقتها بنفسها، وربما أيضًا لمكانتها عند رسول اللَّه ﷺ فقد توسطت لديه في أمر ربما قد يحجم بعض كبار الصحابة عن الدخول فيه، فقد حدث ورسول اللَّه بالقرب من مكة في الطريق لفتحها (8هـ/ 629م) أن اعترضه أبو سفيان بن الحارث[3]

---

(1) ابن سعد، 8/ 189.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 189.

(3) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. كان معاديًا للإسلام والرسول ﷺ ثم أسلم عام الفتح سنة 8هـ وشارك في غزوة حنين والطائف وتوفي سنة 20هـ في خلافة عمر بن الخطاب. ابن الأثير، **أسد الغابة**، 4/ 470ـ 471 (ت: 5967).

وعبداللّه بن أبي أمية[1]، فطلبا الدخول عليه وطلب العفو منه، ولكن رسول اللّه ﷺ أبي دخولهما ورفض مقابلتهما. فجاء دور أم سلمة، «فقالت: يا رسول اللّه! صهرك وابن عمتك، وابن عمك وأخوك من الرضاعة! وقد جاء اللّه بهما مسلمين، لا يكونان أشقى الناس بك»[2].

فقال رسول اللّه ﷺ: «لا حاجة لي بهما، أما أخي [أبو سفيان ابن الحارث] فالقائل لي بمكة ما قال؛ لن يؤمن لي حتى أرقى في السماء، وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ...﴾[3] الآية [4]. ولكن أم سلمة لم تكْتَفِ بهذا الرد من الرسول ﷺ وتلوذ بالصمت، بل واصلت حوارها معه، فقالت: «يا رسول اللّه! إنما هو من قومك ما هو [تعني: أبا سفيان بن الحارث] وقد تكلم، وكل قريش قد تكلم، ونزل القرآن فيه بعينه، وقد عفوت عمن هو أعظم جرمًا منه، وابن عمك وقرابته بك. وأنت أحق الناس عفوًا عن جرمه»[5].

---

(1) عبداللّه بن أبي أُمية: هو ابن المغيرة المخزومي، وهو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، عمة رسول اللّه ﷺ، وكان يقال لأبيه أبي أمية: زاد الراكب، وكان عبداللّه بن أبي أمية شديدًا على المسلمين، مخالفًا لرسول اللّه ﷺ وهو الذي قال له: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ... الآية وهاجر إلى النبي ﷺ قبيل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث، فلقيا النبي ﷺ بالطريق، وأسلما بين يديه وعفي عنهما. شهد فتح مكة، وحنين والطائف ومات في حصار الطائف. ابن الأثير، **أسد الغابة**، 2/ 552ـ553.

(2) الواقدي، 2/ 810.

(3) سورة الإسراء، الآية: 93.

(4) الواقدي، 2/ 810.

(5) المصدر السابق نفسه، 2/ 811.

واللافت في الأمر هو أن استبسال أم سلمة في الشفاعة لدى رسول اللّه ﷺ كان من أجل ابن عمه، أبي سفيان بن الحارث، أما أخوها عبداللّه بن أبي المغيرة، فقد أشارت إليه عرضًا في شفاعتها، إذ إن عبداللّه قدم نفسه أمام رسول اللّه ﷺ قائلًا: «إنما جئت لأصدقك، ولي من القرابة ما لي والصهر بك»[1].

ثم ما زالت أم سلمة تكلم رسول اللّه ﷺ فيهما حتى رقَّ لهما فأذن لهما فدخلا فأسلما، وكانا جميعًا حسني الإسلام[2]. وقد كانت أم سلمة ترافق رسول اللّه ﷺ في بعض مغازيه فقد قيل إنها كانت مع رسول اللّه ﷺ في غزوة المريسيع سنة 5هـ[3]، وكانت مع رسول اللّه ﷺ في غزوة الأحزاب في السنة نفسها وربما أنها المرة الأولى التي ترافق فيها رسول اللّه ﷺ في غزواته[4].

كما كانت أم سلمة مع رسول اللّه ﷺ في صلح الحديبية سنة (6هـ/ 627م)[5]، وكذلك في السنة السابعة من الهجرة كانت أم سلمة مرافقة لرسول اللّه ﷺ في غزوة خيبر (7هـ/ 628م)[6].

وعندما توجه الرسول ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة قاصدًا مكة في غزوة الفتح، كانت أم سلمة في ركابه، وحضرت معه في

---

(1) الواقدي، 2/ 811.

(2) المصدر السابق نفسه، 2/ 811.

(3) المصدر السابق نفسه، 1/ 2، 407/ 426. وهو أمر مشكوك فيه إذ ورد من الروايات ما يؤكد عدم خروج أم سلمة في تلك الغزوة كما سيتبين لاحقًا.

(4) المصدر السابق نفسه، 2/ 454.

(5) الواقدي، 2/ 613، 574؛ الطبري، 2/ 637.

(6) الواقدي، 2/ 685؛ ابن سعد، 8/ 292.

السنة نفسها غزوة حنين، وحصار الطائف[1]. أما أطول مسيرة رافقت فيها أم سلمة رسول اللَّه ﷺ فكانت في غزوة العُسرة، أي غزوة تبوك (9هـ/ 630م)[2]، وكانت آخر مغازي رسول اللَّه ﷺ، ومن جهة أخرى، فطالما فخرت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر على بقية نساء النبي ﷺ بعدة ميزات، منها أو ربما أهمها أن الوحي ينزل على رسول اللَّه ﷺ وهو مع عائشة، قالت: «وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري ...»[3].

ولكن يبدو أن أم سلمة كان لها شرف نزول الوحي على رسول اللَّه ﷺ وهو معها، لذلك فقد نازعت عائشة هذا الشرف، جاء عن أم سلمة أنها قالت: «إنَّ توبة أبي لُبابة[4] نزلت في بيتي ...»[5].

أما المناسبة الثانية التي نزل فيها الوحي على رسول اللَّه ﷺ في بيت أم سلمة، فكان لأمر يتعلق بتوبة اللَّه عز وجل، على كعب بن مالك، وصاحبيه[6].

---

(1) الواقدي، 2/ 3 ،829/ 926؛ وقارن ابن إسحاق، 4/ 135.

(2) الواقدي، 3/ 1036.

(3) انظر ابن سعد، 8/ 63ـ64.

(4) أبو لبابة: رفاعة بن عبدالمنذر، كان نقيبًا، شهد العقبة، واستخلفه رسول اللَّه ﷺ على المدينة يوم بدر، واستخلفه رسول اللَّه ﷺ على المدينة في غزوة السويق، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. وتوفي أبو لبابة في خلافة علي بن أبي طالب. ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 81ـ83 (ت: 6207).

(5) الواقدي، 2/ 805.

(6) كعب بن مالك: هو ابن أبي كعب السلمي الخزرجي، شهد العقبة، ولم يتخلف عن رسول اللَّه ﷺ إلّا في غزوة بدر وتبوك، وكان من شعراء رسول اللَّه ﷺ. ابن الأثير، **أسد الغابة**، 3/ 537ـ538 (ت: 4485).

قالت أم سلمة: قال لي رسول اللَّه ﷺ من الليل: يا أُم سلمة، قد نزلت توبة كعب بن مالك وصاحبيه. فقلت: يا رسول اللَّه: ألا أرسلتُ إليهم فأُبشِّرِهم؟ ...»[1].

وإذا كان بالإمكان قبول هاتين الروايتين، فإن ذلك يتعارض مع ما روي عن رسول اللَّه ﷺ، عندما قال لإحدى زوجاته، وهي تتحدث معه في شأن عائشة، قال: «لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم ينزل عليَّ في لحاف واحدة منكن غير عائشة»[2]. ولكن يجب التنبيه هنا بأنه إذا كان المقصود باللحاف هنا الفراش، أي إن الوحي ينزل على رسول اللَّه ﷺ وهو في فراش عائشة، فإن أم سلمة تفقد هذه الميزة، وتبقى عائشة متفردة بها دون بقية نساء النبي ﷺ.

ومن ناحية أخرى فإن أُم سلمة تتميز عن بقية نساء النبي ﷺ بأنها ذات غنى ويسار، وهي الوحيدة من أمهات المؤمنين التي أقامت جدران حجرة بيتها من الطين، بدلًا من العُسب وأغصان الشجر ولما سألها رسول اللَّه ﷺ: «ما هذا البناء»؟ قالت: «أردت يا رسول اللَّه أن أكف أبصار الناس ...»[3] وعلى الرغم من غناها، فقد كانت تحسن إصلاح الجلود ودباغتها بنفسها[4].

ومن الأمارات الأخرى على غنى أم سلمة، هو كثرة مواليها، إذ لا أحد من أزواج النبي ﷺ يدانيها في هذا، فكان لها من الموالي: شيبة

(1) الواقدي، 3/ 1053.

(2) ابن سعد، 8/ 163.

(3) المصدر السابق نفسه، 1/ 499.

(4) انظر المحب الطبري، ص138.

ابن نصاح بن سرجس، وكان إمام أهل المدينة في القراءة، ومن مواليها أيضًا أبو ميمونة، ومهران، ونبهان، وخيرة، أم الحسن البصري[1].

ويضيف العسقلاني بعض الأسماء من موالي أم سلمة، مثل: عبدالله بن رافع ونافع وسفينة وابنه وأبو كثير[2]. مما سبق يظهر أن أم سلمة دون نساء النبي ﷺ كانت في سعة من العيش، وإن كانت المصادر المتوافرة لا تفصح عن أسباب ذلك، وكل ما يمكن الاستدلال عليه هو أن رسول الله ﷺ قسم لنسائه من مغانم خيبر مئة وثمانين وسقًا من قمح خيبر[3]. وجاء عند الواقدي، أن رسول الله ﷺ أطعم أم سلمة من مغانم خيبر ثمانين وسقًا تمرًا، وعشرين وسقًا شعيرًا، أو قال، قمحًا[4].

وفي خلافة عمر بن الخطاب، فرض لأم سلمة العطاء، وقدره عشرة آلاف درهم مثل بقية أزواج النبي ﷺ ما عدا عائشة فقد فضلها عمر عليهن بزيادة ألفين لحب رسول الله ﷺ إياها[5].

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاتها، فقيل: إنها توفيت في شوال سنة 59هـ[6]، وقيل في شهر رمضان سنة 59هـ[7]، وقيل إنها توفيت سنة إحدى وستين 61هـ في يوم عاشوراء[8].

---

(1) ابن قتيبة، ص146، 139؛ ابن سعد، 8/ 178.

(2) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4/ 2703.

(3) انظر ابن هشام، 3/ 383. رواية ابن هشام عن نصيب نساء النبي ﷺ من مغانم خيبر تحتاج إلى إعادة نظر.

(4) انظر ابن سعد، 8/ 96.

(5) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 444.

(6) ابن سعد، 8/ 96.

(7) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 432.

(8) المصدر السابق نفسه، 1/ 432؛ وقارن الذهبي، 2/ 207.

وكانت وفاة أُم سلمة، بعد أن عاشت عمرًا طويلًا حيث كانت قد بلغت عند وفاتها أربعًا وثمانين سنة[1]. وتعدُّ أُم سلمة آخر نساء النبي ﷺ لحوقًا به وروت عن رسول اللَّه ﷺ ثلاث مئة وثمانية وتسعين حديثًا[2].

رحم اللَّه أم سلمة، أم المؤمنين وأسكنها فسيح جناته، وجمعها بزوجها الحبيب، محمد رسول اللَّه ﷺ.

(1) ابن سعد، 8/ 96.

(2) الذهبي، 2/ 210.

- 5 -

جويرية بنت الحارث

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق من خزاعة[1]، وكانت جويرية من ضمن سبايا غزوة بني المصطلق في شعبان سنة (5هـ/ 626م)[2] وقد وقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فكاتبته على نفسها، وقد جاء في مكاتبتها وعتقها وزواج رسول اللّٰه ﷺ بها أكثر من رواية.

---

(1) ابن سعد، 8/ 5، 116/ 242ـ243.

(2) موسى بن عقبة، **المغازي**، جمع ودراسة محمد باقشيش أبو مالك (الرباط: مطبعة المعارف، د. ت)، ص229؛ الواقدي، 1/ 404؛ ابن سعد، 2/ 63؛ غزوة بني المصطلق، تسمى أيضًا غزوة المريسيع نسبة إلى مورد الماء الذي وقعت عنده الغزوة. وتاريخ الغزوة موضع خلاف بين الرواة، فقد ذكر ابن إسحاق أن الغزوة وقعت في شعبان سنة 6هـ وتابعه الطبري، حيث إنه نقل التاريخ نفسه عن ابن إسحاق. انظر ابن هشام، 3/ 317، الطبري، 2/ 604. ولكن سياق الحوادث التاريخية يرجح أن الغزوة وقعت في شعبان في السنة الخامسة من الهجرة. انظر ابن هشام، 3/ 317؛ أسفل الحاشية؛ أحمد بن الحسين البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ/ 1985م)، 4/ 44ـ45، حواشي الصفحات: 44ـ45.

فقد جاء في رواية عن عائشة ذكرت فيها زواج الرسول ﷺ من جويرية: أن جويرية كانت امرأةٌ حُلوة مُلاَّحةٌ لا يراها أحدٌ إلّا أخذت بنفسه، فأتت رسول اللَّه ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فواللَّه ما هو أن رأيتها، فكرهتها، وقلت: سيرى منها مثلما رأيت، فلمّا دخلت عليه قالت: يا رسول اللَّه! أنا جويرية ابنة الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي، فأعنّي على كتابتي. فقال رسول اللَّه ﷺ «أو خير من ذلك، أُؤَدّي عنك كتابتك، وأتزوجك؟» فقالت: نعم. ففعل رسول اللَّه ﷺ فبلغ الناس أن رسول اللَّه ﷺ تزوجها، فقالوا: أصهار رسول اللَّه ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من الأسرى، فلقد أُعتِقَ بها مئة أهل بيت من بني المصطلق. قالت عائشة: «فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها»[1].

وأورد الواقدي رواية أخرى عن عائشة حول زواج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث تختلف في تفاصيلها بعض الشيء عن الرواية السابقة، والرواية طويلة بعض الشيء ولكن لا بأس من الإشارة إلى أهم ما جاء فيها: جاء في الرواية: أنه بينما كان رسول اللَّه ﷺ ومعه عائشة نازلين على الماء [المريسيع] دخلت جويرية تسأله في كتابتها، وقالت: يا رسول اللَّه! إني امرأة مسلمة، أشهد أن لا إله إلّا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وأنا جويرية بنت الحارث... وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له.. فتخلصني من ابن عمه، بنخلات له بالمدينة. فكاتبني ثابت... فأعنّي في مكاتبتي فقال رسول اللَّه ﷺ: «أو

(1) انظر ابن إسحاق، ص263؛ ابن هشام، 3/ 322ـ323؛ وقارن ابن حبيب، ص ص89ـ90؛ البيهقي، 4/ 49ـ50.

خير من ذلك؟» فقالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: «أُؤَدّي عنك كتابتك وأتزوجك» قالت: نعم يا رسول الله. قد فعلت. فأدى رسول اللّه ما كان عليها من كتابتها، وأعتقها وتزوجها... فخرج الخبر إلى الناس، فقالوا: أصهار النبي ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي. فقالت: عائشة: فأعتق مئة أهل بيت بتزويج رسول اللّه ﷺ إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[1].

هذه الرواية تبين عدة أمور كانت غائبة في الروايات الأخر ذات الصلة؛ من بين هذه الأمور أن جويرية قابلت الرسول ﷺ وطلبت منه المساعدة وهو لا يزال مقيمًا على ماء المريسيع أي بعد انقضاء المعركة. والأمر الآخر أن جويرية قدمت نفسها للرسول ﷺ على أنها مسلمة وتشهد بنبوة محمد ﷺ ورسالته؛ والأمر الثالث هو أن زواج رسول اللّه ﷺ من جويرية وفكاك أسر قومها ربما تمّ في عين المكان أو هذا على الأقل ما أوحت به الرواية. أما الأمر الآخر والأخير فهو عدم الإشارة إلى والد جويرية، الحارث بن أبي ضرار، وغياب دوره في فكاك أسر ابنته.

وعلى النقيض من ذلك، فقد جاء عند ابن هشام، رواية دون سند تتحدث عن قضية جويرية بنت الحارث وما بذله والدها من أجل فكاك أسرها. قال ابن هشام: «ويقال لما انصرف رسول اللّه ﷺ من غزوة بني المصطلق، ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش[2]،

---

(1) الواقدي، 1/ 410ـ 411.

(2) ذات الجيش: وقال بعضهم: أولات الجيش، موضع قرب المدينة وهو واد بين ذي الحُليفة وتُربان، وهو أحد منازل رسول اللّه ﷺ إلى بدر، وإحدى مراحله عند منصرفه من غزاة بني المصطلق. ياقوت الحموي، 2/ 200ـ 201؛ نقل ابن =

دفع جويرية إلى رجل من الأنصار «وديعة»، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلمّا كان بالعقيق[1]، نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ، وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال رسول اللَّه ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا»؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلّا اللَّه، وأنك محمد رسول اللَّه، فواللَّه ما اطلع على ذلك إلّا اللَّه! فأسلم الحارث ... ودُفعت إليه ابنته، فأسلمت وحَسُنَ إسلامها، فخطبها رسول اللَّه ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها وأصدقها أربع مئة درهم[2].

هذه الرواية على الرغم من أهميتها من حيث التفاصيل الدقيقة التي ربما لا تظهر في كثير من روايات زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث، إلّا أنها لا تخلو من إشكال إذ إنها أولًا لا تذكر شيئًا عن عتق النبي ﷺ لأسرى وسبايا بني المصطلق، إذ جاء في إحدى الروايات أنه

= جنيدل عن البلادي، أن ذات الجيش تسمى اليوم «مفرّحات» وتبعد عن المدينة (24) كيلًا من الجهة الجنوبية الغربية. انظر سعد بن جنيدل، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري** (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1419هـ)، ص ص236ـ237.

(1) العقيق: واد على أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل ستة وقيل سبعة، وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر بعد هذا وفيه بئر عروة. ياقوت الحموي، 4/ 138ـ139؛ وقارن البلادي، ص ص212ـ213.

(2) ابن هشام، 3/ 323ـ324.

بلغ من شملهم العتق بسبب زواج رسول اللَّه ﷺ من جويرية مئة أهل بيت. وهذا على الأقل وفق شهادة عائشة زوج رسول اللَّه ﷺ(1).

أما الرواية الثانية بهذا الصدد فهي أن جويرية شكت أمرها إلى رسول اللَّه ﷺ بعد زواجه منها قائلة: يا رسول اللَّه! إن نساءك يفخرن عليّ، يَقُلنَ: لم يتزوجك رسول اللَّه -يعني أنها سبية- فقال رسول اللَّه ﷺ: «ألم أُعظّم صداقك، ألم أُعتق أربعين من قومك؟»(2).

أما ابن هشام، فيزعم أن رسول اللَّه ﷺ أصدق جويرية أربع مئة (400) درهم(3). ويظهر أن ابن هشام هو المصدر الوحيد الذي أشار إلى صداق جويرية، وليس من السهل القبول بهذه الرواية حيث إنها جاءت دون سند أولًا، وثانيًا أن رسول اللَّه ﷺ جعل من عتق جويرية وعتق أربعين من قومها، مقام صداقها(4).

وهنا رواية تناقض كل ما سبق من الروايات ويصعب القبول بها فلقد جاء عن مولاة جويرية، التي لم يذكر المصدر اسمها، أنها سمعت جويرية تقول: افتداني أبي من ثابت بن قيس بن شماس، بما افتدى به امرأة من السبي، ثم خطبني رسول اللَّه ﷺ إلى أبي فأنكحني. وهي رواية شكّك الواقدي في صحتها(5).

أما الرواية الأخيرة بشأن عِتق جويرية واقتران رسول اللَّه ﷺ

---

(1) ابن سعد، 8/ 117؛ وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 442.

(2) ابن سعد، 8/ 117؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 442.

(3) ابن هشام، 4/ 303.

(4) انظر ابن سعد، 8/ 117؛ ابن زَبَالة، ص65.

(5) انظر الواقدي، 1/ 412.

بها فقد جاءت عند ابن سعد بسنده عن أبي قلابة[1]، ذكر فيها أنه لما سبى رسول اللَّه ﷺ جويرية بنت الحارث، جاء أبوها إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرم من ذاك، فخِّل سبيلها. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «أرأيت إن خيرناها أليس قد أحَسّنا»؟ قال: بلى وأديت ما عليك. فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا. فقالت: فإني قد اخترت رسول اللَّه ﷺ. قال أبوها: قد واللَّه فضحتنا[2].

الذي يمكن فهمه من هذه الرواية أنه ربما كان مجيء الحارث ابن أبي ضرار لفكاك ابنته، كان متأخرًا، وبعد أن أعتقها رسول اللَّه ﷺ وتزوج بها، وبعد أن مَنّ على الأسرى من قومها بالعتق والحرية، لذلك فقد كان أمرًا معقولًا، أن تختار جويرية البقاء مع زوجها نبي اللَّه ورسوله ﷺ على العودة مع أبيها إلى البادية وحياة الجاهلية.

وجاء في رواية عند الواقدي، وكأنها إرهاص وبشرى لجويرية بقرب زواجها من الرسول ﷺ إذ قالت جويرية: «رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال، كأن القمر يسير من يثرب، حتى وقع في حجري، فكرهت أن أُخبرها أحدًا من الناس، فلمّا سُبينا رجوت الرؤيا، فلمّا أعتقني وتزوجني، واللَّه ما كلمته في قومي، حتى كان المسلمون

(1) أبو قلابة: هو عبداللَّه بن زيد بن عمرو الجُرمي البصري، أحد الأعلام، وكان ثقة، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام. وهو بصرى تابعي، ثقة، وقال عنه عمر بن عبدالعزيز: لن تزالوا بخير يا أهل الشام، ما دام فيكم هذا. توفي أبو قلابة بالشام، سنة أربع أو خمس ومئة. انظر ابن سعد، 7/ 183 ـ 185؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 3/ 140 ـ 141 (ت: 3867).

(2) ابن سعد، 8/ 118.

هم الذين أرسلوهم، وما شعرتُ إلّا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر...»[1].

إن كان لهذه الرؤيا، أي مسير القمر ووقوعه في حجر جويرية، نصيب من الصحة، فهي شبيهة، بما قيل عن رؤيا سودة بنت زمعة، التي تزوجها رسول اللَّه ﷺ بعد وفاة خديجة، حيث إنها هي الأخرى، رأت في المنام قبل زواج الرسول ﷺ منها، كأن قمرًا انقض عليها من السماء[2]. وكل هذه الرؤى لم تصل إلينا بطريق صحيح.

وإجمالًا، فإن المتأمل في روايات أسر جويرية بنت الحارث وعتقها وزواجها من رسول اللَّه ﷺ يترجح لديه أن رواية عائشة التي ذكرها ابن إسحاق وكذلك ابن هشام، هي الرواية الأقرب إلى الصحة؛ وذلك لاقترانها بحادثة مشهورة وهي عتق أربعين من بني المصطلق أو مئة أهل بيت منهم في رواية أخرى[3].

أما رواية عائشة عند الواقدي فيجب النظر إليها بشيء من الحذر؛ إذ إنها تفترض أن عتق جويرية وزواجها من رسول اللَّه ﷺ، وعتق قومها من ربقة الأسر والعبودية، كل ذلك قد تمّ والنبي ﷺ لم يغادر مكان الغزوة أي ماء المريسيع، وهذا أمر مستبعد لأن بقية الروايات تدحض ذلك. حيث إن زواجه منها وفكاك أسر قومها قد تمّ بعد رجوع النبي ﷺ إلى المدينة[4].

---

(1) الواقدي، 1/ 411ـ412.

(2) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 407.

(3) انظر ابن إسحاق، ص263؛ وقارن الرواية عند ابن هشام، 3/ 322ـ323؛ البيهقي، 4/ 49ـ50.

(4) ابن هشام، 3/ 323ـ324؛ انظر الواقدي، 1/ 412؛ ابن سعد، 8/ 116ـ117.

وفي هذا السياق لا بد من التساؤل عن سبب تعلق رسول اللّه ﷺ بجويرية بنت الحارث، وحرصه على عتقها والتزوج بها، هل كان سبب ذلك هو ما قالته عائشة عن جمالها الفاتن، أم أن هناك أسبابًا أُخر كانت وراء ذلك؟

إنه من غير المستبعد أن تكون جويرية، ذات حظ من جمال وجاذبية، حتى قالت عائشة عنها: «وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلّا أخذت بنفسه»[1] ومن المحتمل أن وصف عائشة لجمال جويرية لا يخلو من مبالغة وأنه ربما كانت غيرة عائشة؛ هي التي صورت لها الجمال الأخّاذ، ولعل ما يدعم هذا الاستنتاج، هو ما روته عائشة نفسها عن رأيها في جمال أم سلمة، فقالت: «... فرأيتها واللّه أضعاف ما وصِفت لي في الحُسن والجمال...»، ثم إن عائشة باحت لحفصة بنت عمر بمشاعرها تجاه أم سلمة، ثم إن حفصة تلطفت حتى رأتها، فقالت: «قد رأيتها ولا واللّه ما هي كما تقولين ولا قريب وإنها لجميلة» قالت عائشة: فرأيتها بعد ذلك فكانت لعمري كما قالت حفصة، ولكني كنت غَيرَى[2].

إذا ما تمّ استبعاد كون جمال جويرية سببًا وراء زواج النبي ﷺ منها كما تراءى لعائشة على الأقل؛ فيجب عدم إغفال الجانب الاجتماعي وربما السياسي، وأنها كانت عوامل على جانب من الوجاهة وراء قرار النبي ﷺ بعتق جويرية والاقتران بها. إذ لا يخفى أن جويرية ترملت وهي في سن العشرين من العمر[3]، حيث قتل زوجها مسافع بن

(1) ابن سعد، 8/ 116.
(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 94.
(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 120.

صفوان بن ذي الشفر يوم المريسيع. ووقعت في الأسر، وهذا يعني أنها أصبحت سبية، وهي في الوقت نفسه ابنة سيد قومه، الحارث ابن أبي ضرار، سيد بني المصطلق، لذلك فلا بد وأن النبي الكريم قد وضع هذه الجوانب الإنسانية في حُسبانه عندما قرر الزواج منها ورفع مكانتها من منزلة السبية الأسيرة إلى أن تكون زوجًا لأكرم الخلق وأمًّا للمؤمنين، وهو شرف لا يدانيه شرف[1].

وإذا وضع الجانب السياسي في الاعتبار فلا بد أن الرسول ﷺ قد رام من وراء زواجه من جويرية، التقرب من أبيها وقبيلتها وترغيبهم بالإسلام، وهذا احتمال غير بعيد، فقد أسلم الحارث وبعض أبنائه وناس من قومه[2].

أما ما قيل عن تغيير النبي ﷺ لاسمها، وأن اسمها كان بَرّة، وأن رسول اللّٰه ﷺ سماها جويرية، لأنه كره أن يقال خرج من عند بَرّة[3] فهو قول فيه نظر إذ إن جميع الروايات التي تحدثت عن مقابلة جويرية لرسول اللّٰه ﷺ وطلبها المساعدة في مكاتبتها، كانت تقدم نفسها له على أنها: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه[4]. ولم يحدث في محنة أسرها أن ادّعتْ أنها بَرّة، لذلك فلا بد أن الأمر التبسَ على الرواة بشأن امرأة أخرى.

سعدت جويرية بحياتها مع النبي ﷺ قرابة ست سنوات، وعندما

(1) ابن سعد 8/ 116؛ انظر عائشة عبدالرحمن، **موسوعة آل النبي ﷺ** الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب العربي، 1357هـ/ 1967م)، ص345.

(2) انظر ابن هشام، 3/ 324.

(3) ابن سعد، 8/ 118ـ119؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 441ـ442.

(4) راجع ابن هشام، 3/ 322ـ323؛ الواقدي، 1/ 411؛ ابن سعد، 8/ 116ـ117.

لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى، كانت جويرية لا تزال في العقد الثالث من العمر، أي حوالي ست وعشرين سنة، وبقيت جويرية في المدينة مع صواحبها من زوجات الرسول ﷺ حتى وفاتها سنة ست وخمسين من الهجرة، وقيل سنة خمسين، وهي يومئذٍ ابنة خمس وستين سنة[1].

ولا بدّ وأن جويرية، كانت من الناحية المعيشية ميسورة الحال، فقد منحها رسول اللَّه ﷺ طعمتها من خيبر، ثمانين وسقًا تمرًا، وعشرين وسقًا شعيرًا وقيل قمحًا[2].

وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة، فرض لها مثل بقية أزواج النبي ﷺ عشرة آلاف درهم في السنة[3]، ولم تكن جويرية بنت الحارث ذات نصيب يذكر في روايتها لأحاديث النبي ﷺ، فكان ما روته لا يزيد على سبعة أحاديث[4]. رحم اللَّه أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وأسكنها فسيح جناته وجمعها بحبيبها المصطفى ﷺ.

---

(1) ابن سعد، 8/ 120.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 119 ـ 120.

(3) انظر البلاذري، **فتوح البلدان**، ص630.

(4) الذهبي، 2/ 263.

ـ 6 ـ

زينب بنت جحش

هـي زينب بنت جحـش بن رئاب، من أسـد خزيمة، وأمهـا أُميمة بنت عبـد المطلـب بن هاشـم، وهي عمة رسـول اللّـه ﷺ[1] يقـال إنه كان اسـم زينب بَرَّة، ولما تزوجها رسـول اللّه ﷺ[2]، سـماها زينب[3]. هاجرت هي وأهلها إلى المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها. وجاء في إحدى الدراسات أنها، الهاشمية الحسناء[4]، وأنها من أتمّ نساء قريش، وأنها كانت تقول عن نفسها: «أنا سيدة أبناء عبد شمس»[5].

ويظهر أن الأمر التبس على عائشة عبدالرحمن، بشأن زينب بنت جحش، حيث نعتتها بالهاشمية والقرشية، وزينب في حقيقة الأمر لا تمت لقريش بصلة، فهي أسدية من أسد خزيمة[6]. بل إن المصعب

(1) ابن سعد، 8/ 101؛ ابن عبد البر، 4/ 1849 (ت: 3355).

(2) ابن هشام، 2/ 87ـ 88.

(3) ابن عبد البر، 8/ 1849؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 294ـ 296 (ت: 6956).

(4) عائشة عبدالرحمن، ص323.

(5) المصدر السابق نفسه، ص323، نقلًا عن المحب الطبري، السمط الثمين.

(6) ابن سعد، 8/ 101؛ ابن عبدالبر، 4/ 1849؛ هشام بن محمد السائب الكلبي، **جمهرة النسب**، تحقيق ناجي حسن، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، 1407هـ/ 1981م)، ص186.

الزبيري، في كتابه: نسب قريش، لم يشر لآل جحش ضمن العشائر والبيوتات القرشية![1].

ويلاحظ كذلك أنه عندما ذكر ابن هشام أزواج النبي ﷺ ذكر ستًّا منهن قرشيات، ليست منهن زينب، ولكنه ذكرها في قائمة نساء النبي ﷺ العربيات، وهن سبع نساء[2]. ويعتقد أن زينب كانت أرملة قبل زواجها من زيد بن حارثة[3]. وسواءً صحت رواية كونها أرملة أم لا، فإن الذي لا خلاف عليه، أن رسول اللّه ﷺ خطبها لزيد بن حارثة، ورضيها زوجًا له. وقد تمنعت في بادئ الأمر مُدلة بشرف نسبها، ولكن الرسول ﷺ أقنعها بقبول الزواج من زيد، ويظهر أن زينب قبلت الأمر على مضض وخاصة بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾[4] الآية[5].

ويظهر من إحدى الروايات أن زيدًا هو صاحب المبادرة في طلب الزواج من زينب بنت جحش، إذ ذكر الحلبي، بسنده عن مقاتل قال: إن زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول اللّه أخطب عليّ، قال له: مَنْ؟ قال: زينب بنت جحش. قال: لا أراها تفعل ... فذهب زيد إلى عليّ كرم اللّه وجهه، فحمله على أن يكلم له النبي ﷺ .. فكلمه، فقال: إني فاعل ذلك، ومرسلك يا عليّ إلى

---

(1) راجع المصعب الزبيري.
(2) انظر ابن هشام، 4/ 305.
(3) انظر، مادة «زينب بنت جحش» **دائرة المعارف الإسلامية**، تعريب أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، 11/ 28ـ29.
(4) سورة الأحزاب، الآية: 36.
(5) انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 7/ 139ـ137.

أهلها.. ففعل ثم عاد يخبر بكراهتها وكراهة أخيها لذلك. فأرسل إليهم النبي ﷺ يقول: «قد رضيته لكم، وأقضي أن تنكحوه فأنكحوه»[1].

ومن سياق الرواية نفسها يظهر أن النبي ﷺ هو الذي دفع مهر زينب، وكان عبارة عن عشرة دنانير وستين درهمًا ودرعًا وخمارًا، وملحفة وإزارًا، وخمسين مُدًّا من الطعام وعشرة أمداد من التمر، وأولم عليها، وأطعم المساكين خبزًا ولحمًا[2].

وجاء عند ابن الأثير، أن رسول اللَّه ﷺ زوج زيدًا من زينب على أن يعلمها كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ[3]. وهذا احتمال بعيد، حيث إن من حق زينب أن تحظى بمهر لائق بأمثالها، يحفظ لها كرامتها، ومعلوم أن زيدًا هو ربيب محمد ﷺ آنذاك، ولم يكن على درجة من الفقر، حتى يكتفى منه بتعليم حليلته كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

لذلك فإن الاحتمال الأقرب إلى الصواب هو الرواية الأولى التي ساقها الحلبي بشأن مهر زينب الذي اشتمل على مواد نقدية وعينية. ومكثت زينب عند زيد قرابة سنة أو تزيد، ثم وقع بينهما التنافر، فجاء زيد يشكوها إلى رسول اللَّه ﷺ، فجعل يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[4][5].

---

(1) علي بن برهان الدين الحلبي، **السيرة الحلبية** (بيروت: دار المعارف، د. ت)، 3/ 411.

(2) الحلبي، 3/ 411ـ412؛ وقارن إسماعيل بن كثير الدمشقي، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار محمد علي الصابوني (بيروت: دار القرآن الكريم، د. ت)، 3/ 98.

(3) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 194 (ت: 6956).

(4) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(5) ابن كثير، **مختصر التفسير**، 3/ 98.

أما أقدم الروايات التي تشير إلى تعلق قلب رسول اللَّه بزينب بنت جحش، ورغبته بالزواج منها، فقد ساقها ابن إسحاق (ت: 151هـ/ 768م) حيث قال في روايته عن الشعبي، أن زيدًا مُرِض فدخل عليه رسول اللَّه ﷺ يعوده، وزينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول اللَّه ﷺ ثم طأطأ رأسه فقال: «سبحان مقلب القلوب والأبصار» فقال زيد: أطلقها لك يا رسول اللَّه! فقال: «لا» فأنزل اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾ الآية[1]. ثم تختم الرواية بأن رسول اللَّه ﷺ تزوج زينب بنت جحش، زوجه اللَّه إياها[2].

هذه هي أول الروايات حسب المعلومات المتوافرة بشأن تعلق رسول اللَّه ﷺ بزينب بنت جحش، وهي أقدم الروايات على الإطلاق التي تربط بين مرض زيد وزيارة الرسول ﷺ له، ومن ثم تعلق رسول اللَّه بزينب. ولعل الشيء الذي يمكن ملاحظته على هذه الرواية، أنه مجرد أن قال رسول اللَّه ﷺ:«سبحان مقلب القلوب والأبصار...» بادر زيد بالقول :«أطلقها لك يا رسول اللَّه!».

المثير للتساؤل هنا، أن قول الرسول «سبحان مقلب القلوب ...» ليس فيه ما يشي برغبته في الزواج من زينب، بل والأكثر غرابة هو مبادرة زيد بالعرض العلني والمباشر على رسول اللَّه أن يطلق زوجته من أجله! ثم إن الرواية لا تفصح عما رآه رسول اللَّه ﷺ في زينب حتى حدثته نفسه بالزواج منها.

(1) ابن إسحاق، ص262.

(2) المصدر السابق نفسه، ص262.

إن عدم وجود الأجوبة المقنعة عن هذه التساؤلات يدعو إلى الشك في الرواية من أساسها.

وجاء في رواية أخرى عن الواقدي بسنده، أن رسول اللَّه ﷺ ذهب إلى زيد في بيته، فلم يجده، وأن زينب استقبلت رسول اللَّه ﷺ ودعته للدخول، وكانت فُضلا[1]، أي خرجت على الرسول ﷺ عجلى، في ثوب البيت، فأعجبت رسول اللَّه ﷺ، فانصرف وهو يقول: «سبحان اللَّه العظيم، سبحان مصرف القلوب»، ولما عاد زيدٌ إلى بيته، أخبرته زينب بزيارة النبي ﷺ، وما سمعته يهمهم به، فذهب زيد مسرعًا للقاء رسول اللَّه، ثم قال زيد مخاطبًا الرسول ﷺ: بأبي أنت وأُمي يا رسول اللَّه: «لعل زينب أعجبتك، فأفارقها» فيقول رسول للَّه: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[2].

ويتكرر السؤال نفسه هنا، كيف فهم زيد من تسبيح الرسول للَّه، عند رؤيته زينب أنها أعجبته، ثم يعرض على رسول اللَّه ﷺ فراقها؟! ثم يرد عليه الرسول ﷺ قائلًا: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.

إجمالًا، لا مجال للشك بأن ما أُثر عن رسول اللَّه، عند رؤيته لزينب من أقوال، كقوله: «سبحان مقلب القلوب» أو «سبحان مُصِّرف القلوب» أن ذلك كناية عن إعجابه بزينب، وهو بشر يُعجَب بالجمال، ولكن هل هذا يعني، أنه رغب فعلًا بالزواج منها؟ حتى أن زيدًا يعرض عليه طلاقها في الحال!

---

(1) «تفضلت المرأة في بيتها إذا كانت في ثوب واحد... وفي حديث امرأة أبي حذيفة، قالت: يا رسول اللَّه إن سالمًا مولى أبي حذيفة يراني فُضلًا أي مبتذلة في ثياب مهنتي» انظر ابن منظور، 11/ 526، مادة «فضل».

(2) انظر ابن سعد، 8/ 101 ـ 102؛ الطبري، 2/ 512.

أما رواية ابن هشام التي جاءت دون سند، فهو لا يذكر فيها شيئًا عن تعلق قلب رسول اللَّه ﷺ بزينب، ولا يذكر شيئًا عن زيارة الرسول ﷺ إلى بيت زيد وما أسفر عن تلك الزيارة من إعجاب بزينب، بل قال إن رسول اللَّه ﷺ تزوج من زينب بنت جحش، زوجها إياه أخوها أبو أحمد بن جحش، وأن رسول اللَّه ﷺ أصدقها أربع مئة درهم[1].

ولعل ما ينقض هذه الرواية من أساسها، هو ما صرّح به القرآن في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[2] وكذلك ما جاء عن الرسول ﷺ أنه نزل عليه الوحي، وهو في بيت عائشة، فسُري عنه وهو يتبسم ويقول: «من يذهب إلى زينب يبشرها أن اللَّه قد زوجنيها من السماء»[3] وقد تزوجها رسول اللَّه ﷺ بغير مهر ودون ولي، حيث إن أمر الزواج جاء من السماء[4].

لذلك فلا مكان هنا لرواية ابن هشام، لتظافر الأدلة على ضعفها. وفي السياق ذاته ذكر ابن حبيب أن سبب زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب بنت جحش؛ أن رسول اللَّه ﷺ أتى زيدًا، فنظر إلى زينب وعليها قميص لها مردع [أي مصبوغ] بالزعفران، فوقعت في نفسه. فقال: «سبحان مقلب القلوب» ثلاثًا. فسمعه زيد وهو يتوضأ، فعرف أنها وقعت في نفسه [أي في نفس رسول اللَّه ﷺ]، فخرج زيد إلى النبي ﷺ، وبعد أيام، قال زيد: يا رسول اللَّه أنا أطلق زينب. قال: «ولِمَ» قال: «قد ساء

(1) ابن هشام، 4/ 301.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 37.
(3) ابن سعد، 8/ 102.
(4) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 102 ـ 103؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 434؛ الأصفهاني، 2/ 52.

خُلقُها وآذتني بلسانها» فقال رسول اللَّه: «اتق اللَّه وأمسك عليك زوجك» فطلقها، فتزوجها رسول اللَّه ﷺ[1].

في حقيقة الأمر إنه ليس من السهل القبول بهذه الرواية حيث إن رسول اللَّه ﷺ سبق له وأن رأى زينب في أكثر من مناسبة ويعرفها جيدًا فهي ابنة عمته وهو الذي خطبها على زيد بن حارثة، لذلك فلا بد وأن هناك أسبابًا أخر لطلاق زيد حليلته زينب.

أما الطبري فيقدم رواية أخرى قريبة الشبه بالرواية السابقة، عن يونس بن عبد الأعلى، بسنده عن ابن زيد (؟) ومفادها أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا يريد زيدًا، وعلى باب زيد ستر من شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشف عن زينب وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابُها في قلب النبي ﷺ، فلمّا وقع ذلك كُرِهَتْ إلى الآخر. فجاء فقال: يا رسول اللَّه! إني أريد أن أُفارق صاحبتي ... فقال له رسول اللَّه ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ الآية[2].

وفي هذه الرواية من العوار ما ينقضها، فهي تجعل السبب في تعلق قلب رسول اللَّه ﷺ بزينب هو رؤيتها حاسرة الرأس، ثم تدخلت العناية الإلهية بأن جعلت رسول اللَّه ﷺ يرغب بزينب وفي الوقت نفسه جعلت زيدًا يكرهها ويرغب في طلاقها! وهذه تسويغات يصعب أخذها على محمل الجد.

ومن الروايات بهذا الصدد ما جاء عند الأصفهاني (ت: 430هـ/ 1038م) وتعود في سندها إلى مذكور مولى زينب بنت جحش، وهي

(1) ابن حبيب، ص85.

(2) الطبري، 2/ 563ـ564.

رواية طويلة، والذي يهمنا منها، ما روي عن زينب أنها قالت: فزوجني رسول اللّٰه ﷺ زيد بن حارثة، فكنت أزرأ عليه [تهمزه في نسبه]، فشكاني إلى رسول اللّٰه ﷺ فعاتبني ﷺ، ثم عُدتُ فأخذته بلساني، فشكاني إلى رسول اللّٰه ﷺ، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «أمسك عليك زوجك» فقال: أنا أطلقها، قالت: فطلقني، فلمّا انقضت عدتي لم أعلم إلّا ورسول اللّٰه ﷺ قد دخل عليّ بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أمر من السماء. فقلت: يا رسول اللّٰه! بلا خطبة ولا إشهاد! فقال: «اللّٰه زوّج وجبريل الشاهد»[1].

هذه الرواية لها نصيب من المصداقية في الجزء الأول منها على الأقل؛ إذ إنها تشير إلى حالة من عدم الوفاق بين زينب وبعلها زيد، لأن زينب كانت منذ البداية غير مقتنعة بهذا الزواج، والسبب في ذلك أن زيدًا من وجهة نظرها ليس كفؤًا لها، وقد أشارت أختها حمنة إلى ذلك في مراجعتها للرسول ﷺ في أمر زواج زينب، إذ قالت له يا رسول اللّٰه ﷺ: «أتزوَّجُ ابنة عمتك مولاك»[2]؟!.

أما ما جاء في الجزء الثاني من الرواية، وهو أن رسول اللّٰه ﷺ، دخل على زينب فجأة ودون علم مسبق برغبة رسول اللّٰه في الزواج منها ففي ذلك نظر، إذ جاء في رواية مشهورة، أنه لما انقضت عِدة زينب، قال رسول اللّٰه لزيد بن حارثة: «ائت زينب فاخطبها عليّ...»[3].

(1) الأصفهاني، 2/ 51ـ52.

(2) انظر المصدر السابق نفسه، 2/ 52؛ وجاء في رواية عند ابن سعد، أنه لما عرض رسول اللّٰه ﷺ على زينب الزواج من زيد، قالت: «يا رسول اللّٰه! لا أرضاه لنفسي، وأنا أيِّمُ قريش ...»، 8/ 101.

(3) ابن سعد، 8/ 104.

أما آخر ما جاء من روايات حول تعلق النبي ﷺ بزينب فقد جاءت عند القرطبي (ت: 671هـ/ 1078م) ففي روايته عن مقاتل، ذكر أن رسول اللَّه ﷺ جاء يومًا إلى زيد يطلبه في بيته، فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة، من أتمّ نساء قريش، فهويها، فقال: «سبحان اللَّه مقلب القلوب» فسمعت زينب بالتسبيحة، فذكرتها لزيد، ففطن زيد، فقال: يا رسول اللَّه! ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرًا؛ تعظَّمُ عليّ، وتؤذيني بلسانها. فقال عليه السلام: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾[1].

ثم يضيف القرطبي إلى الرواية السابقة، قائلًا: «وقيل: إن اللَّه بعث ريحًا، فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها، فرأى رسول اللَّه زينب، فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي ﷺ وذلك لما جاء يطلب زيدًا، فجاء زيد، فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها[2].

وهذه الرواية الأخيرة في جزئها الأول توحي للقارئ، وكأن رسول اللَّه ﷺ، لم يكن على معرفة بزينب من قبل وأنه عندما رآها في بيت زيد بهره جمالها وبياض بشرتها، فوقعت في نفسه، والمعلوم جيدًا أن رسول اللَّه ﷺ كان على معرفة سابقة بابنة عمته، ويعرفها أكثر من غيره، ويعرف مقدار جمالها وبياض بشرتها وهو الذي خطبها على مولاه زيد بن حارثة، لذلك فلا مجال للمفاجأة هنا، فلو كان رسول اللَّه يرغب في الزواج منها لخطبها على نفسه، ولا حاجة لأن تتزوج من مولاه حتى يكتشف جمالها عن طريق الصدفة!.

---

(1) القرطبي، 7/ 139.

(2) المصدر السابق نفسه، 7/ 139.

لذلك فإنه من العسير القبول بما جاء في هذه الرواية، وكذلك بالنسبة للجزء الأخير منها المتضمن رفع الريح للستارة ورؤية رسول اللَّه ﷺ لزينب متخففة من اللباس في منزلها، وأنها وقعت في نفسه، وأنه وقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي ﷺ، فهذه أمور من الصعب التحقق منها، مما يرجّح عدم الأخذ بها.

إن الروايات السابقة لا تصمد أمام النقد التاريخي، وإذا كان لا بدّ من الترجيح فربما كانت رواية مذكور مولى زينب بنت جحش هي الأقرب إلى واقع ما حدث، حيث إنها تعزو سبب طلاق زينب يعود في أصله إلى عدم التوافق بينها وبين بعلها زيد بن حارثة، والرواية في الوقت نفسه لا تذكر شيئًا لا من قريب ولا من بعيد عما أُشِيَع من رؤية رسول اللَّه ﷺ لشيء من مفاتنها وكان ذلك سبب تعلق قلبه بها.

لقد أسرف بعض المستشرقين أمثال: إميل درمنغم، ومنتغمري واط، وغوستاف لوبون وميور ومكسيم رودنسن وتور أندريه ومرجليوث وإرفنج واشنطن وشبرنجر وغيرهم في وصفهم للشهوة الحسية لدى الرسول ﷺ، وغرامه بالنساء، ورسموا للقارئ الأوروبي صورًا جنسية مفرطة، عن سبب وقوع النبي ﷺ في حبه وغرامه بزوج ابنه بالتبني زيد بن حارثة، وكل ما استنتجوه لا تدعمه الأدلة العلمية ولا يستند إلى الواقع التاريخي لحياة الرسول ﷺ(1).

---

(1) Muir, William. **The Life of Muhammad** (Edinburgh, 1923) pp.290-292; Andrae, Tor. Muhammed: The Man and his Faith. Translated by Theophil Menzel, 1935. pp.214-217; Rodinson, Maxim. **Muhammad**, Translated From the French by Ann Carter (The New Press, New York), pp.205-208؛ انظر زاهر عواض الألمعي، **مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش**، الطبعة الثانية (القاهرة: البابي الحلبي =

وتبادل كل من محمد حسين هيكل وعائشة عبدالرحمن وجهات نظر متعارضة حول سبب زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، إذ إن هيكل يرى أن زواج النبي ﷺ من زينب كان مجردًا من دوافع الحب والغرام وإنما كان الغرض منه إبطال تقليد جاهلي وهو التبني[1]. بينما ترى عائشة عبدالرحمن، أن زواج النبي ﷺ من زينب كان نتيجة حب طبيعي، وما في ذلك ما يسوء فالنبي ﷺ بشر قبل كل شيء، تنجذب نفسه للجمال وتعشقه[2].

قبل الحديث عن زواج النبي ﷺ من زينب لا بد من التوقف أمام زواج زيد بن حارثة من زينب ومن ثم طلاقها.

يجب التأكيد أولًا أن زواج زيد من زينب كان قضاءً إلهيًّا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ....﴾[3] الآية حيث كانت زينب أول الأمر رافضة القبول بالزواج من زيد، ولكن لما نزلت هذه الآية، أذعنت زينب حينئذ وتزوجته[4].

وكذلك الأمر بالنسبة لطلاق زيد لها، فقد تمّ تنفيذًا لإرادة إلهية. لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾[5][6].

= وشركاه، 1396هـ/ 1976م)، ص ص22ـ25.

(1) محمد حسين هيكل، **حياة محمد** (دون معلومات نشر)، ص ص207ـ209.

(2) عائشة عبدالرحمن، ص ص330ـ332.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 36.

(4) القرطبي، 7/ 137.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(6) المصدر السابق نفسه، 7/ 138.

لذلك فقد كان زواج زيد من زينب وطلاقه إياها كان القصد منه نزول حكم تشريعي وهو إبطال مبدأ التبني الذي يُعَدُّ أثرًا من آثار الأعراف الجاهلية. حيث إن النبي ﷺ كان قد تبنى زيدًا في الجاهلية ولذلك فقد عُرف زيد بين الناس: زيد بن محمد، ثم إن اللّٰه سبحانه وتعالى أبطل التبني في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

«والحق أن الوحي الإلهي تدخل في عقد هذا الزواج، كما تدخل أخيرًا في فصم عراه، فهو زواج يهدف إلى تحقيق أمر اللّٰه عز وجل في تغيير عُرف ساد الحياة العربية الجاهلية، وتأصل فيها حتى صارت له قدسية العقائد واحترام المحارم، ذلك هو نظام التبني بحيث ينسب الابن المتبنَّى إلى متبنيه بدلًا من أبيه وتترتب على ذلك حقوق في الميراث والحرمة تماثل حقوق الأبوة على البنوة من الصلب، ولا يخفى ما في ذلك من افتئات على الفطرة ومجانبة للعدل ...»[2]. ويظهر من قول أحد الرواة أن رسول اللّٰه ﷺ كان يعلم أن زيدًا سيطلق زينب وأنها ستكون زوجًا له وذلك إشارة لقوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[3].

فقد جاء عن علي بن الحسين: «أن النبي ﷺ كان قد أوحى اللّٰه تعالى إليه أن زيدًا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج اللّٰه إياها»[4]. وقال: عمر وابن مسعود وعائشة والحسن: ما أنزل اللّٰه على رسوله آية

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 40.

(2) أكرم ضياء العمري، 2/ 654.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(4) القرطبي، 7/ 139.

أشدّ عليه من هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ...﴾ الآية، لشدتها عليه[1]. وعن عائشة أنها قالت: «لو كان النبي ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾[2][3].

جاء في رواية عند ابن سعد بسنده عن أنس بن مالك، أنه لما انقضت عِدة زينب، بعث رسول اللّه ﷺ زيد بن حارثة ليخطب عليه زينب، قال: فانطلق زيد فأتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلمّا رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول اللّه ﷺ قد ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت: يا زينب أبشري إن رسول اللّه ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ..[4].

والحقيقة أنه ما دام الزواج جاء بأمر من السماء، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ فلا حاجة للخطبة هنا، إذ إن الزواج جاء تنفيذًا لأمر إلهي! ولعل ما يقوي هذا الرأي هو قول زينب: «لم أعلم إلّا رسول اللّه ﷺ قد دخل عليّ بيتي، وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أمر من السماء، فقلت: يا رسول اللّه، بلا خطبة ولا إشهاد! فقال: «اللّه زوّج وجبريل الشاهد»[5].

وذكر ابن سعد أنه بينما كان رسول اللّه ﷺ جالسًا يتحدث مع عائشة أخذته غشية فُسري عنه، وهو يتبسم ويقول: «من يذهب إلى

---

(1) القرطبي، 7/ 138.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(3) القرطبي، 7/ 138؛ الترمذي، 5/ 353 (ح: 3208).

(4) مسلم، 2/ 1048 ـ 1409 (ح: 1428)؛ ابن سعد، 8/ 104؛ القرطبي، 7/ 141؛ ابن كثير، مختصر التفسير، 3/ 98.

(5) الأصفهاني، 2/ 52.

زينب يبشرها أن اللَّه قد زوجنيها من السماء؟» وتلا رسولَ اللَّه ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، فخرجت سلمى، خادم رسول اللَّه ﷺ إلى زينب وبشرتها، فأعطتها زينب أوضاحًا[1] كانت عليها[2].

وجاء عن ابن عباس، أن زينب سجدت شكرًا للَّه، لما علمت بتزويجها رسول اللَّه ﷺ من السماء[3] بل وزادت على ذلك أن نذرت للَّه أن تصوم شهرين فرحًا بهذا الزواج[4].

وكان وقع هذا الخبر ثقيلًا على نفس عائشة وربما على بقية أزواج النبي ﷺ، وكما هو المعهود من صراحة عائشة وعدم إخفائها لمشاعرها أن قالت: «فأخذني ما قَرُبَ وما بَعدُ لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها، زوجها اللَّه من السماء. وقلت: هي تفخر علينا بهذا»[5].

واختلفت المصادر في تحديد السنة التي تمّ فيها زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب بنت جحش، فذكر الواقدي بسنده، أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بزينب لهلال ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة وهي يومئذٍ بنت خمس وثلاثين سنة[6].

---

(1) الأوضاح: حُلْيٌ من الدراهم الصحاح، والوَضَحُ: حُلْيٌ من فضة والجمع أوضاح، وفي الحديث أن النبي ﷺ أقاد من يهودي قتل جويرية على أوضاح لها وقيل الوضح «الخلخال» ابن منظور، 2/ 635ـ636 مادة «وضح».

(2) ابن سعد، 8/ 102.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 102.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 102.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 102.

(6) انظر ابن سعد، 8/ 114؛ الذهبي، 2/ 217.

ولما سُئلت عائشة بنت أبي بكر عن وقت زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب، قالت: «مرجعنا من غزوة المريسيع أو بعده بقليل»[1] ثم يعلق الواقدي على هذه الشهادة بالقول: «وهذا يوافق قول عمر بن عثمان بن عبداللَّه الجحشي»[2].

وفيما قالته عائشة عن وقت زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب نظر ويستوجب التوقف، إذ إنها قالت في حديثها عن غزوة المريسيع أو بني المصطلق: «وكانت هذه الغزوة بعد أن ضُرب الحجاب»[3]. ثم قالت في موضع آخر في حديثها عن صفوان بن المعطل «وكان يراني قبل أن ينزَّل الحجاب»[4].

وفي السياق نفسه، فقد سأل رسول اللَّه ﷺ زينب بنت جحش عن رأيها في عائشة وما أُشيع عنها في قصة الإفك، قالت عائشة: «ولقد كنت أخاف عليها أن تهلك للغيرة عليّ». فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «يا زينب ماذا علمت على عائشة؟» قالت: «يا رسول الله. حاشى سمعي وبصري، ما علمت عليها إلّا خيرًا، واللَّه ما أُكلمها وإني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلّا الحق»[5].

كل هذه الأقوال تكاد توحي للقارئ بأن غزوة المريسيع، قد

(1) ابن سعد، 8/ 114.

(2) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 114.

(3) الواقدي، 2/ 427.

(4) المصدر السابق نفسه، 2/ 428.

(5) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، **المغازي النبوية**، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر، 1400هـ/ 1980م)، ص122؛ الواقدي، 2/ 430.

حدثت بعد السنة الخامسة من الهجرة أي في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة كما جاء عند ابن إسحاق(1).

ولكن موسى بن عقبة والواقدي وكذلك ابن سعد يؤرخون للغزوة في شعبان سنة خمس من الهجرة(2).

ولعل ما يلقي بظلال من الشك على هذه الروايات، أي روايات نزول آية الحجاب وكذلك ما جاء عند ابن إسحاق من أن غزوة المُريسيع، كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة هو الرواية التي نقلها ابن كثير عن قتادة والواقدي بسنده عن أنس بن مالك في حديثه عن آية الحجاب، قال: وكان وقت نزولها في صبيحة عُرس رسول اللَّه ﷺ بزينب بنت جحش، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة من الهجرة(3).

ولعل ما يقوي هذا الاحتمال أي إن آية الحجاب كانت في أواخر السنة الخامسة، وزواج رسول اللَّه ﷺ من زينب، وكذلك وقوع غزوة المريسيع في السنة نفسها في شهر شعبان، أن سعد بن معاذ(4)

---

(1) انظر ابن هشام، 3/ 317؛ ونقل عن ابن إسحاق تاريخ الغزوة أنها في شعبان سنة 6هـ/ كلًا من: الطبري، 2/ 604؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، 6/ 181 ـ 182.

(2) موسى بن عقبة، ص229؛ الواقدي، 1/ 404؛ ابن سعد، 2/ 63؛ جاء عند القسطلاني في **المواهب اللدنية**، أن الغزوة كانت في شعبان سنة خمس من الهجرة، وذكر الخلاف في ذلك، 1/ 235.

(3) انظر ابن كثير، **مختصر التفسير**، 3/ 108؛ ويذكر أبو عُبيدة معمر بن المثنى أن زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب بنت جحش كان في السنة الثالثة من الهجرة، ولم يذكر سند روايته، ص61؛ وانظر المحب الطبري، ص171.

(4) سعد بن معاذ: من سادة بني عبد الأشهل من الأوس، أسلم بالمدينة قبل بيعة العقبة الأخيرة، وشهد مشاهد رسول اللَّه ﷺ وحكمه رسول اللَّه ﷺ في قضية =

كان لا يزال حيًّا في ذلك الوقت حسب ما جاء عند الواقدي[1].

وجاء عند البيهقي كذلك أن زواج رسول اللَّه ﷺ من زينب كان بعد غزوة قريظة[2]. ومن المعلوم أن سعد بن معاذ مات شهيدًا بعد أن أصدر حكمه على بني قريظة[3].

لذلك فإن ما نُسِبَ إلى عائشة من أقوال، مثل: أن غزوة المريسيع قد وقعت بعد نزول آية الحجاب، والقول كذلك بأن زينب بنت جحش في وقت محنة الإفك كانت من أزواج النبي ﷺ، كل هذا يجب النظر إليه بتحوط شديد. لذلك وفي ضوء شهادة أنس بن مالك من أن آية الحجاب نزلت في صبيحة عُرس رسول اللَّه ﷺ من زينب، وكان ذلك في هلال ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، فلا محيص من قبول هذه الشهادة وذلك لتظافر القرائن الدالة على صحتها[4].

في ضوء النصوص المتقدمة يمكن القول بشيء من اليقين أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بزينب في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، وأن آية الحجاب نزلت صبيحة عُرس رسول اللَّه ﷺ بزينب[5].

= بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة، وتوفي في السنة نفسها من أثر جراح أصيب بها يوم الخندق. وتوفي سعد وله من العمر سبع وثلاثين سنة, ابن سعد، 3/ 420ـ436.

(1) الواقدي، 2/ 435.

(2) البيهقي، 3/ 467.

(3) انظر ابن هشام، 3/ 275.

(4) انظر، موسى بن عقبة، ص229؛ الواقدي، 1/ 404؛ ابن سعد، 2/ 63؛ القسطلاني، 1/ 235.

(5) انظر، البخاري، ص1555 (ح: 7421)؛ ابن سعد، 8/ 114؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 434ـ435.

وربما أن زينب هي الوحيدة من نساء النبي ﷺ التي ذُبح في صبيحة عُرسها شاة. قال أنس: ما أولَم رسول اللَّه ﷺ على شيءٍ من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة[1]. وأضاف أنس قائلًا: لما أهديت زينب إلى رسول اللَّه ﷺ صنع طعامًا ودعا القوم فجاؤوا ودخلوا، وزينب مع رسول اللَّه ﷺ في البيت وظل الناس في بيت رسول اللَّه ﷺ يطعمون الطعام حتى امتدَّ النهار[2]. وكان الطعام عبارة عن خبز ولحم[3].

وأحبت أم سُليم[4]، والدة أنس بن مالك، أن تُتحِفَ، رسول اللَّه ﷺ بطعام في صبيحة عرسه، فصنعت له حيسًا[5] من عجوة، قدر ما يكفيه وصاحبته وبعثت به مع أنس ابنها[6].

ولا عجب أن احتفل رسول اللَّه ﷺ بزينب هذا الاحتفال، إذ إن زواجه منها تمّ بأمر من السماء والسفير فيه جبريل عليه السلام. وجاء في إحدى الدراسات: «ولا نعرف بين أمهات المؤمنين من شغل زواجها مدينة الرسول ﷺ مثل: «زينب بنت جحش» ذلك لما سبق هذا الزواج

---

(1) ابن سعد، 8/ 107.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 105.

(3) البخاري، ص1555 (ح: 7421)؛ ابن سعد، 8/ 105؛ وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 434ـ435.

(4) أم سُليم: هي الغُميصاء وقيل الرُّميصاء بنت ملحان بن خالد من بني عدي بن النجار، وفي اسمها خلاف، وهي والدة أنس بن مالك، خادم رسول اللَّه ﷺ وزوج أبي طلحة زيد بن سهل بن حرام وشهدت مع الرسول ﷺ بعض مغازيه، وكان لها مكانة خاصة لدى رسول اللَّه ﷺ. انظر ابن سعد، 8/ 424ـ434.

(5) الحيس: «التمر ... والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجنًا شديدًا حتى يندر النوى منه، ثم يسوى كالثريد...» ابن منظور، 6/ 61 مادة «حَوسَ».

(6) ابن سعد، 8/ 104.

وأحاط به من ظروف خاصة، وما أثاره من شبهة وخلاف حسمتها السماء بوحي منزل»[1].

لذلك فإن هذا الزواج المبارك الذي تمَّ بأمر إلهي، كان مدعاة لأن تفاخر زينب بقية أزواج النبي ﷺ إذ روى عنها أنها قالت في إحدى المناسبات: «إني واللَّه ما أنا كأحد من نساء الرسول ﷺ، إنّهُنّ زَوّجَهنَّ بالمهُوُر زَوَجَهُنّ الأولياء، وزوّجني اللَّه ورسوله، وأنزل فيِّ الكتاب، يقرأ به المسلمون لا يُبدلُ ولا يُغيّرْ! ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ الآية»[2].

وجاء في رواية عن الشعبي بسنده عن زينب أنها قالت للنبي ﷺ: «لست كسائر نسائك، إني أُدِل بثلاث من يُدِلُّ بهن: جدي وجدك واحد، وأنكحنيك اللَّه من السماء، وكان جبريل السفير في أمري»[3] لهذا فقد كانت كثيرًا ما تفخر على نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: إن اللَّه أنكحني في السماء[4]. وفي مناسبة أخرى وفي معرض مفاخرة زينب لبقية أزواج النبي ﷺ، كانت تقول: «زوجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوجني اللَّه تعالى، من فوق سبع سماوات» [5].

هذا الزواج الذي كان تنفيذًا لأمر إلهي، وفخر زينب على بقية أزواج النبي بسبب هذا الزواج، هو الذي كان مصدر قلق عائشة بنت أبي بكر وغيرتها، إذ قالت لمن حولها بكل صراحة ووضوح حين نزل

(1) عائشة عبدالرحمن، ص323.

(2) ابن سعد، 8/ 103.

(3) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 435؛ وقارن القرطبي، 7/ 143.

(4) البخاري، ص1555 (ح: 7421).

(5) المصدر السابق نفسه، ص1555 (ح: 7420)؛ وانظر ابن قيم الجوزية، 1/ 61.

الوحي بزواج رسول اللَّه ﷺ من زينب: «فأخذني ما قَرُبْ وما بَعُد لما يبلغنا من جمالها، وأُخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صنع لها، زوَّجها اللَّه من السماء، وقلت: هي تفخر علينا بهذا ...»[1].

وفي حقيقة الأمر فإن فخر زينب بهذا الزواج الذي باركته السماء لم يقتصر عليها وحدها بل تعداه إلى قبيلتها، أسد خزيمة، حتى أن رجلًا من بني أسد فاخر رجلًا، فقال الأسدي: «هل منكم امرأة زوجها اللَّه من فوق سبع سماوات؟» يعني زينب بنت جحش[2].

عاشت زينب بكنف رسول اللَّه ﷺ خمس سنوات وبضعة أشهر حيث تزوجها كما تقدم في أول ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة وتوفي عنها في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وشهدت زينب مع رسول اللَّه ﷺ حصار الطائف سنة (8هـ/ 629م)، وكان معها من أزواجه حينذاك أم سلمة[3].

ويظهر أن زينب لم تكن في ضيق من العيش، فقد أطعمها رسول اللَّه ﷺ من خيبر في السنة السابعة من الهجرة، ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا قمحًا، ويقال شعيرًا[4].

وفي خلافة عمر بن الخطاب، فرض لها في العطاء اثنا عشر ألف درهم، ولم تأخذه إلّا عامًا واحدًا، لقد استكثرته، وقالت: «اللَّهم لا

(1) ابن سعد، 8/ 102.
(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 103؛ وانظر ابن حبيب، ص86.
(3) الواقدي، 3/ 926.
(4) ابن سعد، 8/ 107.

يدركني، قابل [أي العام القادم] هذا المال، فإنه فتنة» ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة حتى أتت عليه[1].

وقد استجاب اللَّه لدعوتها، فلم يمرّ عليها عام، أي في سنة عشرين من الهجرة حتى اختارها اللَّه لجواره[2].

وهذا الخوف من المال ، والنظر إليه على أنه فتنة مرجعه إلى الدرجة العالية من الزهد والتدين اللتين تتصف بهما زينب بنت جحش، فقد قال رسول اللَّهﷺ لعمر بن الخطاب «إن زينب بنت جحش لأوَّاهة» والأواه هو المتخشع المتضرع[3].

وبسبب من هذا الخشوع والتضرع، فقد كانت زينب كثيرة الصدقة، وكانت امرأة صناع اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله[4]. وكانت تنفق ما تكسبه من هذا العمل على الفقراء والمساكين. ولذلك قالت عنها عائشة: «مفزع اليتامى والأرامل»[5].

وجاء عن عائشة أن رسول اللَّهﷺ قال ذات يوم لأزواجه وهن مجتمعات عنده «أسرعكن بي لحقوقًا، أطولكن ذراعًا» قالت عائشة:

---

(1) ابن سعد، 8/ 109 ـ 110. ومقدار هذا العطاء الذي ذكره ابن سعد فيه نظر إذ جاء عند البلاذري أن الذي فرضه عمر لأزواج النبيﷺ عشرة آلاف درهم لكل واحدة منهن ما عدا عائشة فقد زادها ألفي درهم لمحبة رسول اللَّهﷺ إياها. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص630.

(2) ابن سعد، 8/ 115؛ الأصفهاني، 2/ 54.

(3) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 296؛ وقارن الأصفهاني، 2/ 53ـ54؛ وانظر الذهبي، 2/ 217.

(4) ابن سعد، 8/ 108.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 110.

فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا نمد أيدينا في الجدار، نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك، حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ [كذا]، أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد، الصدقة، وكانت زينب امرأة صناع[1].

وقد صدق رسول اللّه ﷺ فقد كانت زينب بنت جحش، أسرع أزواجه لحوقًا به، إذ توفيت في خلافة عمر بن الخطاب في سنة عشرين من الهجرة. وكان لها من العمر آنذاك ثلاث وخمسين سنة[2]. ولم ترو زينب الشيء الكثير من أحاديث الرسول ﷺ إذ لم يرو عنها سوى أحد عشر حديثًا![3].

وبعد وفاة زينب رثتها اثنتان من أزواج النبي ﷺ وهن اللائي كانت تنافسهن في المنزلة لدى رسول اللّه ﷺ.

فقالت عنها عائشة: «ذهبت حميدة فقيدة مفزع اليتامى والأرامل»[4] وأضافت قائلة: «كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها اللّه تعالى بالورع، ولم أر امرأة أكثر خيرًا وأكبر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى اللّه من زينب ...»[5].

وسُئلت عائشة، أي نساء رسول اللّه ﷺ كانت آثر عنده؟ فقالت:

---

(1) ابن سعد، 8/ 108؛ وقارن مسلم، 4/ 1907 (ح: 2452)؛ الأصفهاني، 2/ 53.

(2) ابن سعد، 8/ 115؛ ابن الأثير، **أسد الغابة**، 5/ 296.

(3) الذهبي، 2/ 218.

(4) ابن سعد، 8/ 108.

(5) الأصفهاني، 2/ 53.

«ما كنت أستكثره، ولقد كانت زينب بنت جحش، وأم سلمة، لهما عنده مكان، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي»[1].

وقد أثنت أم سلمة على زينب وذكرتها بخير، وقالت عنها: «وكانت لرسول اللَّه ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت امرأة صالحة، صوّامة، قوّامة، صنعًا، تتصدق بذلك كله على المساكين»[2].

رحم اللَّه أم المؤمنين زينب بنت جحش وجمعها بزوجها المصطفى في جنان الخلد، حقًّا؛ لقد ذهبت حميدة فقيدة، مفزع اليتامى والأرامل كما شهدت لها بذلك صاحبتها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر.

(1) ابن سعد، 8/ 114.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 103.

- 7 -

صفية بنت حُييٍّ

هي صفية بنت حُييٍّ بن أخطب من بني النضير، وأُمها بَرّة بنت سموأل، أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران[1] تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فقتل عنها يوم خيبر[2].

وجاء في رواية لابن إسحاق، أنه بعد فتح حصن ابن أبي الحُقيق، أُتي بصفية إلى رسول اللَّه ﷺ، فجعل صفية خلفه، وغطى عليها ثوبه، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه[3] وحسب ما جاء في رواية ابن إسحاق، فقد رأت صفية قبل غزوة خيبر، أن قمرًا وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأبيها، فضرب وجهها، ضربة تركت أثرها فيه، وقال لها: إنك لتمدين

---

(1) ابن سعد، 8/ 120؛ ابن عبد البر، 4/ 1871 (ت: 4005)؛ قيل كان اسم صفية، حبيبة، ولكنها سميت صفية، لأنها كانت صفية للنبي ﷺ يوم خيبر، انظر ابن زَبَالة، ص70.

(2) ابن سعد 8/ 120؛ ابن عبد البر، 4/ 1871.

(3) ابن إسحاق، ص264؛ ابن سعد، 8/ 121؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 443.

عنقك، إلى أن تكوني عند ملك العرب، ولم يزل الأثر في وجهها حتى أُتي بها رسول اللَّه ﷺ فسألها عنه فأخبرته[1].

أما رواية الواقدي، فإنها تنسب أثر الضربة في وجه صفية إلى زوجها كنانة بن الربيع، إذ إنها أخبرته خبر الرؤيا، قال لها: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهها[2]. وكيفما كان الأمر سواءٌ كانت الضربة من أبيها أم من زوجها، فقد كانت رؤيا خير، أسفرت عن زواجها من سيد المرسلين ﷺ.

وعلى النقيض من رواية ابن إسحاق المشار إليها آنفًا القائلة أن رسول اللَّه ﷺ اصطفى صفية لنفسه، فإن ابن سعد يذكر بأسانيده روايتين كلتيهما تشيران إلى أن صفية كانت من نصيب دحية بن خليفة الكلبي[3]، وأنه لما ذُكر لرسول اللَّه ﷺ جمالها ومكانتها في قومها اشتراها من دحية بسبعة أرؤس[4]. وسواءً صحت رواية ابن إسحاق أو روايات ابن سعد، فإنها لا تغير من الأمر شيئًا، وهي حقيقة كونها أصبحت من نصيب رسول اللَّه ﷺ وأنه تزوجها. أخيرًا ثم إن رسول

---

(1) ابن إسحاق، ص264.

(2) انظر ابن سعد، 8/ 121.

(3) دحية بن خليفة الكلبي: أسلم دحية بن خليفة قديمًا ولم يشهد بدرًا، وكان يشبه بجبرائيل، وشهد دحية مع رسول اللَّه ﷺ المشاهد بعد بدر، وبقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، 4/ 249ـ251؛ ابن عبدالبَرّ، 2/ 461ـ462 (ت:701).

(4) ابن سعد، 8/ 123، 122؛ وجاء عند البخاري أنه بعد أن فتح اللَّه لرسوله حصن خيبر، ذُكر له جمال صفية بنت حُييٍّ، وقد قتل زوجها، فاصطفاها رسول اللَّه ﷺ لنفسه، ولم تذكر الرواية شيئًا عن دحية وما عوّضه رسول اللَّه ﷺ عن صفية. انظر البخاري، ص869 (ح: 4211).

اللّٰه ﷺ عرض على صفية الإسلام والحرية، إذ قال لها: «إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فلعلي أن أعتقك، فتلحقي بقومك». فقالت صفية: «يا رسول اللّٰه! لقد هويت الإسلام وصدقت بك، قبل أن تدعوني ... ما لي في اليهودية أرب ... وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إليّ من العتق، وأن أرجع إلى قومي». فأمسكها رسول اللّٰه ﷺ لنفسه[1].

وجاء عن الواقدي، أن رسول اللّٰه ﷺ لم يخرج من خيبر، حتى طهرت صفية من حيضها، فخرج من خيبر ولم يعرّس بها -أي لم يدخل بها-، ولما قُرِّبَ البعير لرسول اللّٰه، وضع رجله لصفية، لتضع قدمها على فخذه، لمساعدتها على امتطاء البعير، فَوضعت ركبتها على فخذه، احترامًا منها لرسول اللّٰه ﷺ وسترها رسول اللّٰه، وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، وجعلها بمنزلة نسائه[2].

ولما شاهد الناس فعل رسول اللّٰه ﷺ وستره لصفية وإردافها خلفه، عرفوا أنه قد تزوجها، وكانوا قبل ذلك يتساءلون فيما بينهم، هل تزوجها أم تسرى بها؟[3]. وفي مسير رسول اللّٰه ﷺ من خيبر إلى المدينة، وعلى بعد ستة أميال من خيبر رغب رسول اللّٰه أن يخلو بصفية، فأبت عليه، فوجد في نفسه عليها، فلمّا كان بالصهباء[4]، وهي على بريد

---

(1) ابن سعد، 8/ 123.

(2) انظر البخاري، ص1104؛ ابن سعد، 8/ 121؛ وقارن الواقدي، 2/ 675.

(3) ابن سعد، 8/ 122؛ الواقدي، 2/ 675.

(4) الصهباء: بلفظ اسم الخمر، وسُميت بذلك لصهوبة لونها، وهو حمرتها أو شقرتها، وهو اسم موضع، بينه وبين خيبر روحة. ياقوت الحموي، مادة «صَهَبَ»، 3/ 435؛ والصهباء: جبل أحمر يشرف على خيبر من الجنوب يسمى جبل عطوة، البلادي، ص211.

من خيبر، قال رسول اللَّه ﷺ لأم سُليم: «عليكن فأمشطنها»[1].

قالت أم سُليم وهي تصف تجهيز صفية ليلة دخول رسول اللَّه ﷺ بها: إنه لم يكن معهم يومذاك لافسطاط ولا سرادق، فأخذت كساءين أو عباءتين فجعلت منهما ستارًا، فمشطت صفية وعطرتها[2]. وفي السياق ذاته، تضيف أم سنان الأسلمية[3]، أنها كانت فيمن حضر عرس رسول اللَّه ﷺ بصفية، وأنها كانت جارية تأخذ الزينة من أوضأ ـ أجمل ـ ما يكون من النساء، وأنها ما وجدت رائحة طيب كان أطيب من ليلتئذٍ[4].

وفي صبيحة عرس صفية سألنها بعض النساء المرافقات لها عما رأت من رسول اللَّه ﷺ، فذكرت أنه سُرَّ بها، ولم ينم تلك الليلة،ولم يزل يتحدث معها[5] ثم سألها رسول اللَّه ﷺ عن امتناعها عليه حين طلب الخلوة في أول منزل من خيبر؟ فقالت: «خشيت قرب يهود» فزادها ذلك عند رسول الله[6]. أي زادت مكانتها ومحبتها.

وكان صداق صفية عتقها[7] وفي هذا الخصوص ذكر ابن سعد خمس روايات كلها تؤكد أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بصفية وجعل عتقها صداقها[8].

---

(1) ابن سعد، 8/ 121؛ وقارن البخاري، ص81 (ح: 371).

(2) ابن سعد، 8/ 121.

(3) أم سنان الأسلمية، صحابية كانت من المبايعات، روى عنها ابن عباس. ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 458 (ت: 7484).

(4) ابن سعد، 8/ 121.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 122.

(6) المصدر السابق نفسه، 8/ 122.

(7) البخاري، ص1104 (ح: 5086).

(8) ابن سعد، 8/ 124 ـ 125؛ مسلم، 2/ 1045 (ح: 1365).

ثم إن رسول اللَّه ﷺ أَولَمَ على صفية صباحَ عُرسه، وكانت وليمة لا خبز فيها ولا لحم. فقد أمر بالأنطاع ـ الجلود المدبوغة ـ فأُلقي فيها من التمر والأقط والسمن، ثم دعا المسلمين إليها[1]. وجاء في رواية أخرى، أن الوليمة كانت من التمر والسويق[2]. وذكر البخاري، أنه لما أصبح رسول اللَّه ﷺ عروسًا، قال من كان عنده شيء فليجئ به، وبسط نطعًا، فجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، قال: وأحسبه ذكر السويق، فحاسوا حيسًا، فكانت وليمة رسول اللَّه ﷺ[3]. ومهما يكن الاختلاف في ألفاظ هذه الروايات فهي تؤكد أن الوليمة لم يكن فيها، شحم ولا لحم ولا خبز، بل كانت عبارة عن طعام مكون من السمن والأقط والتمر، وهو ما يسمى بالحيس، ولعل ما يدعو إلى التساؤل في هذا السياق هو عدم وجود اللحم، والمسلمون توًّا فرغوا من فتح خيبر، ماذا عن البقر والغنم التي يفترض أن المسلمين غنموها من الغزوة؟ حيث قال أبو هريرة ما غنمنا من خيبر ذهبًا ولا فضة ما غنمنا إلّا الغنم والبقر[4].

وقال أحد من حضر وليمة رسول اللَّه ﷺ على صفية، أنه شاهد صفية يومئذٍ، تسقي الناس النبيذ، ولما سُئل من أي شيء كان النبيذ؟ أفاد أنه تمرات انقعتهن صفية من الليل في إناءٍ من حجارة، فلمّا أصبحت سقته للناس[5].

---

(1) البخاري، ص1104 (ح: 5085)، ص869 (ح: 4211).

(2) ابن سعد، 8/ 125؛ ابن عبد البر، 4/ 1872 (ت: 4005)؛ ابن هشام، 4/ 303.

(3) البخاري، ص81 (ح: 371)؛ مسلم، 2/ 1043 ـ 1044 (ح: 1365) وقارن في المصدر نفسه، ص1047 (ح: 1365).

(4) انظر البخاري، ص872 (ح: 4234)؛ الواقدي، 2/ 664 ـ 680.

(5) ابن سعد، 8/ 125.

إن ما جاء في هذه الرواية أمر مستبعد، حيث إنه بمجرد أن أعلنت صفية إسلامها على يدي رسول اللَّه ﷺ وزواجه منها، فقد أصبحت إحدى أمهات المؤمنين، التي يجب أن تحتجب عن الأجانب من الرجال، فكيف تقوم صبح عرسها تسقي الناس النبيذ؟! علمًا أن المقصود بالنبيذ هنا هو نقيع التمر الذي لم يختمر.

وقد اختلفت بعض المصادر في السنة والشهر التي تمّ فيهما زواج رسول اللَّه ﷺ بصفية، ومعلوم أن الزواج كان مقترنًا بفتح خيبر، بل هو نتيجة من نتائجه، فذكر الواقدي أن الغزوة، كانت في شهر صفر سنة سبع من الهجرة (7هـ/ 628م)، وقيل كانت في أول شهر ربيع الأول من السنة نفسها[1]. أما ابن سعد فقد ذكر أن الغزوة كانت في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة[2]. ويضيف أن زواج رسول اللَّه ﷺ من صفية، كان في جمادى الآخرة من السنة السابعة للهجرة[3] وفي حديث الطبري عن غزوة خيبر يذكر أنها وقعت في أواخر شهر محرم من السنة السابعة للهجرة، ثم يشير إلى اصطفاء رسول اللَّه ﷺ لصفية[4].

ولكن الطبري في موضع آخر من تاريخه، يذكر أن رسول اللَّه ﷺ اصطفى يوم خيبر صفية لنفسه، فأسلمت وأعتقها وذلك في السنة السادسة من الهجرة (6هـ/ 627م)[5].

(1) الواقدي، 2/ 634؛ وقارن أبو عُبيدة معمر بن المثنى، حيث ذكر أن غزوة خيبر، في سنة سبع، في شهر رمضان، ص66. وقوله في شهر رمضان قول لا يوافق عليه، بل هي رواية شاذة ولم ينسبها لمصدرها!

(2) ابن سعد، 2/ 106.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 218.

(4) الطبري، 3/ 149.

(5) المصدر السابق نفسه، 3/ 165ـ166.

وليس من الإنصاف تحميل الطبري، مسؤولية هذا الاضطراب والتناقض في رواياته، ولكن ربما يتحمل ذلك بعض النساخ، الذين تعاقبوا على نسخ تراثه العلمي. وإذا كان تسويغ ما حصل عند الطبري مقبولًا فما عُذر ابن الأثير الذي ذكر في إحدى رواياته، أن رسول اللَّه ﷺ أعتق صفية، وتزوجها سنة ست من الهجرة (6هـ/ 627م)[1]، وفي روايته الثانية التي يتحدث فيها عن غزوة خيبر ذكر أنها وقعت في أواخر شهر محرم من السنة السابعة للهجرة[2].

ويظهر من هذا أن ابن الأثير، كان ينقل عن الطبري، دون التنبه للتناقض الوارد في بعض مروياته، ومن هنا كان منشأ هذا الاضطراب.

وعلى وجه العموم فإنه بالموازنة بين الروايات السابقة جميعها، يظهر أن رواية ابن سعد الذاكرة أن خروج رسول اللَّه ﷺ إلى خيبر، كان في جمادى الأولى من السنة السابعة وأن زواجه من صفية كان في جمادى الآخرة من السنة نفسها هو قول له جاذبية ولكن يصعب التحقق من دقته، إذ جاء عن أحد شهود غزوة خيبر، أنهم نزلوا خيبر زمان البلح[3].

وهذا يعني أن الثمار لم تنضج بعد ولعل هذا ما يلقي بظلال من الشك على رواية ابن سعد حيث إن شهري جمادى الأولى وجمادى

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2/ 309.

(2) المصدر السابق نفسه، **الكامل في التاريخ**، 2/ 221.

(3) انظر الواقدي، 2/ 660؛ «والبَلَحُ» هو حمل النخل ما دام أخضر صغارًا كحصرم العنب. ... والبَلَحُ: هو أول ما يرطب البُسر، والبلح قبل البُسُر، لأن أول التمر طلعُ ثم خلال ثم بلح، ثم بُسر ثم رُطب ثم تمر. ابن منظور، 2/ 414ـ415، مادة «بلح».

الثانية من السنة السابعة للهجرة اللذين ذكرهما ابن سعد يوافقهما في التقويم الميلادي: آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر، (628م) وهذا يعني وقت نضج الثمار وموسم جنيها.

لذلك يجب استبعاد رواية ابن سعد، القائلة أن غزوة خيبر وزواج رسول اللّٰه ﷺ من صفية كانا في جمادى الأولى وجمادى الآخرة من السنة السابعة للهجرة، والتوقف عند رواية أبي رُهم الغفاري[1]، القائلة أنهم نزلوا خيبر، زمان «البلح»[2]. إذ إن المقصود بالبلح هنا هو: حمل النخل ما دام أخضر صغارًا، كحصرم العنب[3]. وهذا يعني أن ثمرة النخل لم تنضج بعد. ولعل ما يَعْضِد هذه الرواية هو ما جاء في رواية أخرى، أن المسلمين نزلوا على خيبر، وقدموا على ثمرة خضراء، فأكلوا من تلك الثمرة فأهمدتهم الحُمى[4]. وكانت الغزوة في يوم صائف شديد الحر[5]. وهذا يعني أن الغزوة لم تكن في فصل الشتاء، بل في شهور الصيف. ولهذا فربما أن ما جاء عند خليفة بن خياط (ت: 240هـ/ 854م) نقلًا عن المدائني أن رسول اللّٰه ﷺ خرج إلى خيبر في محرم وافتتحها في صفر ورجع غرة شهر ربيع الأول[6]

(1) أبو رُهم الغفاري: اسمه كلثوم بن الحصين (وفيه اختلاف) أسلم بعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، شهد غزوة أحد، واستخلفه رسول اللّٰه ﷺ على المدينة مرتين، وشهد بيعة الرضوان، وشهد عدة مشاهد منها تبوك وخيبر. ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 4/ 448 (ت: 5900).

(2) الواقدي، 2/ 660.

(3) ابن منظور، 2/ 414_415، مادة «بلح».

(4) الواقدي، 2/ 646.

(5) المصدر السابق نفسه، 2/ 645.

(6) خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية =

هو الأقرب إلى الصواب فإذا وازنا هذا التاريخ الذي ذكره ابن خياط، بالتقويم الميلادي، فإن ما يقابله في الشهور الميلادية، شهور نيسان/ أبريل وأيار/ مايو وحزيران/ يونيو لعام (628م) وهذا يعطي احتمالاً قويًّا، أن الغزوة كانت في شهور الصيف، بل في بداية الصيف، وأن الثمار لم تنضج بعد. وهذا يقود بطبيعة الحال إلى احتمال أن زواج رسول اللَّه ﷺ من صفية بنت حُييٍّ كان في شهر صفر من السنة السابعة للهجرة (7هـ/ 628م).

وفي عودة رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة، أردف، صفية بنت حُييٍّ على ناقته، وقد حجبها عن الناظرين، قالت صفية وهي تصف عطف رسول اللَّه ﷺ، عليها ورقته في معاملتها: «ما رأيت أحدًا قط أحسن خُلقًا من رسول اللَّه ﷺ لقد رأيته راكبًا بي من خيبر ليلًا، فجعلت أنعس، فيضرب رأسي مؤخرةَ الرحل، فيمسني بيده، «يا هذه مهلاً يا ابنة حُييٍّ». حتى إذا جاء الصهباء، قال: «أما إني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي: كذا، وقالوا لي: كذا»»[1].

وتصف بعض المصادر صفية بنت حُييٍّ، بأنها كانت من أجمل نساء العالمين[2]. وكانت حليمة عاقلة، فاضلة[3]، وكانت ذات حلم

= (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1405هـ/ 1985م)، ص82؛ والمدائني: هو علي بن محمد بن عبداللَّه المدائني، له مؤلفات كثيرة في السيرة النبوية، مثل: كتاب فتوح النبي ﷺ، وكتاب صُلح النبي ﷺ، وكتاب عهود النبي ﷺ، وكتاب المغازي. وغيرها كثير في أخبار قريش وأخبار الخلفاء والفتوح. انظر النديم، ص ص113 ـ 117.

(1) السُّهيلي، 4/ 60؛ وقارن البلاذري، **فتوح البلدان**، ص36.

(2) ابن قيم الجوزية، 1/ 64.

(3) ابن عبد البَرّ، 4/ 1871 (ت: 4005).

ووقار[1]. وكانت عندما تزوجها رسول اللَّه ﷺ ما بلغت السابعة عشرة من العمر[2].

وسادت حالة من التوتر والترقب بين بعض أزواج النبي ﷺ في المدينة بسبب ما سمعنه عن جمال صفية وحُسنها، ووصولها الوشيك. وعندما أشرف النبي ﷺ على المدينة، عثرت به ناقته وصفية خلفه، فُصرع رسول اللَّه ﷺ وصُرعت صفية. فخرج بعض جواري نساء رسول اللَّه ﷺ يتراءين صفية، ويشمتن بصرعتها[3].

لقد تحددت مواقف بعض نساء النبي ﷺ من صفية ساعة دخولها المدينة، حيث إن النبي ﷺ أنزل صفية في منزل لحارثة بن النعمان[4]، بعد أن انتقل عنه حارثة، فما أن علمت عائشة بوصول صفية إلى المدينة، حتى بعثت جاريتها بريرة إلى أم سلمة، تسلم عليها ـ وكانت أم سلمة مع النبي ﷺ في غزوة خيبر ـ وتسألها عن صفية أظريفة هي؟ فقالت أم سلمة: من أرسلك؟ عائشة؟ فسكتت، فعرفت أم سلمة أنها أرسلتها. فقالت أم سلمة: لعمري إنها لظريفة ، وأن رسول اللَّه ﷺ لها محب، فذهبت بريرة وأخبرت عائشة خبرها[5]. ولكن عائشة

---

(1) الذهبي، 2/ 235.

(2) ابن سعد، 8/ 129.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 124؛ وجاء في رواية أخرى أنه لما عثرت الناقة وخرّ رسول اللَّه ﷺ وخرّت صفية، كُنّ أزواج النبي ﷺ ينظرن، فقلن: «أبعد اللَّه اليهودية، وفعل بها وفعل ...»، ابن سعد، 8/ 123.

(4) حارثة بن النعمان: بن نفع بن زيد بن ثعلبة بن غنم، من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فكان كلما أحدث رسول اللَّه ﷺ أهلاً تحول له حارثة بن النعمان عن منزله حتى قال النبي ﷺ «لقد استحييت من حارثة بن النعمان، مما يتحول لنا عن منازله. وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سُفيان. ابن سعد، 3/ 487 ـ 488.

(5) الواقدي، 2/ 708 ـ 709.

لم تطمئن لما سمعته من بريرة، بل لعل ما سمعته عن صفية زادها رغبة في أن تنظر بنفسها، فخرجت متنكرة حتى دخلت على صفية، وعندها نسوة من الأنصار، فنظرت إليها وهي منتقبة فعرفها رسول اللَّه ﷺ، فلمّا خرجت رجع إليها رسول اللَّه ﷺ فقال: «يا عائشة، كيف رأيت صفية؟» قالت: «ما رأيت طائلًا، رأيت يهودية بين يهوديات ـتعني عماتها وخالاتهاـ، ولكني قد أُخبرت أنك تحبها، فهذا خيرٌ لها من لو كانت ظريفة». قال: «يا عائشة، لا تقولي هذا، فإني قد عرضت عليها الإسلام، فأسرعت وأسلمت وحسن إسلامها»[1].

ويمكن تفهم موقف عائشة من صفية، فصفية عندما تزوجها رسول اللَّه ﷺ كان لها من العمر قرابة سبعة عشر عامًا، وكان لعائشة من العمر في عام خيبر قرابة خمسة عشر عامًا. فالسن متقارب بين المرأتين، بل يجوز القول إن صفية تأتي في المرتبة الثانية بعد عائشة من حيث صغر سنها. ولا عجب إذن إذا غارت منها عائشة، وخشيت منافستها لها على قلب الرسول الكريم، فعائشة حينما أبصرت جمال صفية وجاذبيتها، لم تجد ما تعيبها به أمام الرسول ﷺ سوى أنها يهودية!

وما إن خرجت عائشة من عند صفية، حتى ذهبت إلى حفصة، وكانت عائشة وحفصة يدًا واحدة ـأي على توافق فيما بينهنـ فأخبرت حفصة بجمال صفية، فذهبت ودخلت عليها، فنظرت إليها، ثم رجعت إلى عائشة، فقالت: «إنها لظريفة، وما هي كما قُلتِ»[2]. وربما يفهم رأي حفصة في صفية، والتقليل مما قيل عن جمالها، أن المراد منه هو

(1) الواقدي، 2/ 709؛ وقارن ابن سعد، 8/ 125ـ126.
(2) المصدر السابق نفسه، 2/ 709.

التخفيف من أثره على نفس عائشة، حيث إنهما صديقتان ويدًا واحدة على من سواهما.

ويظهر كذلك أن زيارة صفية في بيتها والتعرف إلى ما قيل عن جمالها قد تكرر أكثر من مرة!.

ففي رواية عن أم سنان الأسلمية وكانت قد صاحبت رسول اللَّه ﷺ في غزوة خيبر، قالت: «لما نزلنا المدينة، لم ندخل منازلنا، حتى دخلنا مع صفية منزلها، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار، فدخلن عليها متنكرات، فرأيت أربعًا من أزواج النبي ﷺ، منتقبات: زينب بنت جحش، وحفصة، وعائشة، وجويرية، فأسمع زينب تقول لجويرية: يا بنت الحارث، ما أرى هذه الجارية إلّا ستغلبنا، على رسول اللَّه ﷺ، فقالت جويرية: كلا إنها من نساء قلّ ما يحظين عند الأزواج»[1].

يظهر من مقولة زينب حول ما رأته في صفية، ما هو إلّا اعتراف ضمني بسطوة جمالها، أما ما قالته جويرية بأن صفية من النساء اللاتي قلّ ما يحظين عند الأزواج، فهي مقولة ظنية لا تستند إلى واقع، وإلا فكيف لجويرية أن تعرف مثل هذا عن نساء بني النضير؟!

وإلى جانب ما قيل عن جمال صفية، فيظهر أنها كانت كذلك على نصيب من الذكاء والسخاء في الوقت ذاته، ذلك أن صفية لما قدمت المدينة كان معها حلية ذهب، فوهبت منها لفاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ، ولنساء معها[2].

(1) ابن سعد، 8/ 126.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 127.

وربما يفهم من هذه الهبة، أنها اعتراف حقيقي بحب صفية وتقديرها لفاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ، وهي في الوقت نفسه محاولة منها لكسب ودّ فاطمة لتقف بجانبها أمام ما تراه من جفوة من بعض نساء النبي ﷺ.

ونظرًا لما قيل عن جمال صفية، وصغر سنها، فهي ابنة سبعة عشر عامًا، تقريبًا، وكذلك أصلها اليهودي، كل ذلك، قد جعل بعض أزواج النبي ﷺ ينظرن إليها نظرة جفوة، واستعلاء؛ مما جعلها تشكو أمرها إلى رسول اللَّه ﷺ فقد حدث أن دخل عليها رسول اللَّه ﷺ ذات يوم وهي في شدة الضيق، والجزع، فسألها عما بها؟ فقالت: إنه بلغني أن عائشة وحفصة، تقولان: «نحن أكرم على رسول اللَّه ﷺ منها ـ أي من صفية ـ وقالوا: نحن أزواج النبي ﷺ وبنات عمه»[1]. فواساها رسول اللَّه ﷺ، ودافع عنها ولقنها الحجة التي تدافع بها عن نفسها؛ إذ قال لها: «ألا قُلتِ فكيف تكونان خيرًا مني، وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟»[2].

وفي مناسبة أخرى، دخل رسول اللَّه ﷺ على صفية فوجدها تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: إن حفصة قالت: إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي . ففيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقي اللَّه يا حفصة»[3].

إن النبي ﷺ في مواقفه هذه تجاه صفية، والرفع من معنوياتها

---

(1) الترمذي، 5/ 708 (ح: 3892).
(2) المصدر السابق نفسه، 5/ 708 (ح: 3892).
(3) المصدر السابق نفسه، 5/ 709 (ح: 3894).

وشدّ أزرها في مواجهة ما تجده من بعض أزواجه من جفوة، أو محاولة الحط من شأنها، وتذكيرها بأصلها اليهودي، كان في الوقت نفسه يذكر صفية ويذكر أزواجه بأن أصل صفية وكونها ترجع إلى سلالة إسرائيلية؛ أن ذلك ليس عيبًا بل هو شرف لها وأي شرف إذ إنها من أصول كريمة، ومن سلالة أنبياء، فَمَنْ من نساء رسول اللّه ﷺ تسامي صفية في عراقة النسب؟! ثم إن رسول اللّه ﷺ يأمر بعض نسائه بتقوى اللّه والكف عن هذا اللمز في أصل صفية، «اتقي اللّه، يا حفصة»[1].

ولكن يظهر أن موقف بعض نساء النبي ﷺ من صفية ظل موقفًا سلبيًا، ذلك أنه في السنة العاشرة من الهجرة (10هـ/ 631م)، عندما حج النبي ﷺ بنسائه، حجة الوداع اعْتلّ بعير صفية وتوقف عن السير فقال رسول اللّه ﷺ لزينب بنت جحش، وكان معها في ذلك السفر أكثر من بعير لو أعطيتها بعيرًا من إبلك. فقالت زينب: «أنا أُعطي تلك اليهودية»![2].

فكان موقف رسول اللّه ﷺ من زينب موقفًا حازمًا، وتأديبه لها تأديبًا صارمًا. إذ هجرها رسول اللّه ﷺ ذا الحجة والمحرم وشهرين أو ثلاثة لا يأتيها. قالت زينب: «حتى يئست منه، وحولت سريري»، ثم عاودها رسول اللّه ﷺ[3].

وبالعودة إلى ما جاء من روايات حول مشاعر الغَيْرَة والجفوة التي ظهرت من بعض نساء النبي ﷺ تجاه صفية بنت حُييٍّ، فلا بد من

(1) الترمذي، 5/ 709 (ح: 3894).
(2) ابن سعد، 8/ 127.
(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 127.

التساؤل هل كان مبعث هذه المواقف في الأساس ديني، أي لأنها من أصل يهودي، أم لأنها ذات جمال ظاهر، وتخشى بعض هذه النساء منافستها لهن على قلب الرسول ﷺ؟ أم أن لحروب الرسول ﷺ مع اليهود في المدينة وخيبر وغيرها من الأماكن هي التي ولدت لديهن مشاعر الكراهية نحو صفية؟

كل هذه التساؤلات مشروعة ولكن يصعب العثور على أجوبة مقنعة عنها وكل الذي يمكن الإشارة إليه هنا، هو وجوب استبعاد أصلها الإسرائيلي أو ديانتها اليهودية السابقة على إسلامها من أن تكون من أسباب جفوة بعض نساء النبي ﷺ لها ومحاولة الحط من شأنها؛ لأن النبي ﷺ شهد لها بأنها من سلالة أنبياء كرام، هارون وموسى، ولا شك أن نساء النبي ﷺ يقرأن القرآن ويعرفن منزلة هؤلاء الأنبياء عند اللَّه! ثم إن رسول اللَّه ﷺ قد شهد لصفية بصدقها وحسن أخلاقها. فكان المنتظر من هذه النسوة أمام تلك الحقائق أن يخففن من نظرتهن السلبية تجاه صفية، ويبدو أن ذلك لم يحدث. أما احتمال أثر حروب رسول اللَّه ﷺ مع قوم صفية من يهود فهو احتمال ضعيف وهو موقف ديني سياسي ولا شأن لنساء النبي ﷺ بالسياسة. ولكن من غير المستبعد أن يكون ما قيل عن جمال صفية وصغر سنها حينذاك، أنه كان لهما الدور الرئيس في تأجيج مشاعر الغَيْرَة عليها خيفة استحواذها على قلب الرسول ﷺ؛ سيما وأن هذه المشاعر السالبة كانت صادرة من نساء جميلات مثل أم المؤمنين عائشة وكذلك أم المؤمنين زينب بنت جحش، ولا يمكن استبعاد أم المؤمنين حفصة بنت عمر حيث إنها هي وعائشة يدٌ واحدةٌ. وإذا أصبح هذا الاحتمال ممكنًا فلا بد إذًا من الإشارة إلى مارية القبطية (ت: 16هـ/ 637م) في هذا السياق إذ

إن مارية[1] كما هو معلوم من أصل مصري، قبطية أي نصرانية، وقدمت إلى المدينة في السنة السابعة من الهجرة، أي السنة نفسها التي تزوج فيها رسول اللَّه بصفية[2].

ويذكر أحد المصادر أن مارية، كانت بيضاء جميلة، وكان رسول اللَّه ﷺ معجبًا بها[3]. وتتحدث عائشة أم المؤمنين، عن مشاعرها بشكل واضح وصريح كعادتها، فتقول: «ما غرت على امرأة إلّا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة، وأُعجب بها رسول اللَّه ﷺ ... فكانت جارتنا، فكان رسول اللَّه ﷺ عامة النهار والليل عندها، حتى فرغنا لها، فحولها إلى العالية فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا ...»[4].

الملاحظ هنا أنه في حديث عائشة من غيرتها على مارية ومشاعرها نحوها لم يكن لها علاقة بأصلها المصري أو بديانتها النصرانية، بل بقيت الغَيرَة محصورة على جمالها وحب رسول اللَّه ﷺ لها وتردده عليها، وإطالة المكث عندها. ففي هذه الرواية استبعاد تام للدين أو الأصل أن يكون لهما أثر في الغَيرَة. ويبدو أن هذا الموقف تجاه مارية

---

(1) مارية القبطية: هي أم إبراهيم ابن رسول اللَّه ﷺ، بعث بها المقوقس صاحب الإسكندرية هدية إلى رسول اللَّه ﷺ سنة سبع من الهجرة، أسلمت وهي في الطريق إلى المدينة. وكان رسول اللَّه ﷺ يختلف إليها، وضرب عليها الحجاب وكان يطأها بملك اليمين. توفيت مارية أم إبراهيم في خلافة عمر بن الخطاب، في شهر محرم سنة 16هـ ابن سعد، 8/ 216.

(2) ابن سعد، 8/ 212.

(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 212.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 212ـ213.

لم يكن موقف عائشة وحدها بل ربما شاركتها أكثر من امرأة من أزواج النبي ﷺ، وقرينة ذلك الدالة عليه هي قول عائشة في روايتها «... حتى فرغنا لها...» وقولها: «... فكان ذلك أشد علينا ...» فهي تتحدث هنا بضمير الجماعة، أي إنها تشير ضمنًا إلى بعض أزواج النبي ﷺ.

وفي مناسبة أخرى، عندما خلا رسول اللَّه ﷺ، بمارية في بيت حفصة، في حال غيابها عن البيت، فلمّا خرج رسول اللَّه ﷺ وجد حفصة قاعدة عند الباب فصاحت محتجة، وتقول: «يا رسول اللَّه! في بيتي وفي يومي!»[1]. وهذه الحادثة مشهورة واستفاضت بالحديث عنها كتب المؤرخين والمفسرين، وستناقش في موضع لاحق من هذه الدراسة. وبيت القصيد هنا، أن حفصة في غضبتها مما حدث في بيتها، لم تشر إلى أصل مارية ولا إلى ديانتها السابقة أي النصرانية بل كان أساس الغضب والاحتجاج حسب ما يظهر من الرواية هو كون المرأة وطئت في بيتها وعلى فراشها وفي يومها!.

إن الذي يمكن استنتاجه أخيرًا من كل هذا الاستطراد، هو أن مواقف بعض أزواج النبي ﷺ من صفية ليس مرجعه إلى أصلها الإسرائيلي ولا إلى ديانتها اليهودية، بل ربما أساس هذا كله هو جمالها وصغر سنها، فكانت منافسًا قويًّا، لبعض نساء النبي ﷺ. واللافت في الأمر أن مُضي أربع سنوات ونيف منذ أن دخلت صفية المدينة بصحبة الرسول ﷺ وانضمامها إلى كوكبة أمهات المؤمنين، إلّا أن ذلك لم يكن كافيًا من جانب بعض أزواج النبي ﷺ لإظهار جانب الوّد تجاه صفية! فقد حدث أنه في المرض الذي توفي فيه رسول اللَّه ﷺ أن اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حُييٍّ: «أما واللَّه يا نبي اللَّه،

(1) ابن سعد، 8/ 218.

لوددت أن الذي بك بي» فغمزنها أزواج النبي ﷺ، وأبصرهن رسول اللَّه ﷺ، فقال: «مضمضن». فقلن: من أي شيء يا نبي الله؟ قال: «من تغامزكن واللَّه إنها لصادقة»[1].

وهكذا عاشت صفية بنت حُييٍّ مع رسول اللَّه ﷺ ما يزيد عن أربع سنين، كلها حب وودَّ واحترام عميق، وما كان ليؤذيها أو يذكرها بما حدث من أهلها وقومها، نحو النبي ﷺ والمسلمين، «فلم يُسمع النبي ﷺ ذاكرًا أباها بحرف مما تكره»[2]. وظل ينافح عنها، ويؤكد لأزواجه حسن إسلامها، وعراقة نسبها وأنها من سلالة أنبياء كرام. وعاتب من حاولت من أزواجه أن تحط من شأنها أو تغمز في نسبها.

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة (11هـ/ 632م)، تأيمت صفية، وذاقت لوعة وحرقة فراق رسول اللَّه ﷺ وعزاؤها الوحيد أنها عاشت بصحبته برهة من الزمن، وأنها حازت شرف أن تكون إحدى أمهات المؤمنين.

ويظهر أن صفية عاشت بقية حياتها في سعة من العيش، فقد أطعمها رسول اللَّه ﷺ من خيبر، ثمانين وسقًا تمرًا، وعشرين وسقًا شعيرًا ويقال قمحًا[3] وفرض لها عمر في العطاء عشرة آلاف درهم سنويًّا. مثل بقية أزواج رسول اللَّه ﷺ[4] وقد ورّثت صفية، مئة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، فأوصت لابن أختها، وهو يهودي، بثلثها[5].

---

(1) ابن سعد، 8/ 128.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 123.

(3) المصدر السابق نفسه،، 8/ 127.

(4) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص630.

(5) ابن سعد، 8/ 128.

وتتمتع صفية بصفة إنسانية فذة، وهي صفة العفو، وسلامة الصدر، فقد أتت جارية لها عمر بن الخطاب في خلافته، وقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود. فبعث إليها عمر، فسألها؟ فقالت: أما السبت فإني لم أَحبه منذ أبدلني اللّٰه به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي بهم رحمًا وأنا أَصِلُها. ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي، فأنت حُرَّة[1]. ما أجمل ما صنعت صفية، فهي لم تُعنف جاريتها، ولم تعاقبها، ولم تبعها، لتتشفى منها، بل أعتقتها لوجه اللّٰه! وكانت لها دار تصدقت بها في حياتها[2].

اختلفت الروايات في تحديد تاريخ وفاة صفية، فقيل سنة خمسين من الهجرة، وقيل سنة اثنتين وخمسين[3]. والراجح أن وفاتها كانت في سنة خمسين لتواتر الروايات على ذلك[4] وكانت وفاتها بالمدينة، ودفنت بالبقيع رحمها اللّٰه رحمة واسعة، وجمعها بحبيبهما المصطفى في الدار الآخرة.

وقد روت صفية عن رسول اللّٰه ﷺ عشرة أحاديث[5].

---

(1) ابن عبد البر، 4/ 1872 (ت: 4005).

(2) ابن سعد، 8/ 128.

(3) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 129، 128؛ ابن عبد البر، 4/ 1872؛ المحب الطبري، ص209، وذكر المحب الطبري، وقيل إنها توفيت سنة ست وثلاثين 36هـ، ص209.

(4) راجع الروايات أعلاه.

(5) الذهبي، 2/ 238.

ـ 8 ـ

أم حبيبة بنت أبي سفيان

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُمية، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أُمية[1] ، عمة عثمان بن عفان[2]. تزوج أم حبيبة عُبيد اللّه بن جحش، وهاجرا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصر وارتد، وثبتت أم حبيبة على هجرتها ودينها[3]. وربما أن المقصود بالهجرة الثانية، أي الهجرة التي حدثت في أواخر السنة الخامسة من البعثة أو على أبعد تقدير في الشهور الأولى من السنة السادسة من البعثة التي يقال إنها كانت بقيادة جعفر بن أبي طالب[4].

واختلف المؤرخون في أمر حبيبة بنت عُبيد اللّه بن جحش، هل كانت ولادتها في مكة قبل الهجرة إلى الحبشة أم كانت الولادة في

(1) ابن سعد، 8/ 96؛ المصعب الزبيري، ص ص123 ـ 124.
(2) ابن عبدالبَرّ، 4/ 1843 (ت: 3344)؛ المقدسي، ص48.
(3) ابن سعد، 8/ 96؛ ونقل المحب الطبري رواية عن أبي حاتم، أن عبداللّه (كذا) ابن جحش، هاجر بأم حبيبة إلى الحبشة، ومرض هناك، فلمّا حضرته الوفاة، أوصى إلى رسول اللّه ﷺ فتزوج أم حبيبة، ص155. وهذا خلط واضح يخالف المشهور من الروايات.
(4) ابن سعد، 1/ 207 ـ 208.

الحبشة؟ لعل أول من حاول الإجابة عن هذا السؤال، موسى بن عقبة، حيث ذكر أن حبيبة، هاجرت مع أمها إلى الحبشة، ورجعت معها إلى المدينة[1].

وجاء في مصدر آخر، ربما نقلًا عن موسى بن عقبة، قال: إن حبيبة هاجرت مع أبيها إلى الحبشة، وقدمت مع أمها إلى المدينة[2].

وفي رواية للواقدي بسنده أن حبيبة ولدت بمكة قبل الهجرة إلى الحبشة، وقيل ولدت بأرض الحبشة، وفي السياق ذاته، يضيف الواقدي أن أُم حبيبة خرجت من مكة وهي حامل بها، وولدتها بأرض الحبشة[3]. أما ابن سعد، فيذكر أن أُم حبيبة خرجت بابنتها حبيبة بنت عبيداللَّه بن جحش معها إلى الحبشة ورجعت بها معها إلى مكة! [4] ويظهر أن رواية ابن سعد لا تخلو من نظر، إذ من المعروف أن أم حبيبة لم تعد من هجرتها إلى مكة؟ بل كانت عودتها مباشرة من الحبشة إلى المدينة، لذلك فمن المحتمل جدًا أن الإشارة إلى مكة خطأ أو تصحيف من بعض نساخ طبقات ابن سعد.

وبالعودة إلى أمر ميلاد حبيبة بنت عُبيد اللَّه بن جحش، فيظهر أن رواية ابن عقبة هي الأرجح إذ إنها أقدم الروايات بهذا الخصوص، وكذلك فإن بعض روايات الواقدي وأيضًا رواية ابن سعد تميل إلى أن مكة كانت مكان ميلاد حبيبة.

---

(1) موسى بن عقبة، ص76.

(2) ابن عبدالبَرّ، 4/ 1809 (ت: 3291).

(3) انظر ابن سعد، 8/ 97؛ وقارن ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 434 (ت: 7410).

(4) انظر المصدر السابق نفسه، 8/ 96ـ97.

وبعد أن هاجر عُبيد اللَّه بن جحش بأم حبيبة وابنتها واستقر بهم المقام، وطال إلى أواخر السنة السادسة من الهجرة تقريبًا حدثت لعبيد اللَّه بن جحش انتكاسة في دينه حيث ارتدَّ عن الإسلام وتنصر. ويظهر من سياق رواية للواقدي، أن عُبيد اللَّه، كان على دين النصرانية قبل الإسلام [1]وينقل الواقدي بشأن ردة عبيد اللَّه رواية بسنده عن إسماعيل بن عمرو بن العاص[2] قال: قالت أم حبيبة: «رأيت في النوم عُبيد اللَّه بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهها، ففزعت فقلت تَغيرتْ واللَّه حاله، فإذا هو يقول حيث أصبحَ: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر دينًا خيرًا من النصرانية، وكُنتُ قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية. فقلت: واللَّه ما خير لك. وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له، فلم يحفل بها، وأكبّ على الخمر حتى مات ...» [3].

وقال ابن إسحاق كان عبيد اللَّه بن جحش حين تنصر يمر بأصحاب رسول اللَّه ﷺ وهم في أرض الحبشة فيقول: «فقّحنا وصأصأتم»، أي أبصرنا وأنتم تلتمسونَ البصر [4].

---

(1) انظر ابن سعد، 8/ 96ـ97.

(2) إسماعيل بن عمرو بن سعد بن العاص، لم يتم العثور له على ترجمة في المصادر المتاحة.

(3) انظر ابن سعد، 8/ 97؛ وجاء عند ابن إسحاق، أن عُبيد اللَّه بن جحش قد التبس عليه الأمر وتردد في النصرانية حتى أسلم. ابن هشام، 1/ 260؛ ابن سعد، 8/ 97؛ وقارن ابن زَبَالة، ص ص71ـ72.

(4) انظر ابن هشام، 1/ 260؛ ومعنى «فقَّحْنا وصأصأتم» وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ، وقوله فقَّحَ: أي فتح عينيه. ابن هشام، 1/ 260؛ ابن سعد، 8/ 97.

وليس من الواضح فيما إذا كانت أُم حبيبة قد بقيت مع زوجها المتنصر حتى وفاته أم أنها فارقته مجرد أن أعلن ردّته، حيث إن المصادر المتاحة لم تشر إلى شيء من هذا. ولكن جاء في سياق رواية أم حبيبة عن تنصر زوجها المشار إليها أعلاه، قولها: وأكبّ على الخمر حتى مات (أي زوجها)، فأُريتُ في النوم كأن آتيًا يقول: «يا أم المؤمنين، فَفَزِعَتُ، فأوَّلتُها أن رسول اللّه يتزوجني». فلمّا انقضت العِدّة بعث رسول اللّه ﷺ إلى النجاشي يخطبها على نفسه[1].

ويظهر أن تنصر عُبيد اللّه بن جحش كان قبيل أشهر من وفاته وربما في الأشهر الأولى من السنة السابعة للهجرة، حيث جاء في إحدى الروايات، أن رسول اللّه ﷺ أرسل في شهر ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة (7هـ/ 628م) إلى النجاشي عمرو بن أُمية الضمري، يطلب فيه أن يزوّجه من أم حبيبة [2].

وجاء في رواية لأبي عُبيدة معمر بن المثنى، أن رسول اللّه ﷺ تزوج بأم حبيبة في السنة السادسة من الهجرة، ولم يحدد الشهر الذي تمّ فيه الزواج [3]. أما ابن حبيب، فيذهب إلى القول أن زواج رسول اللّه ﷺ من أم حبيبة، كان وقت فتح مكة [4]. وهو قول تنقضه الوقائع التاريخية! وجاء في إحدى الروايات أن رسول اللّه ﷺ تزوج بأم

---

(1) ابن سعد، 8/ 97؛ وقارن ابن هشام، 1/ 260.

(2) أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع: **بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق محمود محمد شاكر (مصر: لجنة التأليف والترجمة، د. ت)، 1/ 325.

(3) أبو عبيدة معمر بن المثنى، ص64.

(4) ابن حبيب، ص88.

حبيبة في آخر السنة السابعة من الهجرة [1] وتطرق ابن إسحاق وهو من المؤرخين المتقدمين إلى مسألة زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، ولكنه لم يذكر شيئًا عن السنة أو الشهر اللذين تمّ فيهما الزواج [2].

وكذلك الأمر بالنسبة لابن زَبَالة، فقد أورد رواية مفصلة وشبيهة برواية الواقدي لدى ابن سعد، حول تنصّر عبيد اللَّه بن جحش وزواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، ولكن مما يؤخذ على الرواية هو عدم ذكرها للوقت الذي تمّ فيه زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة[3]، ويلاحظ في الوقت ذاته أن ابن زَبَالة، يُذَيِّلُ روايته المفصلة بخبر الزواج، بخبر قصير يذكر فيه أن خالد بن سعيد وأخاه عمرو بن سعيد ابن العاص، قدما من أرض الحبشة عام الهُدنة [4].

وعام الهُدنة أي صُلح الحديبية يبدأ من أواخر شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، ويمتد حتى فتح مكة. لذلك فمن المحتمل جدًّا أن قدوم خالد بن سعيد وأخيه عمرو كان في السنة السابعة من الهجرة. وذلك يتفق مع رواية لعمرو بن العاص لدى الواقدي، يشير فيها إلى أنه كان في الحبشة، في بلاط النجاشي، بعد صلح الحديبية، وأنه شاهد عمرو بن أمية الضمري، حيث بعثه رسول اللَّه ﷺ إلى النجاشي يطلب منه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان [5].

والعلاقة الرابطة بين قُدوم الأخوين خالد بن سعيد وعمرو بن

(1) ابن حبان البستي، ص405.

(2) ابن إسحاق، ص259.

(3) ابن زَبَالة، ص ص71 ـ 72.

(4) المصدر السابق نفسه، ص73.

(5) الواقدي، 2/ 742.

سعيد بن العاص من الحبشة عام الهدنة وكذلك وجود عمرو بن العاص وعمرو بن أُمية الضمري في الحبشة في ذلك الوقت، هو أن معظم الروايات التي تناولت أمر من تولى عقد قران رسول اللَّه ﷺ بأم حبيبة هو خالد بن سعيد [1].

لذلك فإنه من المرجح أن زواج رسول اللَّه ﷺ كان في السنة السابعة من الهجرة، مع صعوبة تحديد الشهر الذي تمّ فيه الزواج وهذا خلاف ما جاء عند أبي عُبيدة معمر بن المثنى حيث ذكر أن أم حبيبة قدمت المدينة من الحبشة، فخطبها النبي ﷺ فزوجها إياه عثمان بن عفان، وغزا النبي ﷺ خيبر وأم حبيبة عنده [2].

ويشكك أبو عُبيدة في الوقت ذاته في الرواية المشهورة من أن عقد قران أم حبيبة بالنبي ﷺ كان في الحبشة وأن النجاشي هو الذي دفع صداقها عن رسول اللَّه ﷺ[3].

أما ابن عبد البر، فلديه أكثر من رواية حول زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، فالرواية الأولى تقول إن النجاشي زوج النبي من أم حبيبة، بأرض الحبشة وأصدق عنه بمئتي دينار[4]. وجاء في الرواية الثانية أن عثمان بن عفان، زوج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، وهي بنت

(1) انظر ابن زَبَالة، ص ص71ـ72؛ ابن هشام، 4/ 302؛ ابن سعد، 8/ 97ـ98؛ ابن قتيبة، ص136؛ الطبري، 3/ 165؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 434 (ت: 7410). في بعض رواياته.

(2) أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص ص65ـ66.

(3) المصدر السابق نفسه، ص65.

(4) ابن عبد البر، 4/ 1843 (ت: 3344).

عمته زوجها إياه النجاشي، وجهزها إليه وأصدقها أربعمائة دينار، وأولم عليها عثمان بن عفان لحمًا وثريدًا[1].

ويعلق ابن عبدالبر على هذه الرواية قائلًا: «وهذا تناقض في الظاهر، ويحتمل أن يكون النجاشي، هو الخاطب على رسول اللَّه ﷺ والعاقد عثمان بن عفان [2] ويمكن مناقشة هذا التعقيب من قبل ابن عبد البر، إذ كيف يجوز لعثمان بن عفان أن يعقد لرسول اللَّه ﷺ على أم حبيبة، ويولم عليها لحمًا وثريدًا وهو في المدينة مقيم وهي في مهجرها أي الحبشة؟

وينقل ابن عبد البر عن قتادة الرواية الثالثة بخصوص زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة ومفادها أنه لما قدمت أم حبيبة المدينة، خطبها رسول اللَّه ﷺ، فزوجه إياها عثمان بن عفَّان[3].

وبعد عرض ابن عبدالبر للروايات المختلفة المتعلقة بزواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، يعود لينقل عن مصعب والزبير: أن النجاشي هو الذي زوج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، وذلك خلاف قول قتادة، أن عثمان زوجه إياها بالمدينة، «وهو الصحيح إن شاء الله»[4].

ولعل ما يحسم هذا الاضطراب في الروايات المتقدمة هو ما نقله الواقدي بسنده عن أم حبيبة في حديثها عن موضوع خطبتها وزواجها من رسول اللَّه ﷺ قالت: «... فما هو إلّا أن انقضت عدتي،

(1) ابن عبد البر، 4/ 1844؛ المقدسي، ص ص47ـ48.

(2) ابن عبد البر، 4/ 1844.

(3) المصدر السابق نفسه، 4/ 1844ـ1845؛ وانظر البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 439، حيث شكك في هذه الرواية.

(4) ابن عبد البر، 4/ 1845.

فما شعرت إلّا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له، يقال لها أبرهة ... فدخلت عليّ فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول اللَّه ﷺ، كتب إليّ أن أزوجكه. فقالت: بشرك اللَّه بخير. قالت: يقول لك الملك وكِّلي من يزوجك. فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة، وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورًا بما بشرتها ...»[(1)].

ثم في نهاية الرواية، تذكر أم حبيبة أن خالد بن سعيد بن العاص، عقد عُقدة الزواج لرسول اللَّه ﷺ، وأن النجاشي أصدقها عن رسول اللَّه ﷺ أربع مئة دينار. ثم إن النجاشي أقام للحاضرين بِمَنْ فيهم جعفر ابن أبي طالب، وليمة الزواج، قائلًا لهم: إن سنة الأنبياء إذا تزوجوا، أن يؤكل طعام على التزويج[(2)].

وقد علق الذهبي (ت: 748هـ / 1347م) على زواج رسول اللَّه ﷺ من أُم حبيبة بالقول: «وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار منها»[(3)]. والذهبي محق في كل ما قاله عن

---

(1) انظر ابن سعد، 8/ 97؛ وقارن ابن زَبَالة، ص ص71ـ73؛ الخدمة: نوع من الخلاخل، يستعمل في حلية القدم. انظر محمد بن فارس الجميل، «حلية النساء في عصر الرسول ﷺ» دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوي الشريف، **مجلة كلية الآداب** ـ جامعة الملك سعود، مج7، الآداب (1) (1415هـ/ 1995م)، ص ص75ـ110.

(2) ابن سعد، 8/ 97ـ98؛ وقارن ابن زَبَالة، حيث أضاف في رواية له أن النجاشي أصدق أم حبيبة أربعمائة دينار وقلادة، ص74؛ وبخصوص خطبة الزواج والمهر والوليمة، راجع البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 438ـ439.

(3) الذهبي، 2/ 219.

أم حبيبة، سوى قوله: «إنها من بنات عـم الرسول ﷺ وأنها مـن أقـرب نسائـه نسبًا إليـه». فمتى كان صخر بن حرب أي أبو سفيان عمّا لرسول اللّه ﷺ! إلّا إذا كان الذهبي يريد أن يقول: إن أم حبيبة بنت أبي سفيان هي بنت عم (رسول اللّه ﷺ) على المجاز لا الحقيقة، حيث إن أبا سفيان يلتقي مع نسب رسول اللّه ﷺ في عبد مناف فهذا قول جائز.

وبمناسبة هذا الزواج المبارك، فقد أمر النجاشي نساءَهُ، أن يبعثن بكل ما لديهن من العطر، فبعثن إلى أم حبيبة بأصناف من العود والورس والعنبر والزباد، فقدمت بذلك كله على النبي ﷺ[1]. ويقال إن النجاشي أهدى إلى رسول اللّه ﷺ كسوة جامعة أي ـوافيةـ وبعث بها مع أم حبيبة، لما توجهت إلى المدينة[2].

والسـؤال هنا متى رحلـت أم حبيبة إلى المدينة ومـع مَنْ؟ إن مما يثيـر التسـاؤل هـو أن أم حبيبـة تحدثـت عن الكثيـر من أمـور هجرتها ومعاناتها، ثم خطبتها من رسول اللّه ﷺ ومن ثم عقد نكاحها عليه، إلّا أنها لـم تشـر حسـب المصادر المتاحة إلى الوقت الـذي رحلت فيه من الحبشة، إلى دار الهجرة، أي المدينة وبصُحبة مَنْ وكيف؟

لقد وردت إشارة عند الواقدي حول الوقت الذي عادت فيه أم حبيبة إلى المدينة، حيث ذكر عن بعض رُواته أنه في شهر ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، قدم عمرو بن أُمية الضمري من قبل رسول اللّه ﷺ إلى الحبشة، ومعه كتابان للنجاشي، الأول يدعو فيه رسولُ اللّه ﷺ النجاشيَّ إلى الإسلام، وفي الكتاب الثاني يطلب منه أن يزوجه

(1) ابن سعد، 8/ 98.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، 1/ 439.

أم حبيبة، وأن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم[1]. وفي السياق نفسه يذكر الواقدي أن النجاشي، زوّج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، ودفع صداقها وهو أربع مئة دينار، وأنه حمل من تبقى من المسلمين على سفينتين مع عمرو بن أُمية الضمري، فأرسوا بهم إلى ساحل بولا، وهو الجار[2]، ثم تكاروا الظهر، أي ـ وسائط النقل ـ حتى قدموا المدينة، فيجدون رسول اللَّه ﷺ بخيبر، فشخصوا إليه هناك...[3].

يبدو من هذه الرواية أنها تحمل إشارة ضمنية لوجود أم حبيبة ضمن العائدين من الحبشة في السنة السابعة للهجرة في السفن مع عمرو بن أمية الضمري. ولكن توجد في الوقت نفسه رواية عند الطبري نقلاً عن الواقدي شبيهة إلى حدّ كبير بالرواية السابقة إلّا أنها تنصّ صراحة على أم حبيبة، وهي التي تتحدث في هذه الرواية عن مغادرة المهاجرين الحبشة إلى المدينة، قالت أم حبيبة: «فخرجنا في سفينتين، وبعث معنا النواتي، حتى قدمنا الجار، ثم ركبنا الظهر إلى المدينة، فوجدنا رسول اللَّه ﷺ بخيبر، فخرج من خرج إليه، وأقمت بالمدينة، حتى قدم رسول اللَّه ﷺ، فدخلت إليه، فكان يسألني عن النجاشي ...»[4].

---

(1) انظر ابن سعد، 1/ 207ـ208.

(2) الجار: البُريكة في الوقت الحاضر، وبها خور عميق من البحر، محاط بشاطئ صخري، والبُريكة تقع غرب بلدة بدر والمسافة بينهما تقارب خمسة وعشرين كيلًا. وهذا الميناء يستعمل في الوقت الحاضر من قبل الصيادين من ينبع وترسو فيه السفن القادمة من جدة. انظر عبدالكريم محمود الخطيب، «الجار ميناء المدينة القديم ـ البُريكة حاليًا»، **مجلة الدارة**، العدد الرابع، السنة التاسعة، رجب 1404هـ، ص ص66ـ72.

(3) انظر ابن سعد، 1/ 208.

(4) الطبري، 2/ 654، المقريزي، ص325.

وعلى النقيض من هاتين الروايتين، فقد ذكر أبو عُبيدة أن أم حبيبة، قدمت من الحبشة إلى المدينة، فخطبها النبي ﷺ فزوجها إياه عثمان بن عفان، ويضيف: وزعم بعضهم أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي فزوجها إياه، فساق عنه أربعين أوقية، فقدمت عليه المدينة قبل فتح خيبر، قدم عليه بها عمرو بن أمية الضمري، فبنى بها قبل قدوم جعفر وأصحابه، وأن النبي ﷺ غزا خيبر وأم حبيبة معه[1].

هذه الرواية كما هو واضح من شقها الأول، أنها لا تذكر شيئًا عن الكيفية التي جاءت بها أم حبيبة إلى المدينة ومتى؟ ومَعَ مَنْ؟ وشقّها الثاني فيه تشكيك، في تزويج أم حبيبة وهي في الحبشة وأنها قدمت مع عمرو بن أمية الضمري، وذلك في إشارة المؤلف في الجزء الثاني من الرواية بقوله «وزعم بعضهم»[2].

ولعل مما يقلّل من أهمية هذه الرواية الأخيرة بشقيها، هو ما جاء عند الواقدي في الرواية الأولى، وما جاء عند الطبري نقلًا عن الواقدي من أن أم حبيبة قدمت المدينة مع أهل السفينتين مع عمرو بن أمية الضمري في السنة السابعة من الهجرة، وفي غمرة أحداث غزوة خيبر، وربما أن هذا هو الأرجح[3].

ومما قد يعضد هذا الخبر، هو ما جاء في رواية عند البلاذري، قال فيها؛ وقالوا: إن عمرو بن أمية الضمري، وجميع من كان بالحبشة،

(1) أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص ص65 ـ 66.

(2) المصدر السابق نفسه، ص ص65 ـ 66.

(3) انظر علي بن الحسين المسعودي، **التنبيه والإشراف** (بيروت: دار مكتبة الهلال، 1981م)، ص239.

قدموا جميعًا في سفينتين، أعدهما لهم النجاشي، فوافوا في أيام خيبر وذلك الثبت»[1].

وترددت في بعض المصادر الإشارة إلى شرحبيل بن حسنة[2]، وأنه هو الذي كلفه رسول اللّه ﷺ بإحضار أُم حبيبة من الحبشة بعد أن تمّ عقد قرانه عليها. وأول هذه الروايات ما جاء عند ابن سعد بسنده عن الواقدي أن النجاشي، جهز أم حبيبة، وبعث بها إلى رسول اللّه ﷺ مع شرحبيل بن حسنة، سنة سبع وكان لها يوم قدمت المدينة بضع وثلاثون سنة[3]. والرواية الثانية أشار إليها ابن عبدالبَرّ بسنده عن أم حبيبة، أن النبي ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة، زوَّجه إياها النجاشي، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة[4].

واللافت في أمر شرحبيل بن حسنة، أن المصادر المشهورة التي

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 439، وذكر البلاذري في الموضع نفسه رواية شاذة ليس في المصادر التي تمّ الرجوع إليها ما يؤيدها جاء فيها: أن رسول اللّه ﷺ وجّه أبا عامر الأشعري، حين بلغه خطبة عمرو أُم حبيبة وتزويج خالد إياها، فحملها إليه قبل قدوم أهل السفينتين. البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 439.

(2) شرحبيل بن حسنة، قال عنه أبو عمر: كان شرحبيل بن حسنة، من مهاجرة الحبشة، معدود في وجوه قريش، وكان أميرًا على ربع من رباع الشام أيام عمر بن الخطاب. توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ وهو ابن سبع وستين سنة. انظر ابن عبد البر، 2/ 699ـ 698 (ت: 1167).

(3) ابن سعد، 8/ 99.

(4) ابن عبدالبر، 4/ 1845؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 434 (ت: 7410)؛ وقارن المقدسي، ص ص47ـ 48.

ترجمت لحياته، لم تذكر أنه قام بسفارة إلى الحبشة في شأن أم حبيبة أو أنه أحضرها معه إلى رسول اللَّه ﷺ بالمدينة[1]. وعلى النقيض من ذلك فإن المصادر ذاتها التي ترجمت لعمرو بن أُمية الضمري، سلطت أضواءً كاشفة على سفارته إلى الحبشة، وحمله كتب رسول اللَّه ﷺ إلى النجاشي، يدعوه في أحدها إلى الإسلام، وفي الثاني يطلب فيه تزويجه من أم حبيبة وإرسال بقية المهاجرين وتجهيزهم إلى المدينة، وتمّ تنفيذ مطالب الرسول ﷺ وقدم عمرو بن أمية الضمري إلى الحجاز على رأس السفينتين، ومعه أم حبيبة وبقية المهاجرين وذلك في عام خيبر[2].

لذلك فإن سفارة شرحبيل بن حسنة إلى نجاشي الحبشة مشكوك فيها، بل وردت إشارة عند ابن هشام ربما يفهم منها أن شرحبيل ووالدته وإخوته لم يكونوا من بين العائدين في السفينتين في السنة السابعة من الهجرة[3]. وليس من المستبعد أنهم قدموا إلى المدينة قبل السنة السابعة.

وخلاصة القول هنا هو أن أم حبيبة قد وصلت إلى المدينة في السفينتين وبرفقتها ابنتها حبيبة إبان وجود رسول اللَّه ﷺ في خيبر أي

---

(1) انظر على سبيل المثال: ابن عبد البر، 2/ 698ـ699 (ت: 1167)؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 2/ 419ـ420 (ت: 2411)؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 1/ 846ـ845 (ت: 3872).

(2) انظر ابن سعد، 4/ 249؛ ابن عبد البر، 3/ 1162 (ت: 1892)؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 3/ 351ـ352 (ت: 3862).

(3) انظر ابن هشام، 4/ 11.

في غضون السنة السابعة من الهجرة[1]. ولو أن أم حبيبة نفسها لم تذكر شيئًا عن ابنتها حبيبة في سياق عودتها إلى المدينة!!.

وصلت أم حبيبة المدينة من أرض المهجر، ووجدت رسول اللَّه ﷺ في خيبر، وظلت منتظرة قدومه، حتى دخل المدينة منتصرًا مظفرًا وضمّ أم حبيبة إلى بيوت أزواجه[2].

وربما أنه بمناسبة زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة، وقدومها من الحبشة ودخول رسول اللَّه ﷺ بها، أقام عثمان بن عفان وليمة من خبز ولحم[3]، احتفالًا بهذا الحدث السعيد. أما لماذا يهتم عثمان بن عفان بهذا الحدث دون غيره من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فهو لأن أم حبيبة ابنة عمة عثمان، وعثمان في الوقت نفسه تزوج باثنتين من بنات رسول اللَّه ﷺ الواحدة بعد الأخرى فكان حريًا به الاحتفال بهذه المناسبة.

وحينما علم أبو سفيان بزواج رسول اللَّه ﷺ من ابنته أم حبيبة، قال: «هو الفحل لا يقدع أنفه»[4] وهذا المثل الذي استشهد به أبو سفيان حين علم بزواج رسول اللَّه ﷺ من ابنته شهادة منه على أهلية

---

(1) انظر ابن سعد، 4/ 249؛ الطبري، 4/ 654؛ إن قوائم المهاجرين العائدين في السفينتين عند ابن هشام وكذلك البلاذري لا تشمل أم حبيبة وابنتها. انظر محمد ابن فارس الجميل، **الهجرة إلى الحبشة** (الرياض: دار الفيصل، 1425)، انظر ص ص89ـ90، ملحق (13)؛ ص ص91ـ92 ملحق (14).

(2) الطبري، 2/ 654.

(3) انظر ابن الأثير، **أُسد الغابة**، 5/ 434؛ المقدسي، ص ص47ـ48.

(4) ابن سعد، 8/ 99. يقال: «قدعت الفحل، وهو أن يكون غير كريم، فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة، ضرب أنفه بالرُّمح أو غيره حتى يرتدع ويكف، ويروى بالراء» انظر ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 4/ 24.

رسول اللّٰه ﷺ بزواجه من أم حبيبة وأن مثله لا يمكن ردّه عن نكاحها، فأبو سفيان في هذا الموقف لم يَثُرْ ولم يغضَبْ أو يحتجَّ، فهو يعلم علم اليقين أن ارتباط ابنته بالزواج من رسول اللّٰه ﷺ شرف لا يدانيه شرف. وما جاء عند مسلم، من أن أبا سفيان طلب من رسول اللّٰه ﷺ أن يتزوج أم حبيبة، وذلك بعد فتح مكة، وأن رسول اللّٰه ﷺ أجابه إلى طلبه لا يخلو من إشكال[1]. الشيء الذي يجب ألا يغيب عن البال هو أن مسارعة رسول اللّٰه ﷺ إلى طلب الزواج من أم حبيبة وهي لا تزال في المهجر (الحبشة) كان وراء ذلك إضافة لشعوره الإنساني نحوها هو غرض سياسي يهدف منه رسول اللّٰه ﷺ التأثير على أبي سفيان سيد مكة وترغيبه وقومه في الإسلام.

وليس من المستبعد أن موقف أم حبيبة أمام أزواج النبي ﷺ كان حرجًا، حيث إنها من أسرة أبي سفيان سيد قريش وزعيم المشركين والمناوئين للإسلام وأهله، لذلك فقد كانت أم حبيبة غاضبة من موقف أبيها وأسرتها من الإسلام ومناصرتهم للشرك. ولعل أقرب حدث يفسر موقف أم حبيبة من أبيها هو ما حدث في السنة الثامنة من الهجرة، وذلك في خلال استعداد النبي ﷺ لفتح مكة، حيث قدم أبو سفيان للمدينة لمفاوضة الرسول ﷺ في تمديد صلح الحديبية، إذ قال: «يا محمد، إني كنت غائبًا في صلح الحديبية، فاشدد العهد وزدنا في المدة»[2].

(1) انظر مسلم، 4/ 1945 (ح: 2501). وراجع تعليق المحقق في الموضع نفسه حاشية (2).

(2) الواقدي، 2/ 792.

ولما لم يجد أبو سفيان من رسول اللَّه ﷺ جوابًا شافيًا لالتماسه قام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلمّا ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، ورفعته عنه. فقال: أرغبت بهذا الفراش عني أو بي عنه؟ فأجابته ابنته أم حبيبة: «بل هو فراش رسول اللَّه ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك»! قال: يا بُنية لقد أصابك بعلمك شر. قالت: هداني اللَّه للإسلام. وأنت يا أبَتِ سيد قريش وكبيرها، وكيف سقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجرًا لا يسمع ولا يبصر. قال: واعجباه! وهذا منك أيضًا؟ أأترك ما كان يعبدُ آبائي وأتبع دين محمد.[1]؟!.

وهكذا فقد كان موقف أم حبيبة من أبيها المشرك، موقفًا صارمًا لا مجال فيه للعواطف. ثم يلاحظ أنه بعد هذه الفظاظة في المقابلة تعود وتُذكّر أباها بمكانته في المجتمع القرشي وسيادته فيه ورجل مثله يجب ألا يتأخر عن الدخول في الإسلام، ثم تذكره في الوقت نفسه بأن إلهه الذي ظل عليه عاكفًا ما هو إلّا حجر لا يسمع ولا يبصر. إن موقف أم حبيبة من أبيها وتقريعها إياه وتحقيرها للصنم الذي يعبد والحط من شأنه، لا بد أن يترك في نفسه أثرًا لمراجعة موقفه من الإسلام الذي تجلى فيما بعد في وقت دخول النبي ﷺ مكة فاتحًا ظافرًا.

وذلك أنه في العاشر من رمضان من السنة الثامنة للهجرة (8هـ/ 629م)[2]، تحرك رسول اللَّه ﷺ بجيشه قاصدًا مكة، وحين عسكر في

(1) الواقدي، 2/ 792ـ793؛ وقارن ابن سعد، 8/ 99ـ100، وجاء عند ابن سعد أن أبا سفيان بعد أن سمع مقالة ابنته أم حبيبة قال لها: «يا بنية لقد أصابك بعدي شر».

(2) ابن هشام، 4/ 48؛ الواقدي، 2/ 801؛ ابن سعد، 2/ 134.

مرّ الظهران[1]، ليس بعيدًا من مكة، وجد العبّاسُ عمُّ الرسول ﷺ أبا سفيان في طليعة من قومه يتحسسون الأخبار عن محمد وأصحابه، فأخذه العباس إلى رسول اللّه ﷺ ودعاه إلى الإسلام فتردد فيه، ثم بات في معسكر رسول اللّه ﷺ بحماية العباس، وفي صباح اليوم التالي، عرض عليه رسول اللّه ﷺ الإسلام مرة أخرى، وقبل بعد تردد[2].

وعندما همّ أبو سفيان بالذهاب إلى أهل مكة ليخبرهم، بقدوم رسول اللّه إليهم، قال العباس، يا رسول اللّه! إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئًا. قال نعم: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[3].

لا شك أن إسلام أبي سفيان قد ترك أثرًا حسنًا في نفس السيدة أم حبيبة، ورفع عنها الشعور بالحرج أمام بقية أزواج الرسول ﷺ، ولعل مما زاد من اعتزاز أم حبيبة بنفسها وبإسلام أبيها هو وسام الشرف الرفيع الذي قلده رسول اللّه ﷺ لأبي سفيان ألا وهو قوله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..» هذا الوسام الذي ظل يتلألأ على صفحات سيرة أبي سفيان حتى يوم الناس هذا.

لقد عاشت أم حبيبة في كنف رسول اللّه ﷺ قرابة أربع سنين،

---

(1) مَرّ الظهران: والظهران وادٍ قرب مكة، وعنده قرية يُقال لها مَرّ، تضاف إلى هذا الوادي، فيقال مَرّ الظهران. ياقوت الحموي، 4/ 63. ومرّ الظهران: وادٍ من أودية الحجاز، يمرّ شمال مكة على بعد (22 كيلًا). انظر البلادي، ص288، ويسمى مرّ الظهران الآن وادي فاطمة.

(2) ابن هشام، 4/ 51ـ52؛ الواقدي، 2/ 818؛ وقارن ابن سعد، 2/ 135.

(3) ابن هشام، 4/ 52؛ الواقدي، 2/ 818؛ وقارن ابن سعد، 2/ 135.

حيث لحق رسول اللّٰهﷺ بالرفيق في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة (11هـ/ 632م).

ولا بدّ أن أم حبيبة قد عاشت بعد رسول اللّٰهﷺ في سعة من العيش، حيث أطعمها رسول اللّٰهﷺ من خيبر، ثمانين وسقًا تمرًا وعشرين وسقًا شعيرًا أو قمحًا[1].

ثم لما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب صار نصيب أم حبيبة من العطاء اثني عشر ألف درهم في السنة[2]. وقالت عائشة أم المؤمنين: «دعتني أم حبيبة عند وفاتها، فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر اللّٰه لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر اللّٰه لك ذلك كله، وتجاوز وحلّك من ذلك. فقالت: سررتني سرك اللّٰه وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك»[3].

وأخيرًا وفي سنة (44هـ/ 664م) انتقلت أم حبيبة إلى الدار الآخرة لتلحق بحبيبها رسول اللّٰهﷺ[4] وقد روت عنه ستة وأربعين حديثًا[5].

(1) ابن سعد، 8/ 100؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص632.

(2) وفي رواية أخرى للبلاذري: أن عمر فرض لأم حبيبة عشرة آلاف درهم. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص630.

(3) ابن سعد، 8/ 100؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 440.

(4) ابن سعد، 8/ 100؛ وذكر المحب الطبري أن وفاة أم حبيبة كانت في سنة 34هـ في خلافة معاوية، وهذا غلط لا يحتاج إلى دليل، ص158.

(5) ابن حنبل، 6/ 325ـ 425، 328ـ 428؛ وقارن أكرم ضياء العمري، حيث ذكر أن رواية أم حبيبة عن رسول اللّٰهﷺ بلغت خمسة وستين حديثًا.

- 9 -

ميمونة بنت الحارث

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن الحارث[1] ويظهر أن ميمونة، قد تزوجت بأكثر من رجل في الجاهلية، وكان آخر أزواجها، أبو رُهم بن عبد العزى، الذي توفي عنها، ثم تزوجها رسول اللَّه ﷺ من بعده[2].

واختلفت المصادر في من خَطبَ ميمونة على رسول اللّه ﷺ، فقد جاء أنه بعد أن فرغ رسول اللَّه ﷺ من خيبر في السنة السابعة من الهجرة (7هـ/ 628م) توجه معتمرًا وبعث أمامه جعفر بن أبي طالب، فخطب عليه ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس عم رسول اللَّه فأنكحها إياه[3]. وجاء أيضًا أن العباس، هو الذي زوج ميمونة من رسول اللَّه ﷺ، وكان يلي أمرها وهي أخت أم الفضل، زوج العباس[4].

---

(1) ابن سعد، 8/ 132؛ ابن عبد البَّر، 4/ 1914 (ت: 4099).

(2) ابن زَبَالة، ص ص75 ـ 76؛ أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص ص67 ـ 68؛ ابن سعد، 8/ 132؛ ابن عبد البر، 4/ 1916 ـ 1917؛ المحب الطبري، ص191.

(3) أبو عُبيدة معمر بن المثنى، ص ص67 ـ 68؛ موسى بن عقبة، ص ص260 ـ 261؛ ابن عبد البر، 4/ 1914.

(4) ابن سعد، 8/ 132.

وذكر ابن سعد، أكثر من رواية بهذا الخصوص، فقد ذكر في إحدى رواياته، بسنده عن الواقدي، أن النبي ﷺ بعث أبا رافع[1] ورجلًا من الأنصار، فزوجاه ميمونة قبل أن يخرج من المدينة[2].

ويذكر ابن سعد في السياق نفسه، عن عبداللَّه بن عباس، أنه لما أراد رسول اللَّه ﷺ الخروج إلى مكة عام القضية، بعث أوس بن خولي[3] وأبا رافع إلى العباس، فزوجه ميمونة، وأن رسول اللَّه ﷺ جاء إلى منزل العباس، أي بمكة فخطبها إليه فزوجها إياه[4]. وجاء في خبر زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة، أن العباس، عم الرسول ﷺ هو الذي عرض على رسول اللَّه ﷺ أن يزوجه من ميمونة، حيث إن العباس لقي رسول اللَّه ﷺ بالجُحفة[5]، حين اعتمر عمرة القضية، فقال له: يا رسول

---

(1) أبو رافع: سبق التعريف به.

(2) ابن سعد، 8/ 133.

(3) أوس بن خولي: هو ابن عبداللَّه بن الحارث من بني الحبلى من الخزرج، وأُمه جميلة بنت أُبيٍّ بن مالك، وكان أوس بن خولي من الكملة، حيث كان يحسن الكتابة بالعربية والعوم والرمي، وآخى رسول اللَّه ﷺ بين أوس بن خولي وشجاع بن وهب. وشهد أوس بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ وتوفي أوس في خلافة عثمان بن عفان، ابن سعد، 3/ 542ـ543.

(4) ابن سعد، 8/ 133.

(5) الجُحفة: قرية على الطريق بين المدينة ومكة، وهي مهَلُ أهل الشام، وسميت الجحفة، لأن السيول جحفتها. عبداللَّه بن عبدالعزيز البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ)، 1/ 367ـ368؛ لم يبق من الجُحفة اليوم سوى آثارها، وهي شرق مدينة رابغ بحوالي (22) كيلًا، ويوجد بها مسجد يزوره بعض الحجاج، البلادي، ص80.

اللَّه: أُيمِّتْ ميمونة بنت الحارث من أبي رُهم بن عبدالعزى، هل لك في تزويجها، فتزوجها رسول اللَّه ﷺ وهو محرم[1].

وقد تكررت في المصادر الحديثية رواية أن رسول اللَّه ﷺ تزوج بميمونة بنت الحارث وهو محرم، وتسند روايتها إلى عبداللَّه ابن عباس[2]. ومما تجدر الإشارة إليه أن أمر زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة، وهل تزوجها وهو محرم أم حِلٌّ، قد اضطربت فيه الروايات كثيرًا لاختلاف رواتها؛ وقدم ابن سعد سِجلًا طويلًا بالروايات القائلة بزواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة وهو حِلٌّ، حيث بلغت لديه إحدى عشرة رواية[3]. كما ساق في الوقت نفسه ست عشرة رواية، تسع منها تنسب إلى ابن عباس، وكلها: تقول كان زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة وهو محرم[4]. ومن بين الروايات القائلة بأن رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة وهو حِلٌّ، رواية يزيد بن الأصم وهو ابن أخت ميمونة، قال فيها عن ميمونة أن النبي ﷺ تزوجها حلالًا وبنى بها حلالا[5]. وجاء عن أبي رافع مولى رسول اللَّه ﷺ، أن رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة حلالًا، وكان هو الرسول بينهما[6].

أما ابن إسحاق فذكر بهذا الخصوص روايتين يؤكد فيهما أن

---

(1) ابن عبد البر، 4/ 1917؛ المحب الطبري، ص191.

(2) انظر البخاري، ص876 (ح: 4258)؛ مسلم، 2/ 1031 (ح: 1410)؛ النسائي، 6/ 87 ـ 88 (ح: 3272، 3271).

(3) ابن سعد، 8/ 133 ـ 135.

(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 135 ـ 137.

(5) المصدر السابق نفسه، 8/ 133 ـ 134.

(6) المصدر السابق نفسه، 8/ 134.

رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة وهو حِلٌّ، وقال في إحدى الروايتين: كَذَّبَ من قال إن رسول اللَّه ﷺ نكح ميمونة وهو مُحرِمٌ، إنما قدم رسول اللَّه ﷺ مكة، فَحَلَّ، فكان الحِلُّ والنكاح جميعًا، فشُبِّهَ ذلك على الناس[1]. وجاء في روايته الثانية بسنده عن يزيد بن الأصم، أن رسول اللَّه ﷺ، تزوج ميمونة وهو حلال، إذ بعث إليها الفضل بن عباس، ورجلًا معه فزوجاه إياها[2].

الحقيقة أن الإجابة عن السؤال فيما إذا كان رسول اللَّه ﷺ تزوج بميمونة وهو حِلٌّ أم مُحرمٌ من شأن الفقهاء، وهو خارج عن نطاق هذه الدراسة، وإنما جاءت الإشارة إليه هنا لإطلاع القارئ عَلى جانب من الإشكالات الفقهية المتعلقة بزواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة بنت الحارث.

وجرى الاختلاف أيضًا في وقت زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة، أي في أيِ شهر من شهور السنة السابعة للهجرة، فقد ذكر الواقدي، أن رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة في شهر شوال من السنة السابعة للهجرة (7هـ/ 628م)[3]، بينما جاء عند ابن عُقبة، أن عُمرة رسول اللَّه ﷺ كانت في ذي القعدة من السنة السابعة[4]، وهذا يعني ضمنًا زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة في الشهر نفسه.

---

(1) ابن إسحاق، ص266.

(2) ابن إسحاق، ص266؛ وانظر رأي عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في زواج رسول اللَّه ﷺ من ميمونة، **كتاب نساء رسول اللَّه ﷺ وأولاده ومن سالفه من قريش**، تحقيق فهمي سعد (بيروت: عالم الكتب، 1409هـ/ 1989م)، ص85.

(3) انظر ابن سعد، 8/ 132 ـ 133.

(4) موسى بن عقبة، ص ص260 ـ 262؛ ابن عبد البَرّ، 4/ 1914؛ ابن حجر العسقلاني، =

وإذا جاز التوفيق بين هذه التواريخ المتعارضة، فيمكن إذًا الاستنتاج: أن رسول اللَّه ﷺ خطب ميمونة وهو لا يزال في المدينة وذلك في شهر شوال، ثم قدم مكة معتمرًا، وحين حلّ من عمرته، دخل بميمونة بَسرِف خارج مكة(1).

وقيل: إن ميمونة، وهَبتْ نفسها للنبي ﷺ(2)، ولكن هذا الأمر غير ثابت، إذ جاء في شهادة لعمرة بنت عبدالرحمن، أن رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة على مهر قدره خمس مئة درهم(3). وجاء عند ابن زَبَالة، أنه لما علمت ميمونة، بخطبة رسول اللَّه ﷺ إياها وكانت تسير على بعيرها، قالت: «البعير وما يحمل للَّه ولرسوله»(4). وساق إليها النبي ﷺ بيتًا تامًّا وخادمًا ومتاعًا، وأولم عليها ونحر جزورًا(5).

= **الإصابة**، 4/ 2639 (ت: 11775).

(1) ابن سعد، 8/ 133ـ135؛ ابن عبد البَرَّ، 4/ 1918؛ وسَرِف: بفتح أوله وكسر ثانيه بعده فاء على ستة أميال من مكة من طريق مَرّ، وقيل أكثر من ذلك. وهناك أعرس رسول اللَّه ﷺ بميمونة مرجعه من مكة حين قضى نسكه. البكري، 3/ 735؛ وسَرِف اليوم، وادٍ متوسط الطول من أودية مكة، يقع على بُعد (12 كيلًا) شمال مكة، والمكان اليوم يضجّ بالعمران والأراضي الزراعية، البلادي، ص ص156ـ157.

(2) ابن سعد، 8/ 137؛ ابن عبد البَرَّ، 4/ 1917؛ وقيل إن الواهبة نفسها لرسول اللَّه ﷺ امرأة غير ميمونة. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4/ 2640.

(3) ابن سعد، 8/ 137.

(4) ابن زَبَالة، ص76.

(5) ابن زَبَالة، ص76؛ وقارن ما جاء عند ابن حبيب في **المحبر**، ص ص91ـ92. حيث ذكر أن رسول اللَّه ﷺ تزوج ميمونة على ما تركت زينب بنت خزيمة. ويبدو أن الأمر اشتبه على ابن حبيب بين أم سلمة وميمونة. وقارن البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 445.

إن ما هو جدير بالملاحظة هنا أن ابن زَبَالة ربما هو الوحيد الذي ذكر أن رسول اللّه ﷺ ساق إلى ميمونة؛ بيتًا تامًّا وخادمًا ومتاعًا، وأنه أولم عليها ونحر جزورًا، لكنه لم يذكر سندًا محددًا بل جاءت الرواية بسند جمعي، وهنا يصعب التأكد من صحة الخبر، وقد سبق لابن هشام الإشارة إلى صداق ميمونة وأنه كان أربع مئة درهم[1]. وهذا نقيض ما جاء عند مسلم رواية عن عائشة، إذ قالت: كان صداق النبي ﷺ لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشًّا، أي خمس مئة درهم[2]. وهذه الرواية تتفق تمامًا مع رواية عمرة بنت عبدالرحمن التي سبقت الإشارة إليها. وإذا جاز التغاضي عما جاء في رواية ابن زَبَالة التي تذكر البيت والخادم والمتاع، فلابد من التوقف عند ما ذكره عن الوليمة وأن رسول اللّه ﷺ نحر جزورًا، احتفاءً بمناسبة الزواج! وفي الواقع فإن ما قيل عن الوليمة والجزور، يتناقض تمامًا مع رواية أنس بن مالك المشهورة التي قال فيها في حديثه عن زواج رسول اللّه ﷺ بزينب بنت جحش: «فما أولم رسول اللّه ﷺ على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاةً»[3]. وهذا أدعى للتشكيك في رواية ابن زَبَالة.

لقد تزوج رسول اللّه ﷺ بميمونة بَسِرف في ضواحي مكة على طريق المدينة في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة، ورحل بها معه إلى المدينة، وانضمت إلى بيت النبوة وأصبحت في عداد أمهات المؤمنين.

---

(1) ابن هشام، 4/ 304.

(2) مسلم، 2/ 1042 (ح: 1426).

(3) المصدر السابق نفسه، 2/ 1049 ـ 1050 (ح: 1428)؛ انظر ابن سعد، 8/ 132.

ولعل ما يستدعي الاهتمام هنا هو أن الرسول ﷺ قد تزوج هذا العام، أي العام السابع للهجرة بثلاث نساء؛ هن: صفية بنت حُييٍّ، وأم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان، وأخيرًا ميمونة بنت الحارث. وما يلفت الانتباه أكثر هو أن الزيجات الثلاث تمّت في النصف الثاني من السنة السابعة للهجرة تقريبًا! وكلها ذات علاقة بغزوة خيبر. فكان الزواج من صفية نتيجة غزوة خيبر، وقدوم أم حبيبة من الحبشة والمسلمون يحاصرون خيبر، والزواج من ميمونة، بعد فتح خيبر.

إن الملاحظ هو أن النبي ﷺ قد تزوج بصفية وأم حبيبة على التوالي ولم يفصل بين الزواج في كل واحدة منهن سوى بضعة أيام أو أسابيع. ولذلك فإن السؤال الملح هو ما الذي دعى الرسول ﷺ إلى المسارعة بطلب الزواج من ميمونة بنت الحارث التي توًّا تأيّمتْ من زوجها؟ ومن المعلوم أيضًا أنها قد تزوجت من عدة رجال في الجاهلية، وكان أبو رُهم آخر أزواجها في الإسلام.

ما دام حالها كذلك، فلا بد وأنها مُسنة، ولا يستبعد أنها ذات ولد وإن كانت المصادر التي تمّ الرجوع إليها لم تفصح عن ذلك.

إن المصادر المتاحة لا تذكر شيئًا من الأسباب والدواعي، وكل الروايات التي تحدثت عن خطبتها على رسول اللّه ﷺ لم تشر إلى أي شيء في هذا الخصوص! الذي يمكن تلمسه من المسوغات كون رسول اللّه ﷺ إنما رغب بالزواج من ميمونة تأليفًا لقلوب قومها هوازن[1] على الإسلام، وربما أنه تزوج بها إكرامًا وتلبية لرغبة عمه العباس؛ الذي عرض عليه الزواج منها، كما أشارت لذلك إحدى

(1) ابن زَبَالة، ص75؛ الدمياطي، **كتاب نساء رسول اللّه ﷺ**، ص83.

الروايات السابقة، وميمونة في الوقت نفسه أخت أم الفضل زوج العباس[1]. كما أن أسماء بنت عُميس، زوج جعفر بن أبي طالب، هي أخت ميمونة لأمها[2].

ربما كانت هذه الأسباب مجتمعة من بين الدوافع الرئيسة لزواج رسول اللّه ﷺ من ميمونة بنت الحارث، وربما أيضًا أن قرار رسول اللّه ﷺ بالزواج من ميمونة، كان لحكمة وغاية لا تدركها عقولنا القاصرة.

لقد انتقلت ميمونة بنت الحارث مع رسول اللّه ﷺ إلى المدينة وعاشت معه حياة هادئة، ولكنها لا تخلو أحيانًا من الغيرة على رسول اللّه ﷺ وحق لمثلها أن تغار على زوجها الحبيب، فقد حدث ذات ليلة أن خرج النبي ﷺ من بيت ميمونة، فهاجت في نفسها الظنون والهواجس، خيفة أن يكون رسول اللّه قد خرج للخلوة بإحدى نسائه. قالت ميمونة: «... فأغلقت دونه الباب، فجاء فاستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له. فقال: «أقسمت إلّا فتحته لي»، فقلت: «تذهب إلى إحدى أزواجك في ليلتي هذه!» قال: «ما فعلت، ولكن وجدت حقنًا في بولي»[3]. وبطبيعة الحال، فقد فتحت ميمونة باب البيت لزوجها الحبيب بعد أن اطمأنت إلى وجاهة عذره.

وتمرّ الأيام سريعة، وميمونة تزداد مكانتها ومحبتها في قلب

(1) ابن سعد، 8/ 132.
(2) الدمياطي، ص84.
(3) ابن سعد، 8/ 138.

رسول اللَّه ﷺ حتى أنها أصبحت تذكر بفخر، أنها كانت تغتسل هي ورسول اللَّه ﷺ من إناء واحد[1].

وفي السنة العاشرة من الهجرة (10هـ/ 631م)، وربما كان ذلك في حجة الوداع، قالت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب، إن رسول اللَّه ﷺ اغتسل وميمونة، من إناء واحد، قصعة فيها أثر العجين[2]، وهذه الرواية توحي للقارئ بأن غُسل الزوجين كان في بيت أم هانئ؛ أي بمكة.

عاشت ميمونة بنت الحارث بصحبة رسول اللَّه ﷺ ثلاث سنوات وبضعة أشهر، حتى لحق بالرفيق الأعلى في ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة (11هـ/ 632م) وعُمِّرت ميمونة بعد رسول اللَّه ﷺ ما يزيد على أربعين عامًا، واختلف في سنة وفاتها على وجه التحديد، فجاء عند ابن زَبَالة أن وفاتها كانت في سنة إحدى وستين[3]. أما ابن عبدالبَرّ، فيقدم ثلاثة تواريخ مختلفة لوفاة السيدة ميمونة، فقال؛ قيل سنة: واحد وخمسين (51هـ) وقيل: ستين (60هـ)، وقيل سنة ثلاث وستين (63هـ)[4].

ونقل ابن حجر العسقلاني عدة أقوال حول سنة وفاة ميمونة، وترجَّح لديه أن وفاتها كانت في سنة واحد وخمسين من الهجرة (51هـ/ 671م) ورفض بطبيعة الحال ما قيل إن وفاتها كانت بعد سنة (58هـ)، واستند في ذلك، ولديه الحق، إلى رواية عند ابن سعد، عن

---

(1) البخاري، ص57 (ح: 235)؛ النسائي، 1/ 201 (ح: 410).
(2) ابن سعد، 8/ 137.
(3) ابن زَبَالة، ص76؛ ابن سعد، 8/ 140.
(4) ابن عبد البر، 4/ 1918.

عائشة أم المؤمنين عند إشارتها إلى ميمونة بعد وفاتها حيث قالت عنها: «أما إنها كانت من أتقانا للَّه وأوصلنا للرحم»[1].

ومعلوم أن وفاة عائشة كانت في رمضان سنة (58هـ/ 677م) لذلك، فمن المحتمل جدًّا، أن وفاة ميمونة كانت في السنة الحادية والخمسين من الهجرة، حسب ما أشارت إليه بعض الروايات، أو ربما بعد ذلك ولكن ليس بعد سنة (58هـ)[2].

وبعد وفاة رسول اللَّه ﷺ عاشت ميمونة في سعة من العيش، فقد فرض لها رسول اللَّه ﷺ بخيبر ثمانين وسقًا تمرًا، وعشرين وسقًا شعيرًا، ويقال قمحًا[3]. ومن المحتمل أن ميمونة كانت ميسورة الحال في أيام الرسول ﷺ، فقد سألها ذات يوم عن جارية لها، فقالت أعتقتها. فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «قد كانت جَلِدة، ولو كنت وضعتها في ذي قرابتك كان أمثل»[4]. وقد روت ميمونة أربعة وستين حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ[5] وفي خلافة عمر بن الخطاب فرض لميمونة بنت الحارث نصيبها من العطاء عشرة آلاف درهم في السنة[6] رحم اللَّه أم المؤمنين ميمونة وأسكنها فسيح جناته وجمعها بحبيبها المصطفى.

إن هؤلاء الزوجات التسع اللاتي عشن مع رسول اللَّه ﷺ فترة من

(1) ابن سعد، 8/ 138؛ وقارن ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4/ 4640.
(2) ابن سعد، 8/ 80؛ وقارن ابن عبد البَرّ، 4/ 1885.
(3) ابن سعد، 8/ 140.
(4) المصدر السابق نفسه، 8/ 138؛ وقارن البخاري، ص515 (ح: 2592).
(5) ابن حنبل، 6/ 329ـ336؛ وقارن الذهبي حيث ذكر أنها روت عن رسول اللَّه ﷺ ثلاثة عشر حديثًا، 2/ 245.
(6) انظر البلاذري، **فتوح البلدان**، ص630.

الزمن، لا بد وأنه كان يشوب العلاقة فيما بينهن والعلاقة بينهن وبين الرسول ﷺ شيء من الفتور أحيانًا، وأحيانًا شيء من التوتر قد ينغص على النبي حياته ولو لمدة وجيزة، هذه القضية ستكون محور الدراسة في الجزء التالي وهو ما يجوز التعبير عنه بـ: «أزواج النبي ﷺ ومشكلة الغَيْرَة».

أزواج النبي ﷺ ومشكلة الغَيْرَة

الحياة الزوجية في الغالب لا تخلو من بعض المواقف العابرة التي قـد تعكـر صفو الحياة بيـن الزوجين، التي لا تلبـث أن تحلّ وتزول في وقتهـا، أو ربما تسـتمر حتـى تنتهي بالطلاق، وتفكك الرابطة الأُسـرية. وحدث بين الرسول ﷺ، وبين بعض أزواجه ما يعكّر صفو الحياة معهن، وأحيانًـا يحدث من بعضهن تصرفات محرجة، ولكن الرسـول ﷺ كان بمـا أتـاه اللَّه من الحكمة ورحابة الصدر والقدرة على العفو سـرعان ما يحتوي تلك المواقف، وتعود حياته معهن، إلى سابق عهدها، وكأنه لم يحـدث ما يشـوبها. بل وهـو النبي القدوة، لم يحـدث أن انتهت علاقته مـع أي من زوجاته التسـع بالطلاق، وإن كان قـد هَمَّ أن يفعل في بعض الأحيـان، ولكـن مـن المحقق أن اللَّه اختـار نبيه إلى جـواره، وزوجاته التسـع كلهـن في عصمته. وقد سـبقت الإشـارة في الجـزء المتقدم من هذه الدراسة إلى بعض من تلك المواقف الطارئة بصورة مختصرة.

ولهذه المواقف أسباب مختلفة، ولكنها في غالبها بسبب الغَيْرَةَ، إذ يغار بعض نساء النبي ﷺ من بعض، أو التنافس فيما بينهن على قلب رسول اللَّه ﷺ كأن يُطيل المُكث مثلًا عند إحداهن أكثر من الأُخريات، فتثور الشكوك في نفوسهن، أو عندما يلامس إحدى نسائه

في يوم الأُخرى، فتحدث المشكلة، وربما تكون إحدى نسائه تُحسِنُ صُنع نوع من الطعام فَتُتحفُ به رسول اللَّه ﷺ، وتبعث به إليه وهو في بيت إحداهن فتثور ثائرة الغَيرَة في نفس التي هو مقيم عندها مما يجعلها أحيانًا تحطم القصعة وتَنْثُر ما فيها من طعام.

وفي بعض الأحيان عندما يكون الرسول ﷺ في سفر ومعه بعض أزواجه، فَيضُعُفَ جَمَل إحداهن عن السير ويطلب الرسول ﷺ من الأخرى، أن تُعيرَ من ضَعُفَ جَملهُا، أحدَ جِمالِها، فتغضب وتثور ثائرتها وهكذا...

ومن هذه المواقف الزوجية العارضة التي طالما واجهها رسول اللَّه ﷺ بالحكمة والروية، هو ما حدث ذات يوم حيث كان رسول اللَّه ﷺ في سفر ومعه من نسائه عائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ، إذا كان الليل سار مع عائشة، وظل يحادثها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ فما كان من عائشة إلّا أن وافقت على المقترح، وواضح أن الهدف من هذا هو التعرف على مشاعر رسول اللَّه ﷺ تجاه أي منهن.

وهكذا وحسب رواية عائشة، فقد ركبت حفصة بعير عائشة وركبت عائشة بعير حفصة. فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصة، فسَلَّم، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدت عائشة رسول اللَّه ﷺ. فلمّا نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر ـ نوع من الشجر ـ وقالت: «رب سلطّ عليَّ عقربًا أو حية تلدغني، رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا»[1].

الرواية السابقة لم تقل شيئًا عما دار بين الرسول ﷺ وبين حفصة،

---

(1) البخاري، ص1131 (ح: 5211)؛ مسلم، 4/ 189 (ح: 2445).

ولكن لعل ما يدعو إلى التساؤل هو كيف تعرّف النبي ﷺ على جمل عائشة وهم في ظُلمة الليل وفي الوقت نفسه لم يدرك أن راكبة الجمل ليست عائشة بل حفصة بنت عمر! ألم يتحادثا في أثناء المسير؟ ألم يدرك رسول اللَّه ﷺ أن راكبة جمل عائشة هي حفصة؟ لا بد أنه أدرك ذلك في الوهلة الأولى؛ لكن الرواية لم تشر إلى شيء من ذلك، لا بدّ أن رسول اللَّه ﷺ قد أدرك ذلك ولكنه آثر مجاملة حفصة وتطييب خاطرها.

أما إن عائشة تضع رجليها بين شجر الإذخر وتسأل اللَّه أن يسلط عليها عقربًا أو حية تلدغها، فلعلها ترجو من ذلك أن تستدعي انتباه النبي ﷺ ورعايته في حال وقوع المكروه لها.

وحتى الحديث مع إحدى الزوجات دون الأُخرى ولو كان عن غير قصد، كان كفيلًا بأن يتحول إلى مشكلة، فقد حدث في إحدى المناسبات أن اصطحب رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره زوجتيه أم سلمة وصفية بنت حُييٍّ؛ فأقبل رسول اللَّه ﷺ على هَوْدَجُ صفية وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة، وجعل رسول اللَّه ﷺ يتحدث مع صفية، فغارت أم سلمة. ويظهر أن رسول اللَّه ﷺ اكتشف الخطأ الذي وقع فيه فعاد إلى أم سلمة وكانت في ذروة غضبها، فقالت مخاطبة رسول اللَّه ﷺ: «تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وأنت رسول الله»! ثم إن أم سلمة ندمت على ما فرط منها بحق زوجها؛ فكانت تستغفر منها. ثم قالت: «يا رسول اللَّه: استغفر لي، فإنما حملني على ذلك الغَيْرَة»[1].

---

(1) ابن سعد، 8/ 95ـ96.

يلاحـظ هنا مدى حساسـية النسـاء، حتـى إن مجـرد الحديث مع إحداهـن في يوم الأُخرى، كان كفيلًا بأن يتطور إلى نزاع بين الزوجين، ويكون من منغصـات الحياة بينهما. وتدرك أم سـلمة أنهـا أفرطت في ملامة رسـول اللّـه ﷺ ولما هـدأت ثائرتها، طلبت من رسـول اللّه ﷺ الاسـتغفار لها، معترفة في الوقت ذاته أن الغيرة كانت هي السـبب فيما بدر منها.

وخرج رسـول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره وكان معه بعض أزواجه، قالت عائشة: إن جملها في تلك السفرة كان نشيطًا، وكان متاعه خفيفًا، بينمـا كان جمل صفيـة بنت حُييّ هزيلًا بطيئًا ومتاعهـا ثقيلًا، مما جعله يبطئ بالركب؛ فأمر الرسـول ﷺ بتحويل متاع صفية على جمل عائشة، وتحويل متاع عائشة على جمل صفية. قالت عائشة: «فلمّا رأيت ذلك، قلـت: يا لعبـاد اللّه! غلبتنا هـذه اليهودية، على رسـول اللّه ﷺ». فجاء الرسـول ﷺ يترضى عائشـة. ويقول: «يا أم عبد اللّه! إن متاعك فيه خِفٌّ، وكان متاع صفية فيه ثقل ...» ويظهر أن عائشـة لم تقبل المسـوغ الذي ذكره لها رسول اللّه، لذلك فإنها في سورة غضبها، خاطبت الرسول ﷺ، قائلة: «ألست تزعم أنك رسول الله؟» فتبسم رسول اللّه ﷺ، فقال: «أو في شَـكٍّ أنتِ يـا أم عبد اللّه؟ فأجابت عائشـة قائلة: ألسـت تزعم أنك رسـول اللـه؟ فهـلا عَدلتَ»؟! يظهـر أن رسـول اللّه ﷺ لـم يجب عن تسـاؤلها فـي المرة الثانية، ولكن والدها سـمع مقالتها لرسـول اللّه ﷺ فأقبل عليها فلطم وجهها. قالت عائشة: فقال رسول اللّه ﷺ «مهلًا يا أبا بكر. فقال أبو بكر: «أما سـمعت ما قالت؟ فقال رسـول اللّه ﷺ ملتمسًا العذر لعائشة: إن الغَيْرَى لا تُبصِرُ أسفل الوادي من أعلاه»[1].

(1) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 9/ 71.

وهكذا يظهر أن غضب عائشة وثورتها حتى أنها تسأل رسول اللَّه ﷺ عن مصداقية نبوته، لم يكن الباعث عليه في الأساس تحويل متاع صفية على جمل عائشة ومتاع عائشة على جمل صفية، إذ إن الأمر لا يعدو كونه إجراءً طبيعيًّا خصوصًا إذا كان هناك ضرورة تدعو لذلك، وعائشة قد أظهرت من عرضها للقصة ما يسوغ ذلك الإجراء، ولكن يبدو أن مكمن السر في غضبة عائشة، هو الغَيْرَة من صفية، إذ جاء في الرواية قول عائشة: «غلبتنا هذه اليهودية على رسول اللَّه ﷺ» فكأن غَيْرة عائشة صوّرت لها أن رسول اللَّه ﷺ يحتفي بصفية ويهتمّ بشأنها أكثر من بقية نسائه، مع الأخذ في الحسبان أنه لم يكن لصفية يدٌ فيما أمر به رسول اللَّه ﷺ من تحويل الأمتعة من جمل إلى آخر، ولكنها غيرة النساء وتوهماتهن؛ لذلك فإن رسول اللَّه ﷺ يهدئ من روع أبي بكر ويحاول التخفيف من غضبه على ابنته، ملتمسًا لها العذر.

واللافت هنا هو معالجة الرسول ﷺ للأمر فعلى الرغم من ثورة عائشة العارمة ومساءلتها لرسول اللَّه ﷺ إن كان رسولًا حقًا، وتشكيكها في عدله، بين نسائه؛ إلّا أن الرسول الكريم يتودد لزوجه الغيرى، ويخاطبها بأحب الكُنَى إلى نفسها، فيقول لها وهو يتبسم «يا أم عبد اللَّه!» ثم يعقب على تساؤلها حول نبوته بالقول: «أو في شَك أنتِ يا أم عبد اللَّه؟» وهكذا فهو لم يزجرها ولم يهددها بما تكره، بل يدافع عنها أمام أبيها ويعزو كل ما صدر منها إلى الغَيْرَة، التي لا تملك لها دفعًا.

وتتكرر مشكلة «الجَمَل» مرة أخرى والمحور الذي تدور عليه هو «الغَيْرَة»، وتشترك في هذه القضية ثلاثة أطراف هي: صفية وعائشة وزينب بنت جحش، فقد تحدثت صفية عما حدث، فذكرت أن

النبي ﷺ خرج بأزواجه في سفر - ربما كان ذلك في حجة الوداع - أي في السنة العاشرة من الهجرة (10هـ/ 631م)، فحدث أن بَرَكَ جَمَلُ صفية وأعياه السير، فجعلت صفية تبكي، وحين علم رسول اللّه بما حدث جاء إلى صفية، فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تزداد بكاءً، فنهرها، ثم أمر الناس بالنزول التماسًا منه لمعالجة أمر صفية وجملها، وكان ذلك اليوم يوم صفية. لا بد وأن صفية ندمت على ما بدر منها وخشيت أن تكون أغضبت رسول اللّه ﷺ فأرادت أن تحتال للأمر وأن تسترضي رسول اللّه ﷺ. فذهبت إلى عائشة، وتنازلت لها عن يومها قائلة: «قد وهبت يومي لك على أن ترضي رسول اللّه ﷺ عني» فقبلت عائشة بأمر الوساطة، فدخلت على رسول اللّه ﷺ في خبائه، فقال لها: «ما لك يا عائشة إن هذا ليس يوسك» قالت: «ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء» وشرحت له الأمر، فرضي عن صفية وأمضى القيلولة مع عائشة.

وفي ساعة الـرواح، قال رسول اللّه ﷺ لزينب بنت جحش، وكانت من أكثر أزواجه ظهرًا: «يا زينب أفقري-أعيري- أختك صفية جملًا». فقالت: «أنا أُفقر يهوديتكَ!» فغضب النبي ﷺ ولم يكلمها حتى قدم مكة ثم رجع إلى المدينة، فبقي على هجره لها بقية ذي الحجة وشهر محرم وصفر وأيامًا من ربيع الأول، فلم يأتها ولم يقسم لها، فلمّا كان شهر ربيع الأول دخل عليها بعد أن يئست منه، ثم أصاب أهله ورضي عنها، فكافأته بجارية لها كانت تخبئها منه[1].

حاول رسول اللّه ﷺ جهده في هذه الواقعة أن يسترضي صفية حتى إنه ليكفكف دموعها بيده الكريمة التماسًا لرضاها، وحتى إنه

---

(1) ابن حنبل، 6/ 337 ـ 338؛ وقارن الصالحي، سبل الهدى، 9/ 62.

حين استرسلت في البكاء اضطر إلى التوقف عن المسير، ودخل خيمته ربما كان يقصد من ذلك أن تأتيه صفية؛ لأن ذلك اليوم يومها، فيفرغ نفسه لرضاها، ومحو ما عَلِق في خاطرها من عتب.

ويبقى موقف زينب من صفية التي لا زالت تنعتها «باليهودية» ومثل هذا النعت يعني السُّبة بالنسبة لصفية، وطالما شكت ذلك إلى رسول اللَّه حين تسمعه من بعض أزواجه، وعلى الرغم من شهادة رسول اللَّه ﷺ بحسن إسلام صفية وصدقها وأنها من سلالة أنبياء، وبعد مضي قرابة أربع سنين على إسلام صفية وأنها أصبحت من أمهات المؤمنين إلّا أن ذلك كله لم يكن في نظر زينب كافيًا لنسيان أن صفية من أصل يهودي!.

وهنا أيضًا مواقف ذات طبيعة مختلفة؛ فهي تتعلق بالطعام وجودة صُنعه إذ إنه من المعلوم أن بعض النساء يُجدن صنع الطعام أفضل من بعض، ونساء النبي ﷺ مثل بقية النساء، منهن من تجيد صنعة الطعام ومنهن من لا تُجيده.

فقد حدث أن كان النبي وأصحابه في بيت عائشة وكانت عائشة منهمكة في إعداد الطعام لهم، فسبقتها جارتها حفصة بطعام صنعته لرسول اللَّه ﷺ وأحضرته بنفسها، فما كان من عائشة إلّا أن أمرت جاريتها بأن تضرب القصعة من بين يدي حفصة فتكسر القصعة وينتثر ما فيها من طعام! فما كان من رسول اللَّه ﷺ إلّا أن جمع الطعام على النطع ـ سفرة من جلد ـ وأمر أصحابه بالأكل[1]، ثم إنه أبقى القصعة المكسورة في بيت عائشة، وبعث بقصعة عائشة إلى حفصة، وهكذا

(1) ابن ماجة، 2/ 783 (ح: 2333)؛ وقارن ابن حنبل، 6/ 277.

تغلب رسول اللَّه ﷺ على هذا التصرف الطائش، والمحرج في الوقت ذاته بكل هدوء، فلم يضرب زوجته ولم يهددها بطلاق أو ما شابه ذلك، وكان يعلم علم اليقين أن عائشة حين أقدمت على هذا الفعل كانت في حالة ضعف أي غلبتها الغَيْرةَ، فكان منها ما كان، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «إن الغَيَرى لا تُبصِرُ أسفل الوادي من أعلاه»(1).

وظل رسول اللَّه ﷺ متماسكًا، مسيطرًا على انفعالاته، وشهدت له عائشة بذلك السمو، فقالت: «فما رأيت ذلك في وجه رسول اللَّه ﷺ» أي إنها لم تلحظ شيئًا من أمارات السخط والغضب جرّاء فعلتها.

ولعل الأمر الأكثر غرابة من ذلك هو العلاقة المميزة والحميمة بين عائشة وحفصة، ولكن هذه العلاقة على الرغم من خصوصيتها إلّا أنه لم يكن فيها متسع للتسامح بين المرأتين لأن الغيرة كانت أقوى منهما.

ومرة أخرى تحدثت عائشة عن صفية بنت حُييٍّ، فشهدت لها بمهارتها الفائقة في صنع الطعام، وأنها أهدت إلى رسول اللَّه ﷺ طعامًا، وهو عند عائشة، بعثته مع جاريتها، قالت عائشة: «فلمّا رأيت الجارية، أخذتني رِعدة ـمن شدة الغَيْرُةـ فَضَربتُ القصعة، فرمَيتُ بها: قالت: فنظر إليَّ رسول اللَّه ﷺ فعرفت الغضب في وجهه. فقلت: «أعوذ برسول اللَّه أن يلعنني اليوم» قال: «أولى». قلت: «ما كفارته يا رسول الله؟» قال: «طعام كطعامها وإناء كإنائها»(2).

وهكذا فالغَيْرَة لا تفارق عائشة في مثل هذه المواقف، وهي لا

---

(1) الصالحي، **أزواج النبي**، ص132.

(2) ابن حنبل، 6/ 277 وقارن، النسائي، 7/ 71؛ أبوداود، 2/ 320 (ح: 3568)

تستطيع التحكم في مشاعرها، فلا تملك إلّا أن تتصرف تصرفات دون أن تحسب لها حسابًا، ثم لا تلبث أن تعلن ندمها على ما فعلت، وتجد في خُلق زوجها رسول اللّه ﷺ متسعًا للتسامح والتغاضي عن مثل هذه التصرفات لأنه يعلم أن الباعث على ذلك هي الغَيْرَة التي لا تملك عائشة لها كبحًا ولا صدًّا.

وفي السياق ذاته فقد ذكرت أم سلمة، أنها أتت بطعام إلى رسول اللّه ﷺ وأصحابه وهو في بيت عائشة، فما كان من عائشة إلّا أن أخذت حجرًا وفلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة، وقال لأصحابه: «كُلوا غارت أمكم»، قالها مرتين، ثم أخذ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة لعائشة[1].

واللافت للنظر أنه لم يصدر عن رسول اللّه ﷺ ما ينمّ عن غضبه من تصرف عائشة، فقد اكتفى بأن يعطي صحفة أم سلمة المكسورة لعائشة، ويعطي أم سلمة صحفة عائشة الصحيحة، ولم يزد على ذلك، وكفى بذلك عقوبة!

ومن بين المواقف التي واجهها الرسول ﷺ من بعض أزواجه ما يعرف بمشكلة «العسل» وهي المشكلة التي أطنبت مصادر السيرة والحديث النبوي بالحديث عنها. فقد جاء عند الواقدي بسنده أن عائشة ذكرت أن رسول اللّه ﷺ كان إذا دخل بيت أم سلمة احتبس عندها، فأبدت عائشة قلقها إلى صديقتها حفصة بنت عمر. وبعد التحريات اكتشفن أن سبب احتباس رسول اللّه ﷺ لدى أم سلمة هو أن لديها عسلًا تقدم شيئًا منه إلى النبي ﷺ إذا زارها، وهذا خلاف ما

(1) النسائي، 7/ 70ـ71؛ وقارن البخاري، ص1134 (ح: 5225).

كُنّ يتصورن إذ كُنّ يحسبن أن سبب مكثه عندها هو أنه يخلو معها، ـأي يجامعهاـ. وبعد معرفتهن بأمر العسل وأنه سبب مُكث رسول اللّه ﷺ لديها زادت الغَيْرَة في نفوسهن فقررن أن يحتلن في حرمان رسول اللّه ﷺ منه. فقالتا: «ليس شيء أكره إليه ـأي رسول للّه ﷺـ من أن يقال له نجد منك ريح شيء» فاتفقتا على أنه إذا دنا من أي منهما أن تقول له: إني أجد منك ريح شيء. فلمّا دخل على عائشة ودنا منها، قالت: إني أجد منك شيئًا، ما أصبت؟ فقال: «عسل من بيت أم سلمة» فقالت: «يا رسول اللّه! أرى نحله جرس عُرفُطا»[1]. ثم خرج من عندها فدخل على حفصة، فدنا منها، فقالت له مثل الذي قالت عائشة. فدخل على أم سلمة بعد ذلك، فأخرجت له العسل، فقال: «أَخِّريهِ عنيّ لا حاجة لي فيه»[2].

وجاء في رواية أُخرى أن صاحبة العسل، التي كان رسول اللّه ﷺ يطيل المكث عندها هي سودة بنت زمعة، ففي رواية لابن أبي مُليكة[3]، أن عائشة وحفصة لاحظتا أن رسول اللّه ﷺ كان يأتي سودة في غير يومها، وأنه كان يصيب عندها عسلًا. فقالت إحداهما للأخرى: «ما ترين إلى هذا ـأي النبيـ قد اعتاد هذه، يأتيها في غير يومها يصيب من ذلك العسل، فإذا دخل فَخُذي بأنفك، فإذا قال: ما لَكِ؟ قولي أجد

(1) جرس: جرست نَحْلُه؛ العُرفُط؛ أي أكلت. يقال للنحل: الجوارس. والجِرسُ في الأصل الصوت الخفي. والعُرفُط. شجر. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، 1/ 260.

(2) انظر ابن سعد، 8/ 170؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 425.

(3) ابن أبي مُليكة: هو عبد اللّه بن عُبيد اللّه بن أبي مُليكة، كان قاضيًا لابن الزبير ومؤذنًا له، روى عن جماعة من الصحابة منهم العبادلة الأربعة، وروى عن عائشة وأم سلمة. قيل عنه: مكي تابعي ثقة، مات سنة 117هـ وقيل سنة 118هـ. انظر ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 3/ 188ـ189 (ت: 4003).

منك ريحًا ما أدري ما هي؟ فإنه إذا دخل عليّ قلت له مثل ذلك ... فلمّا دخل على الأُخرى قالت: إني أجد فيك ريح مغافير[1]... فقال ﷺ: «ما هذا إلّا شيء أصبته من بيت سودة [أي عسل] واللّٰه لا أذوقه أبدًا» ثم علّق ابن عباس على هذا الخبر قائلًا: فنزلت آية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ.....﴾[2] في هذا الأمر»[3].

وفي الحقيقة فإن الروايات قد اضطربت في قصة «العسل» ومَنْ من زوجاته كانت صاحبة العسل؟ فقد ساق البخاري (ت: 256هـ/ 865م) ثلاث روايات، جاء في روايتين منها نقلًا عن عُبيد بن عُمير[4] (ت: 68هـ/ 687م) رواية عن عائشة تفيد إحدى الروايتين أن رسول اللّٰه ﷺ كان يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، قالت عائشة: فاتفقت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها رسول اللّٰه ﷺ فلتقل له: «أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير!» قال: «لا، ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدًا»[5].

---

(1) مغافير: المغافير، شيء ينضحه شجر العُرْفُط حلو كالناطف ... وله ريح كريهة منكرة .. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، 3/ 374.

(2) سورة التحريم، الآية: 1.

(3) النيسابوري، ص245.

(4) عُبيد بن عُمير: هو عُبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي قاص أهل مكة: روى عن كثير من الصحابة مثل: أبي موسى الأشعري وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وابن عباس، وذكره ابن حبّان في الثقات. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 4/ 46ـ 47 (ت: 5146).

(5) البخاري، ص1057 (ح: 4912)، ص1142 (ح: 5267)؛ مسلم، 2/ 1100ـ 1101 (ح: 1474)؛ النسائي، 6/ 151ـ 152.

أما الرواية الأُخرى فهي تتحدث عن القصة نفسها برواية عائشة إلّا أنها لا تذكر أن النبي ﷺ حلف ألا يذوق العسل مرة أخرى أو أنه طلب منهن عدم ذكر ذلك لأحد، بل جاء في الرواية: «ولن أعود له» أي العسل[1]. ثم علّق البخاري على هذه الرواية بالقول: «فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ.....﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2] لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا...﴾[3] لقوله «بل شربت عسلًا»[4].

أما رواية البخاري الثالثة المتعلقة بأمر العسل وصاحبته، فقد جاءت بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه، وهي رواية أكثر تفصيلًا من سابقاتها وتشير في الوقت نفسه إلى حفصة بنت عمر، وأنها صاحبة «العسل»، وأن النبي ﷺ كان يحتبس عندها أكثر ما كان يحتبس. قالت عائشة: «فغِرتُ، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة[5]، عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة، ثم تستمر عائشة في سرد تفاصيل احتيالها على رسول اللّه ﷺ في تجنب عسل حفصة، إذ إنها اتفقت مع سودة بنت زمعة وصفية بنت حُييٍّ بن أخطب أنْ أيهن دخل عليها رسول اللّه ﷺ ودنا منها، فلتقل له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فلمّا دار على أزواجه الثلاث: عائشة وسودة وصفية، قلن له هذا القول

---

(1) البخاري، ص1142 (ح: 5267)؛ وقارن النسائي، 7/ 71؛ القرطبي، 9/ 134.

(2) سورة التحريم، الآية: 4.

(3) سورة التحريم، الآية: 3.

(4) البخاري، المصدر نفسه والحديث نفسه.

(5) العُكَّة: هي وعاء من جلد مستدير يختص بهما السمن والعسل، وهو بالسمن أخَصَ. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، 3/ 284.

فأخبرهن أن حفصة بنت عمر سقته عسلًا. فقلن له: جرست نحلُهُ العُرفُط. فلمّا دار إلى حفصة قالت: ألا أسقيك منه يا رسول الله؟ قال: «لا حاجة لي فيه» قالت سودة: «واللّه لقد حرمناه»[1].

الواضح من هذه الرواية أن الباعث على حيلة عائشة بخصوص العسل، هو الغَيْرَة من مكث رسول اللّه ﷺ عند صديقتها حفصة، لذلك فقد أقنعت صويحباتها سودة وصفية لتنفيذ هذه المكيدة، التي نتج عنها أن النبي ﷺ تجنب تناول العسل على الرغم من محبته له![2].

العرض السابق يُظهر تباينًا واضحًا، في الروايات إذ إنها لا تكاد تتفق على امرأة واحدة من أزواج النبي ﷺ التي كان يطعم عندها العسل! ففي الرواية الأولى عند ابن سعد بسنده عن عائشة، أن المرأة التي كان رسول اللّه يطيل المكث عندها وتطعمه من العسل، هي أم سلمة[3]. والرواية الثانية عن ابن أبي مُليكة الذي لم يذكر مصدره، فإن صاحبة العسل، هي سودة بنت زمعة، وكان رسول اللّه ﷺ يأتيها في غير يومها من أجل العسل[4].

أما عُبيد بن عمير، فقد نقل عنه البخاري بسنده عن عائشة، أن صاحبة العسل هي زينب بنت جحش[5]. وآخر الروايات بهذا الشأن

(1) البخاري، ص1142 (ح: 5268)؛ وقارن مسلم ، 2/ 1101_1102 (ح: 1474)؛ القرطبي، 9/ 134.

(2) انظر البخاري، ص1142 (ح: 5268)؛ مسلم، 2/ 1101 (ح: 1474).

(3) ابن سعد، 8/ 170.

(4) انظر النيسابوري، ص245.

(5) انظر البخاري، ص1057 (ح: 4912)، ص1142 (ح: 5267)؛ وقارن النسائي، 7/ 71.

ساقها البخاري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وتفيد أن حفصة بنت عمر هي التي كان رسول اللّه يطيل المكث عندها، حيث يصيب من العسل(1).

الذي يمكن ملاحظته على الروايات السابقة؛ أن أربعًا منها رواية عن عائشة، واثنتين من روايات عائشة تذكران أن صاحبة العسل هي زينب بنت جحش، ورواية عائشة الثالثة تؤكد أن حفصة بنت عمر هي صاحبة العسل واللافت في الأمر أن الروايتين المتعارضتين؛ إحداهما تذكر أن صاحبة العسل زينب بنت جحش والثانية تقول إن صاحبة العسل هي حفصة بنت عمر كلتاهما أوردهما البخاري، عن عائشة، أما رواية ابن أبي مليكة فتذكر بأن سودة هي صاحبة العسل، ويجب النظر إليها بحذر حيث إن راويها لم يذكر مصدر روايته.

وتبقى أخيرًا الرواية الرابعة لعائشة عند ابن سعد، التي ذكرت فيها بالتفصيل أن صاحبة العسل هي أم سلمة. ولعل ما يقوي الاحتمال بصحة الرواية أن أم سلمة نفسها قد ذكرت طرفًا من أمر العسل ومقام رسول اللّه لديها، فقد جاء عن عبداللّه بن رافع(2)، قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ...﴾ الآية، فقالت: كانت عندي عكة من عسل أبيض ... فكان النبي ﷺ يلعق منها، وكان

(1) انظر البخاري، ص1142 (ح: 5268)؛ ص1463 (ح: 6972).

(2) عبداللّه بن رافع: هو عبداللّه بن رافع المخزومي، أبو رافع المدني، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ. روى عنها وعن أبي هريرة وعن غيرهم، وروى عنه جماعة، قال عنه العجلي وأبو زرعة والنسائي «ثقة»، وذكره ابن حِبّان في الثقات. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 3/ 129 (ت: 3835).

يحبـه. فقالت له عائشـة: «نحلها تجرس عرفطًـا»، فحرمها فنزلت هذه الآية[1].

الذي يجب التوقف عنده هنا أن عائشة بنت أبي بكر هي صاحبة الروايات الأربع بشأن العسل، فهي المتحدثة عن تلك الحوادث وتفاصيلها، وفي السياق نفسه لم تتحدث أي من أزواج النبي اللاتي ذكرتهن عائشة في أمر العسل عن شيء من ذلك! وهذا مدعاة للتساؤل؟ أي لماذا لـم يُشرِنَ ولو بصورة عارضة لتذوق رسول اللّه ﷺ للعسل عند أي منهن إذ الملاحظ أنهن جميعًا التزمن الصمت! والملاحظ في الوقت نفسه أن روايات العسل عند عائشة متناقضة، ففي الرواية الأُولى، صاحبة العسل هي أم سلمة، وفي روايتين عند البخاري أن صاحبة العسل هي زينب بنت جحش، ورواية عائشة الرابعة ذات التفاصيل الدقيقة عند البخاري تنسب قضية العسل لحفصة بنت عمر! وفي حقيقة الأمر فإنه يصعب الجمع بين هذه المتناقضات! مما يدفع الباحث في هذه الإشكالية إلى التشكيك في أكثر ما روي عن عائشة في هذا الخصوص، أي لعله لم يثبت عنها شيء على وجه الدقة في أكثر هذه الروايات.

لذلك فإن الرواية الأجدر بالقبول من روايات عائشة، هي روايتها التي ذكرت فيها أن صاحبة العسل هي أم سلمة، وهذا الترجيح مؤسَّسٌ على شهادة أم سلمة نفسها، التي سبقت الإشارة إليها في أثناء عرض الروايات، إذ إن أم سلمة هي الزوجة الوحيدة ممن شملتهن قصة العسل، التي ذكرت بنفسها طرفًا من خبرها حيث إن بقية الأزواج لم يشرن لأمر العسل لا من قريب ولا من بعيد.

(1) ابن سعد، 8/ 170 ـ 171.

وتبقى إشكالية أخيرة مرتبطة بأمر العسل، وهي آية التحريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ.....﴾[1]. حيث ورد في معظم المصادر التي تناولت مشكلة العسل وأي من أزواج النبي ﷺ هي التي كان يطيل المكث عندها من أجل العسل، تربط بين عزوف النبي ﷺ عن العسل وآية التحريم، وأن العتاب الإلهي للرسول ﷺ بشأن التحريم هو مختص بتحريم الرسول ﷺ للعسل على نفسه[2].

لكن القراءة الفاحصة لروايات العسل لا يتبين منها أن الرسول ﷺ قد حَرَّم العسل على نفسه، وقوله: لا حاجة لي فيه، أو أَخرِّيهِ عنِّي، أو قوله: لن أعود له، وقوله كذلك إن كانت الرواية دقيقة، كما جاءت عند النيسابوري: «واللَّه لا أذوقه أبدًا». ربما أن النبي ﷺ يقصد من القسم، أنه لن يذوق ذلك العسل المخصوص ذي الرائحة الكريهة. كل هذه الألفاظ لا يفهم منها أن النبي ﷺ قد حرَّم العسل على نفسه، بل إنه وَعَدْ بالتوقف عن تناوله لشبهة فيه، وهي رائحته. ويمكن القول أيضًا إنه من المحتمل أن الرسول ﷺ وعَدَ بعض أزواجه بأن لا يعود لتناول ذلك العسل الموجود عند إحدى نسائه والذي قيل عنه إنه كريه الرائحة وليس العسل على إطلاقه. ومن غير الوارد إطلاقًا أن يُحرِّم الرسول ﷺ على نفسه شيئًا أحلّه اللَّه له.

إجمالًا ومن استقراء بعض الروايات يظهر أن آية التحريم متعلقة بصورة مباشرة بعلاقة النبي ﷺ بسُرِّيَتِه مارية القبطية، إذ إنه واقعها في بيت حفصة بنت عمر، فثارت ثائرة حفصة ومن ثم عائشة وقد ساق

---

(1) سورة التحريم، الآية: 1.

(2) راجع، البخاري ص1142 (ح: 5267)؛ النسائي، 7/ 71؛ القرطبي، 9/ 136؛ النيسابوري، ص245؛ ابن سعد، 8/ 170 ـ 171.

الواقدي بهذا الخصوص سبع روايات بأسانيدها، نقلها عنه تلميذه محمد بن سعد في الطبقات، خمس من هذه الروايات لا يرد فيها اسم مارية، بل تأتي الإشارة إليها بمسمى «جارية» أو «أَمَة» أو «أم إبراهيم»[1].

أما الروايتان الأخيرتان، فهما تشيران صراحةً إلى «مارية»[2] وسواءً صرّحت الروايات باسم مارية، أم اكتفت بالإشارة، ففي سياقها وتفاصيلها ما يؤكد بأن مارية هي التي واقعها الرسول ﷺ في بيت حفصة بنت عمر، وهي التي نزلت سورة التحريم بشأنها. فقد جاء في إحدى روايات الواقدي بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم[3]، قال: خرجت حفصة من بيتها، فبعث رسول اللَّه ﷺ إلى جاريته [مارية] فجاءته في بيت حفصة، فدخلت عليه حفصة، وهي معه في بيتها، فقالت: «يا رسول اللَّه في بيتي وفي يومي وعلى فراشي! فقال رسول اللَّه: «اسكتي، فلك اللَّه لا أقربها أبدًا، ولا تذكريه»، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فأنزل اللَّه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ...﴾[4][5].

(1) راجع ابن سعد، 8/ 185ـ186.

(2) راجع المصدر السابق نفسه، 8/ 187.

(3) محمد بن جبير بن مطعم: هو ابن عديٍّ بن نوفل بن عبد مناف، أبو سعيد المدني. روي عن أبيه وعمر وابن عباس ومارية وغيرهم. روى عنه أولاده: عمر وجبير وسعيد وإبراهيم والزهري وغيرهم. وكان أعلم قريش بأحاديثها. ذكره ابن حبان في الثقات. توفي في خلافة سليمان بن عبدالملك (96ـ99هـ) على ما يظهر. انظر ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 5/ 56 (ت: 6811).

(4) سورة التحريم،ا لآية: 1.

(5) ابن سعد، 8/ 186.

ورواية الواقدي الثانية بخصوص هذه الواقعة تعود بسندها إلى عروة بن الزبير[1]، وهي شديدة الشبه بالرواية السابقة إلّا أنها أكثر تفصيلًا، إذ جاء فيها: «انطلقت حفصة إلى أبيها تتحدّث عنده، وأرسل رسول اللَّه إلى مارية فظلّ معها في بيت حفصة وضاجعها، فرجعت حفصة من عند أبيها، وأبصرتهما فغارت غيرة شديدة، ثم إن رسول اللَّه ﷺ أخرج سُرِّيتَه، فدخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، وقد واللَّه سؤتني، فقال النبي ﷺ «فإني واللَّه لأرضينك، إني مُسِرٌّ إليك سِرًّا فأخفيه لي». فقالت: ما هو؟ قال: «أشهدك أن سُريتي عليّ حرام» يريد بذلك رضا حفصة، وكانت حفصة وعائشة قد تظاهرتا على نساء رسول اللَّه ﷺ فانطلقت حفصة، فحدثت عائشة. فقالت لها: فإن اللَّه حَرّم على رسوله وليدته. فلمّا أَخبَرتْ بسرِ رسول اللَّه ﷺ، أنزل اللَّه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ......﴾ الآية[2].

ويقدم الواقدي رواية أخيرة حول موضوع مارية تعود بسندها إلى ابن عباس، قال: «خرجت حفصة من بيتها، وكان يوم عائشة، فدخل رسول اللَّه ﷺ بجاريته وهي مخمر ـ مغطى ـ وجهها، في بيت حفصة، فقالت حفصة لرسول اللَّه ﷺ: أما إني قد رأيت ما صنعت. فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «فاكتمي عني وهي حرام». فانطلقت حفصة

(1) عروة بن الزبير: هو ابن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبداللَّه المدني، روى عن أبيه وأخيه عبداللَّه وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة وغيرهم وروى عنه خلق كثير. اختلف في سنة وفاته، فقيل: سنة 94هـ وقيل: 99هـ، وقيل: 100هـ أو 101هـ، انظر ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 4/ 113 ـ 115 (ت: 5347).

(2) ابن سعد، 8/ 187.

إلى عائشة، فأخبرتها وبشّرتها بتحريم القبطية، فقالت عائشة له [أي للرسول] «أما يومي فتعرّس فيه بالقبطية وأما سائر نسائك فتسلّم لهن أيامهن!» فأنزل اللّه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا...﴾ الآية[1].

هذه الرواية قريبة الشبه بالروايتين السابقتين من حيث المضمون ولكن لعل الجديد فيها والذي يعطيها أهمية أكبر هو أن رسول اللّه ﷺ ضاجع جاريته مارية في يوم عائشة، ومعلوم أن عائشة شديدة الغَيْرَة سيما من امرأة مشهود لها بالجمال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، والنبي ﷺ شديد الحرص على مراعاة شعور عائشة، ويداري منها الحِدّة، وشدة الغَيْرَة، لذلك فقد طلب من حفصة التي اطلعت على الأمر بأن لا تفضي فيه لأحد وربما أن المقصود بذلك «عائشة» ومقابل ذلك حرّم على نفسه جاريته مارية، ولكن هذا كله لم يحل دون غضبة عائشة، وملامتها لزوجها الحبيب رسول اللّه ﷺ بل جاء في أحد المصادر التي تطرقت لقصة مارية، واكتشاف حفصة للأمر أنه قال لها رسول اللّه ﷺ: «لا تذكري هذا لعائشة»[2] وتخصيص عائشة بالاسم دون بقية نسائه وحرصه على عدم ذكر الأمر لها يوحي بأن مواقعة النبي ﷺ للجارية، كان في يوم عائشة لذلك فقد حرّمها على نفسه، مقابل ألا تعلم عائشة بذلك!

وعندما تطرق الطبري في تفسيره لآية التحريم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ.....﴾ أورد روايتين في هذا الأمر؛ الرواية الأولى

(1) ابن سعد، 8/ 185.
(2) القرطبي، 9/ 135.

في غاية الاختصار، وهي أن رسول اللّه ﷺ اختلى بمملوكته القبطية في بيت حفصة، وفي يومها. فلمّا اطلعت حفصة على الأمر، حرّم مملوكته بيمين طلبًا لرضا حفصة[1].

والرواية الثانية الأكثر تفصيلًا، هي رواية ابن عباس التي سبقت الإشارة إليها مع بعض الاختلاف، حيث نقل الطبري بسنده عن ابن عباس أنه قال: «كانت حفصة وعائشة متحابتين، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تتحدَّث عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة. فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها. فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غَيْرةَ شديدة، فأخرج رسول اللّه ﷺ جاريته، ودخلت حفصة، فقالت: قد رأيت من كان عندك، واللّه لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ: «واللّه لأرضينك، فإني مسرٌّ إليك سرًّا، فاحفظيه» قالت: ما هو؟ قال: «أُشهدك أن سُرّيتي هذه عليّ حرام رضا لك» وكانت عائشة وحفصة تظاهران على نساء النبي ﷺ فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرّت إليها أن أبشري! إن النبي ﷺ قد حرّم عليه فتاته[2].

ولعل اللافت في هذه الرواية هو قول الرسول ﷺ في حديثه مع حفصة: «إني مسرٌّ إليك سرًّا» فهو يعرف مدى خطورة هذا الأمر بالنسبة لعائشة فيما لو اطلعت عليه، لذلك فهو يطلب من حفصة كتمانه، والسِّر كما يتضح من الروايات هو تحريم مارية على نفسه، وأنه لن يطأها في قادم الأيام.

---

(1) محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد اللّه بن عبد المحسن التركي (القاهرة، دار هجر، 1422هـ/ 2001م)، 23/ 83.

(2) الطبري، **تفسير**، 23/ 86.

ومما يلاحظ هنا أن الطبري عند مناقشته لهاتين الروايتين لم يخرج برأي واضح بخصوص الشيء الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه هل هو العسل أم مارية، فخلص إلى القول: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرمه رسول اللَّه ﷺ على نفسه شيئًا كان اللَّه قد أحلّه له. فجائز أن يكون ذلك جاريته، أو جائز أن يكون شرابًا من الأشربة، وجائز أن يكون غير ذلك»[1].

وكذلك فإن القرطبي في تفسيره لآية التحريم، ناقش رواية العسل وهو شرب النبي ﷺ له عند سودة أو أم سلمة، وعلَّق على ذلك بالقول: «وهذا كله جهل أو تصور بغير علم»[2].

ويظهر أنه استبعد كذلك «مارية» في أمر التحريم، إذ قال: «وإنما الصحيح أنه كان في العسل» أي التحريم «وأنه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة، فجرى ما جرى، فحلف ألا يشربه»[3].

أما الزمخشري، فعندما تعرض لتفسير آية التحريم، قال: رُوِيَ أن رسول اللَّه ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة، فقال لها: «اكتمي عليّ، وقد حرّمتُ مارية على نفسي، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أُمتي» فأخبرت به عائشة وكانتا متصافيتين، وقيل خلا بها في يوم حفصة، فأرضاها بذلك، واستكتمها فلم تكتم، فطلقها واعتزل نساءه[4].

---

(1) الطبري، تفسير، 23/ 69.

(2) القرطبي، 9/ 135.

(3) المصدر السابق نفسه، 9/ 136.

(4) جار اللَّه محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، =

الجديد في رواية الزمخشري إضافة إلى تحريم رسول اللّه ﷺ مارية، هو بشارة رسول اللّه ﷺ لحفصة بأن أباها وأبا بكر سيليان أمر المسلمين من بعده، وهذا الجزء من الرواية لا يخلو من مسحة سياسية، ربما أنها انعكاس للخلافات المذهبية اللاحقة، علاوة على أن الروايات المتواترة سواءً رواية تحريم العسل، أو تحريم مارية لم تأت على شيء بخصوص ولاية أبي بكر وعمر لأمر المسلمين بعد وفاة رسول اللّه ﷺ ولو كان لهذا الخبر نصيب من الصحة لأفصحت عنه حفصة حين اجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة وتشاورهم في من هو أحق بخلافة رسول اللّه ﷺ[1].

وكذلك القول أن رسول اللّه ﷺ طلق حفصة بسبب إفشائها لسر رسول اللّه ومن ثم اعتزاله لنسائه، فكل هذه الأخبار لم تأت على وجه صحيح وستعالج في مكان آخر من هذه الدراسة.

الذي يمكن استنتاجه من روايات تحريم «العسل» أو روايات تحريم «مارية» أن الأرجح هو أن سورة التحريم وخاصة الآيات الأولى منها نزلت في أمر تحريم الرسول ﷺ جاريته مارية على نفسه. إذ إن

= تحقيق محمد عبد السلام شاهين (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1995م)، 4/ 549ـ550؛ وقارن فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتح الغيب** (بيروت، دار الكتب العلمية، 1411/ 1990م)، 30/ 27.

(1) في واقع الأمر قد ورد طرف من هذه الرواية لدى البلاذري، وهو قول رسول اللّه ﷺ لحفصة بنت عمر: إن أبا بكر سيلي الأمر بعد رسول اللّه وإن عمر سيلي الأمر بعد أبي بكر. البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 424. ولكن من شبه المؤكد أنه لا يوجد لهذه الرواية صدى في معظم المصادر المتقدمة التي تحدثت عن هذا الشأن.

موضوع شرب العسل الذي تضاربت الروايات بشأنه، والاختلاف الواضح في المرأة التي شرب عندها رسول اللَّه ﷺ «العسل» كل ذلك يدعو إلى التردد في قبولها لأن شرب النبي ﷺ للعسل لم يَعُد سرًّا؛ حيث إن رسول اللَّه ﷺ أخبر به كل امرأة من نسائه حين سألته ماذا شرب؟ فأين موضع السر هنا؟!

أما ما يمكن أن يطلق عليه «سرًّا» فهو خلوته بمارية، ومن ثم تحريمها على نفسه، فكان حريصًا أشد الحرص على عدم إطلاع أحد من أزواجه على هذا الأمر، قال لحفصة: «فاكتمي عني»، أو قوله: «لا تذكريه لعائشة»، أو قوله: «إني مسرٌّ إليك سرًّا» ولكن حفصة لم تحتفظ بسر رسول اللَّه ﷺ وأفشته لعائشة، ومن هنا جاءت الإشارة إلى تواطؤ المرأتين على رسول اللَّه ﷺ وتظاهرهما عليه، حيث روى عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول اللَّه ﷺ هما عائشة وحفصة[1].

ومن هنا لا بدّ من التنبيه إلى رواية الزمخشري التي ذكر فيها أن رسول اللَّه ﷺ طلق حفصة بسبب إفشائها لسر رسول اللَّه ﷺ أي خلوته بمارية[2] وهو طلاق لا يستبعد حدوثه تأديبًا لحفصة لإفشائها سر رسول اللَّه ﷺ، ولكنه طلاق لم يلبث إلّا يسيرًا حتى راجعها رسول اللَّه ﷺ[3].

---

(1) انظر ابن سعد، 8/ 184 ـ 185؛ البخاري، ص ص1057 ـ 1058(ح: 4913)؛ مسلم، 2/ 1108 (ح: 1479).

(2) الزمخشري، **الكشاف**، 4/ 594 ـ 550.

(3) انظر ابن سعد، 8/ 85، 84.

أما اعتزال النبي ﷺ لنسائه، فيظهر أن لا علاقة له بالعسل أو الخلوة بمارية، إذ إن موضوع الاعتزال قد يكون لأكثر من سبب، وسيتبين ذلك في خلال بعض الأقوال المتعلقة بهذا الشأن[1].

لقد جاء في إحدى روايات اعتزال النبي ﷺ لنسائه؛ أنه عندما أفشت حفصة خبر خلوة رسول اللّٰه ﷺ بجاريته مارية القبطية، وأسرّت بذلك الأمر إلى عائشة، قرر رسول اللّٰه ﷺ اعتزال نسائه شهرًا، وقال: «ما أنا بداخل عليكن شهرًا»[2].

ذكر الواقدي بهذا الصدد ثلاث روايات تنتهي بأسانيدها إلى عائشة، ومفاد هذه الروايات أن سبب اعتزال النبي ﷺ لنسائه يعود في أصله إلى موقف زوجه زينب بنت جحش من هدية اللحم التي بعث بها رسول اللّٰه ﷺ إليها، فقد جاء في إحدى روايات عائشة حول هذا الأمر أن قالت: «ذبح رسول اللّٰه ذبحًا فأمرني فقسمته بين أزواجه، فأرسل إلى زينب بنت جحش بنصيبها فردته، فقال: «زيدوها» ثلاثًا، كل ذلك تردّه. فقلت له: «قد أقمأت[3] وجهك حين ترد عليك الهدية» فقال: أنتن أهون على اللّٰه من أن تقمئنني، واللّٰه لا أدخل عليكن شهرًا» فاعتزل في مشربة[4].

وأشار ابن حبان البستي إلى واقعة هدية اللحم ورفض زينب بنت جحش لها، وأن ذلك كان سبب اعتزال النبي ﷺ. والجديد في روايته

(1) انظر، عمر زكريا، ص ص217ـ218.
(2) ابن سعد، 8/ 178؛ وقارن 8/ 184؛ القرطبي، 9/ 135؛ النيسابوري، ص244.
(3) قمأ: ذل وصَغُر، وصار قميئًا. ابن منظور، **لسان العرب**، 1/ 134 مادة «قمأ».
(4) انظر ابن سعد، 8/ 190، 188؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 426ـ427.

تلك أنه يحدّد وقت هذه الواقعة وأنها كانت في أول السنة التاسعة من الهجرة[1]. ففي هذه الرواية أول إشارة إلى زمن حدوث واقعة الاعتزال، ولم يشر إلى مصدر روايته.

وفي حديث الواقدي عن هجر النبي ﷺ لنسائه واعتزالهن؛ قدم رواية عن جابر بن عبداللَّه (ت: 74هـ تقريبًا) تفيد أن سبب اعتزال رسول اللَّه ﷺ لنسائه يعود إلى مطالبتهن إياه بالتوسع عليهن بالنفقة، وذلك أن عمر بن الخطاب عندما سأل رسول اللَّه ﷺ عن عدم خروجه إلى الناس يومًا وليلة؛ أجابه قائلًا: «يا عمر يسألنني أولاء ما ليس عندي [يعني نساءه] فذلك الذي بلغ مني ما ترى»[2].

وجاء في رواية لمحمد بن سعد بن أبي وقاص (ت: 82هـ تقريبًا) أن عمر بن الخطاب استأذن على النبي ﷺ ووجد نساءه حوله، يكلمنه ويستكسينه، عالية أصواتهن[3].

وفي رواية لجابر بن عبداللَّه، أكثر وضوحًا من روايته السابقة، جاء فيها أن عمر استأذن على رسول اللَّه ﷺ، فوجد النبي ﷺ جالسًا ونساؤه حوله، واجمًا ساكتًا، ثم ذكر عمر لرسول اللَّه ﷺ عقوبته لزوجته لما سألته النفقة، فضحك رسول اللَّه ﷺ وقال لعمر: «هُنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة»... ثم اعتزلهن رسول اللَّه ﷺ شهرًا أو تسعة وعشرين يومًا[4].

---

(1) ابن حبان البستي، ص ص363ـ364.
(2) انظر ابن سعد، 8/ 179.
(3) المصدر السابق نفسه، 8/ 181.
(4) القرطبي، 7/ 120؛ 9/ 145؛ وقارن ابن حنبل، 1/ 33.

ثم أورد البخاري حديثين حول اعتزال النبي ﷺ لنسائه؛ الحديث الأول عن أم سلمة: أن النبي ﷺ حلف ألا يدخل على بعض نسائه شهرًا، فلمّا مضى تسعة وعشرون يومًا غدا عليهن أو راح. فقيل له: يا نبي اللَّه، حلفت ألا تدخل عليهن شهرًا، فقال: «إن الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا»[1].

أما الحديث الثاني عند البخاري، فجاء رواية عن ابن عباس، ومفاده أن ابن عباس أصبح ذات يوم ونساء النبي ﷺ يبكين، وعند كل امرأة منهن أهلها، وإذا المسجد ملآن بالناس، وأن عمر بن الخطاب استأذن على رسول اللَّه ﷺ وهو في غرفته، فأذن له، فدخل، فسلم، ثم سأل النبي ﷺ، فقال: «أطلقّت نساءك»؟ فقال: «لا. ولكن آليت منهن شهرًا» فمكث تسعًا وعشرين [ليلة؟] ثم دخل على نسائه[2].

يظهر من الروايات السابقة عدم اتفاقها على سبب اعتزال النبي ﷺ لنسائه، إذ إن بعض الروايات يُرجِعُ الاعتزال إلى رفض زينب بنت جحش لنصيبها من اللحم وبعضها الآخر يرد السبب إلى مطالبة نساء النبي ﷺ إياه بالكسوة والتوسعة عليهن بالنفقة. أما الروايتين الأخيرتين اللتين ساقهما البخاري، فهما تتحدثان عن الاعتزال ولا تذكران أسبابه، إذ إن رواية أم سلمة، تذكر أن رسول اللَّه ﷺ حلف ألا يدخل على بعض نسائه شهرًا، ولم تفصح عن سبب ذلك! ولعل أهم ما في هذه الرواية على الرغم من اقتضابها إشارتها إلى أن الاعتزال اقتصر على بعض نساء النبي ﷺ وليس كلهن.

(1) البخاري، ص1130 (ح: 5202).
(2) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها (ح: 5203).

أما رواية ابن عباس فليس فيها إجابة عن سبب اعتزال النبي ﷺ لنسائه، سوى سؤال عمر بن الخطاب لرسول اللّٰه ﷺ: هل طلق نساءه أم لا؟ وجواب الرسول ﷺ لعمر بأنه لم يطلقهن، ولكنه آلى منهن شهرًا وليس هنا جواب عن سبب الاعتزال أو الإيلاء.

من سياق ما تقدم يتبين أننا أمام مجموعتين من الروايات المتعارضة بشأن اعتزال النبي ﷺ لنسائه. المجموعة الأولى تتعلق بالعسل وما قيل أنه شربه عند بعض نسائه، وكذلك خلوة النبي ﷺ بجاريته «مارية». الواضح من هذه المجموعة أن سبب الاعتزال يعود إلى إفشاء سر خلوة الرسول ﷺ «بمارية» وتعود هذه الحادثة في زمن حدوثها إلى وقت متأخر أي ربما في أواخر السنة السابعة من الهجرة أو بعدها؛ حيث إن مارية قدمت على رسول اللّٰه ﷺ من مصر في السنة السابعة من الهجرة (7هـ/ 628م). وقد نزلت سورة من القرآن الكريم وهي سورة التحريم تعالج في الآيات الأولى منها هذه المسألة.

أما المجموعة الثانية من الروايات، فهي بشأن مطالبة نساء النبي له، بالكسوة والتوسعة عليهن بالنفقة، ويظهر أن هذه القضية قد حدثت في وقت لاحق.

لقد وردت إشارات من عمر بن الخطاب في أثناء حديثه عن قضية الاعتزال وذلك في قوله: «دَخلتُ المسجد فإذا الناس ينكثون بالحصى ويقولون: طلق رسول اللّٰه ﷺ نساءه؛ وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب[1]. ومما هو معلوم كذلك أن تشريع الحجاب حدث في

(1) القرطبي، 9/ 143.

أواخر السنة الخامسة من الهجرة[1]. لذلك فلا بدّ من مناقشة هذه الرواية لاحقًا.

إنَّ الاحتمال الأرجح في سبب اعتزال النبي ﷺ لنسائه يعود إلى مطالبتهن إياه، بشيء من متاع الحياة الدنيا، ولهذا فإن سورة التحريم لم تتطرق إلى ذلك، بل تكفلت بهذا وأشارت إليه بوضوح سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

لقد عُرفت هذه الآية بآية التخيير، أي إن اللّه أمر رسوله بأن يخيّر أزواجه بين متع الحياة الدنيا أو الدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم[3].

وفي حديث عائشة عن هذه المناسبة، قالت: «إن رسول اللّه ﷺ جاءها حين أمره اللّه أن يخيّر أزواجه، فبدأ بي رسول اللّه ﷺ فقال: «إني ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك» وقد علم أن أبويَّ لم يكُونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: «إن اللّه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ...﴾ إلى تمام الآيتين. فقلت له: «ففي أي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أُريد اللّه ورسوله والدار الآخرة»[4].

وجاء في رواية عند ابن سعد بشأن هذا الأمر، تكشف عن مدى

(1) ابن سعد، 8/ 114.
(2) سورة الأحزاب، الآيتان: 28-29.
(3) انظر القرطبي، 7/ 120؛ وقارن النيسابوري، ص196.
(4) البخاري، ص1018 (ح: 4785)، (ح: 4786)؛ وقارن ابن سعد، 8/ 180.

حُب عائشة لرسول اللَّه ﷺ إذ قالت: «أي نبيِّ اللَّه وهل بدأت بأحد منهن قبلي» ـ أي هل أخبر نساءه بآية التخيير ـ قال: «لا» قالت: «فإني أختار اللَّه والدار الآخرة، فاكتم عليَّ ولا تخبر بذلك نساءك» قال رسول اللَّه ﷺ بل أخبرهُنّ. فأخبرهن رسول اللَّه ﷺ جميعًا فاخترن اللَّه والرسول والدار الآخرة[1].

وجاء في رواية أخرى حول موقف عائشة من التخيير، وموقفها من نساء النبي، أنها قالت: «اخترت اللَّه ورسوله»، ثم قالت لرسول اللَّه ﷺ: «هي عندك أمانة، لا تخبر امرأة منهن». فقال رسول اللَّه ﷺ، «إني لم أُرسل متعنتًا، ولكني أُرسلت مبشرًا، فإن سألنني أخبرتهن»، ثم خيرّ حفصة، فقالت: «ماذا قالت عائشة؟» فأخبرها فقبلن جميعًا واخترن اللَّه ورسوله[2].

ولكن لعل ما يدعو إلى التوقف في شأن رواية عمر بن الخطاب التي ذُكرت سابقًا حول وقت اعتزال النبي ﷺ لنسائه، وأن ذلك كان قبل أن ينزل الحجاب أي قبل نهاية السنة الخامسة من الهجرة، هي رواية عبداللَّه بن عباس عند البخاري التي سبقت الإشارة إليها، ولا بأس هنا من عرضها بنصها حيث إنها تشير إلى أن الاعتزال حدث ربما في أواخر السنة الثامنة أو في أوائل التاسعة من الهجرة لأن ابن عباس وأهله ارتحلوا إلى المدينة بعد فتح مكة[3].

(1) ابن سعد، 8/ 180.

(2) المصدر السابق نفسه، 8/ 191.

(3) محمد بن سعد الزهري، **الطبقات الكبرى**، الطبقة الخامسة من الصحابة، تحقيق محمد صامل السلمي، الطبعة الأولى (الطائف، مكتبة الصديق، 1414هـ/ 1993م)، 1/ 204؛ الذهبي، 3/ 333؛ وقارن ابن قيم الجوزية، 3/ 235.

قال ابن عباس عن حادثة الاعتزال أو هجر النبي ﷺ لنسائه: «أصبحنا يومًا ونساءُ النبي ﷺ يبكين، عند كل امرأة منهن أهلها، فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملآن من الناس. فجاء عمر بن الخطاب فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له فسلَّم فلم يجبه أحدٌ، ثم سلَّم فلم يجبه أحدٌ، ثم سلَّم فلم يجبه أحدٌ، فناداه فدخل على النبي ﷺ فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا، ولكن آليت منهن شهرًا» «فمكث تسعًا وعشرين ثم دخل على نسائه»[1].

إن إفادة عبداللَّه بن عباس المشار إليها آنفًا تفيد أنه أحد شهود اعتزال النبي ﷺ لنسائه، وهذا يعني بالضرورة أن حادثة الاعتزال وقعت في أواخر السنة الثامنة من الهجرة أو في أوائل السنة التاسعة. ولذلك يجب إعادة الاعتبار لرواية ابن حبان التي أشار فيها إلى أن الاعتزال وقع في السنة التاسعة من الهجرة (9هـ/ 630م).

وتأسِّيسًا على ما تقدم يجب إعادة بناء الحوادث على النحو التالي: إن مشكلة «العسل» وقول الرسول ﷺ إنه لن يذوقه أبدًا حدثت في السنة السابعة من الهجرة أو بعدها بقليل بدليل وجود صفية بنت حُييٍّ طرفًا فيها. وأن حادثة خلو النبي ﷺ بجاريته مارية القبطية وقعت في السنة السابعة أو ربما في السنة الثامنة، وهي المناسبة التي نزلت فيها آية التحريم، أما قصة اعتزال النبي ﷺ لنسائه فقد وقعت في أواخر السنة الثامنة أو أوائل السنة التاسعة من الهجرة.

وتأخذ المواقف الزوجية في بيت الرسول ﷺ مسارًا آخر، ففي هذه المرة تظهر الإشكالية بشأن ميل النبي ﷺ نحو عائشة. إذ كان

(1) البخاري، ص1130 (ح: 5203).

ذلك مصدر قلق بعض أزواجه وغيرتهن، فاجتمعن ذات يوم وطلبن من فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ أن تذهب إلى أبيها وتنقل إليه شكوى نسائه، حيث قالت لأبيها عند مقابلتها له في بيت عائشة: «إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قُحافة»[1]. فقال رسول اللَّه ﷺ: «أي بُنية! ألستِ تُحبين ما أُحبُّ؟» فقالت: بلى. قال: «فأحبي هذه»[2] فرجعت فاطمة إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بما قاله رسول اللَّه ﷺ. ولكنهن لم يقتنعن بما أبلغته إياهن فاطمة، وطلبن منها العودة ثانية وإعادة مطلبهن من الرسول ﷺ فقالت لهن فاطمة: «واللَّه لا أُكلِّمهُ فيها أبدًا»[3].

رَفضُ فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ القيام بسفارة ثانية بشأن مطالب أزواج النبي ﷺ دفعهن للاستعانة بزينب بنت جحش، وهي إحدى الزوجات ذات المكانة الأثيرة لدى رسول اللَّه ﷺ[4]، ذهبت زينب إلى رسول اللَّه ﷺ وهو في بيت عائشة، وبعد أن أذن لها بالدخول، ورسول اللَّه ﷺ لا يزال مع عائشة في مرطها ـ أي كسائها ـ على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فقالت زينب: «يا رسول اللَّه! إنّ أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قُحافة» قالت عائشة: «ثم وقعت بي فاستطالت عليَّ وأنا أرقب رسول اللَّه ﷺ وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها ... حتى رأيت أن رسول اللَّه ﷺ لا

---

(1) العدل في ابنة أبي قحافة: أي يطلبن من رسول اللَّه ﷺ التسوية فيما بينهن في محبة القلب.

(2) مسلم، 4/ 1891 (ح: 2442)؛ ابن سعد، 8/ 171؛ النسائي، 7/ 67 (ح: 3946).

(3) مسلم، 4/ 1891 (ح: 2442)؛ وقارن ابن سعد، 8/ 172.

(4) انظر ابن سعد، 8/ 172؛ مسلم، 4/ 1892 (ح: 2442).

يكره أن أنتصر. قالت: فلمّا وقعتُ بها لم أُنشبها ـ أمهلها ـ حين أنحيتُ عليها، فقال رسول اللَّه ﷺ وتبسَّم «إنها ابنة أبي بكر»[1].

وجاء في رواية أخرى أن زينب دخلت على عائشة بغير إذن، وهي غضبى، ثم قالت: «يا رسول اللَّه! أحسبك إذا قلبت لك بُنية أبي بكر ذُريعتيها (أي ذراعيها) قالت عائشة: ثم أقبلت عليّ، فأعرضتُ عنها، حتى قال النبي ﷺ: «دونك فانتصري» ... فأقبلتُ عليها، حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها، ما ترد عليَّ شيئًا، فرأيت النبي ﷺ ووجهه يتهلل[2].

لم يظهر من الروايات السابقة ما المقصود بالعدل الذي تريده نساء النبي ﷺ بشأن عائشة، إذ إنّ من المعروف بداهة أن رسول اللَّه ﷺ هو أعدل الخلق وأعظمهم إحسانًا، ومَنْ الذي يعدل إذا لم يعدل رسول اللَّه ﷺ؟! ربما كان العدل الذي ينشدنه أزواج النبي هو المساواة بينهن في الميل العاطفي وهذا مناطه القلب، وهو أمر لا حيلة لرسول اللَّه ﷺ فيه، إذ إن ذلك بيد خالق الخلق ومقلب القلوب.

ومما يؤثر عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الشأن قوله: «اللَّهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[3] لذلك فإن نساء

(1) مسلم، 4/ 1892 (ح: 2442)؛ النسائي، 7/ 65ـ66 (ح: 3944).

(2) ابن ماجة، 1/ 637 (ح: 1981)؛ وقارن النسائي، 7/ 65ـ68 (ح: 3946، 3944).

(3) النسائي، 7/ 64ـ65 (ح: 3943) وقارن الترمذي ، 3/ 437 (ح: 1140)؛ أبوداود، 1/ 648ـ649 (ح: 2134) وجاء في حاشية السندي عند النسائي أن المقصود بالعدل الذي تطلبه نساء النبي ﷺ منه: «التسوية، كأن المراد بها التسوية في المحبة أو في إرسال الناس هداياهم، كانوا يتحرون يوم عائشة، وهن كرهن ذلك التخصيص» حاشية 7/ 65؛ وانظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري** =

النبي ﷺ يطلبن منه شيئًا لا يملك له حيلة، إذ إن ذلك بأمر اللّه سبحانه وتعالى.

وربما أن العدل الذي تنشده نساء النبي ﷺ، هو شيء متعلق بما كان يبعث به بعض أصحابه من الهدايا ويتحرون في ذلك يوم عائشة، ويحتمل أن تكون نوعاً من الطعام. فقد جاء عن أم سلمة: أن نساء النبي ﷺ كلمنها أن تكلم النبي ﷺ، أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وتقول له: إنا نحب الخير كما تحب عائشة ... فلمّا كررت عليه مطلب نسائه، قال لها ﷺ: «لا تؤذيني في عائشة، فإنه لم ينزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن، إلّا في لحاف عائشة»[1].

وهكذا فإن كان العدل الذي تطلبه نساء النبي ﷺ هو المساواة في المحبة القلبية والميل العاطفي فهذا شيء ليس بيد رسول اللّه ﷺ بل هو بيد اللّه سبحانه ولا يملك له النبي ﷺ تحويلًا. أما إن كان المقصود بالعدل هنا هو أن يطلب النبي ﷺ من أصحابه الذين يبعثون له بهداياهم، أن يبعثوا بها إليه حيث كان مع أيٍّ من أزواجه ولا يقصرون ذلك على يوم عائشة، فهو مطلب فيه شيء من الحرج.

لذلك فقد أقفل النبي ﷺ الحديث في هذا الباب بقوله لأم سلمة: «لا تؤذيني في عائشة ...» وأحيانًا قد تتحول بعض الحركات العفوية من رسول اللّه ﷺ إلى إثارة مشاعر بعض أزواجه؛ فقد دخل رسول اللّه ﷺ على عائشة في بيتها ذات يوم فوجد عندها زينب بنت جحش،

= **شرح صحيح البخاري**، تحقيق عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثانية (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م)، 9/ 391.

(1) النسائي، 7/ 68ـ69 (ح: 3950) وراجع الحاشية رقم (2) في الموضع نفسه.

فجعل يداعبها، أو كما قالت عائشة: «فجعل يصنع شيئًا بيده»، فنبهته عائشة إلى ما يفعل، فأمسك. فما كان من زينب إلّا أن تثور في وجه عائشة، فأخذ رسول اللَّه ﷺ ينهاها فلم تنته واستمرت في خصومتها مع عائشة. فقال رسول اللَّه ﷺ لعائشة: انتصري، فانتصرت عائشة لنفسها وغلبتها. فما كان من زينب إلّا أن ذهبت إلى بيت فاطمة بنت رسول اللَّه وعندها زوجها عليّ، فقالت لهم: إن عائشة وقعت بكم وفعلت وفعلت. فجاءت فاطمة إلى أبيها تبلغه ما سمعت من زينب فالتفت إليها رسول اللَّه ﷺ، فقال لها بشأن عائشة: «إنها حبة أبيك ورب الكعبة»[1].

وهكذا فإن مجرد حركة عابرة أو مداعبة، كانت كفيلة بأن تحرك كوامن الغَيْرَة ودواعي الغضب لدى بعض أزواج النبي ﷺ، بل إن الأمر أوشك أن يتسبب في مشكلة عائلية بين النبي ﷺ وابنته. ولعل ما يستدعي التقدير هنا هو الطريقة التي عالج فيها رسول اللَّه ﷺ هذا الموقف العابر، فهو أولًا سمح لزينب أن تحتج على ملاحظة عائشة ولكن لما تمادت في الاحتجاج وخرجت عن الحدّ، سمح لعائشة بأن تدافع عن نفسها، فالكل أمامه له الحق في التنفيس عن مشاعره. فلم يهدد زوجتيه بالعقوبة أو بالطلاق أو غير ذلك بل أعطى كل واحدة منهن الحق أن تعبّر عن مكنون صدرها.

ولكن لعل الأمر الأكثر غرابة إن كانت الرواية السابقة قد وصلت إلينا بوجه صحيح هو موقف رسول اللَّه من زينب التي ذهبت إلى بيت فاطمة ونقلت إليها شيئًا مما تكره عن عائشة. إذ إن الرواية لم تقل شيئًا عما فعله رسول اللَّه تجاه زينب بنت جحش. وعندما جاءته فاطمة تعبر

(1) أبو داود، 2/ 691ـ692 (ح: 4898).

له عما ساءها من عائشة اكتفى بالقول: «إنها حبة أبيك ورب الكعبة». ويظهر أن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ قد اكتفت وربما اقتنعت بما قاله لها رسول اللَّه ﷺ فلم تعد لمناقشته في هذا الأمر. حيث قالت: «واللَّه لا أكلمه فيها أبدًا»[1].

ومن المواقف المحرجة التي واجهها رسول اللَّه ﷺ من بعض نسائه، ما يمكن أن يوصف بأنه ضرب من مكائد النساء وهو ما قيل عن زواجه من أسماء بنت النعمان بن أبي الجون الكِنْدية[2].

لقد كثرت الروايات واضطربت كذلك بشأن زواج رسول اللَّه ﷺ من أسماء وسبب طلاقه لها. وإن كان لم يثبت من هذه الروايات ما يقطع بصحته، ومن أقدم الروايات التي تطرقت لهذا الأمر وأسهبت في تفاصيله ما جاء عند ابن سعد عن الواقدي بأسانيد متعددة، أن النعمان قدم على رسول اللَّه ﷺ في المدينة مسلمًا وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة (9هـ/ 630م) فقال لرسول اللَّه ﷺ: «ألا أزوجك أجمل أيِّمٍ في العرب كانت تحت ابن عم لها، فتوفي عنها، وقد رغبت فيك وحَطّت إليك»[3] فتزوجها رسول اللَّه ﷺ، وبعث أبا أُسيد الساعدي[4]، مع النعمان إلى بلاده في نجد ليحضر له أسماء.

---

(1) النسائي، 7/ 65 (ح: 3944).

(2) هي أسماء بنت النعمان بن أبي الجون بن الأسود بن شراحيل بن الجون ابن آكل المرار الكِنْدي. ابن سعد، 8/ 143 ـ 147؛ اختلف في ضبط اسمها وكذلك في سبب فراق رسول اللَّه ﷺ لها. انظر ابن عبد البَر، 4/ 1785 ـ 1786 (ت: 3232).

(3) ابن سعد، 8/ 143.

(4) أبو أُسيد: هو مالك بن ربيعة وقيل هلال بن ربيعة، من بني ساعدة من الخزرج وهو ممن شهد بدرًا. واختلف في وقت وفاته فقيل: سنة ثلاثين، وقيل سنة ستين، =

فلمّا حضرت إلى المدينة، وكانت من أجمل أهل زمانها وأشَبه. قالت عائشة زوج رسول اللَّه ﷺ: «قد وضع -أي رسول اللَّه ﷺ- يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا» لذلك فلمّا رآها نساء النبي ﷺ حسدنها، فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة: أخضبيها أنت وأنا أمشطها. ففعلن. ثم قالت إحداهما لأسماء: إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: «أعوذ باللَّه منك» فلمّا دخل عليها رسول اللَّه ﷺ، وأغلق الباب وأرخى الستر مدّ يده إليها فقالت: «أعوذ باللَّه منك» فقال بكمه على وجهه فاستتر به وقال: «عُذت معاذًا» ثلاث مرات فخرج وقال لأبي أُسيد: «يا أبا أُسيد ألحقها بأهلها ...»[1]. وقال الواقدي: «ولم تستعذ منه امرأة غيرها، وإنما خُدعت لِما رُئي من جمالها وهيئتها، ولقد ذُكر لرسول اللَّه مَنْ حَمَلها على ما قالت فقال رسول اللَّه: «إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم»[2].

وهكذا فلم يُعنِّف أحدًا من نسائه ولم يلق عليهن باللائمة ولم يعاقبهن جراء سوء صنيعهن، بل اكتفى بالإشارة إلى صواحب يوسف اللاتي بمكرهن تسببن في دخول نبي اللَّه يوسف السجن لبضع سنين! ولهذا فإن كيد النساء عظيم، ولم يزد رسول الرحمة والإنسانية على ذلك!!

أما أخطر المواقف وأعظمها، والتي كادت أن تعصف ببيت

= وقيل سنة خمس وستين. وهو آخر من توفي من البدريين، وتوفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة. ابن عبد البر، 4/ 1598 (ت: 2845).

(1) ابن سعد، 8/ 145-146؛ وقارن: ابن حبيب، ص ص94-95؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، 1/ 456-458؛ ابن عبد البر، 4/ 1785-1786 (ت: 3233).

(2) انظر ابن سعد، 8/ 144-145.

النبي ﷺ، فهي المشكلة التي لم يكن للرسول ﷺ ولا لزوجه عائشة يدٌ فيها، إنما هي الصُّدفة، وكانت قدرًا مقدورًا. هذه المشكلة أو الفتنة على وجه أصح هي ما عُرف في القرآن والمصادر التاريخية: بـ «حادثة الإفك» أو «حديث الإفك» وقد أطنبت تلك المصادر في حديثها عنه[1].

والقصة باختصار شديد هي: أن عائشة رافقت رسول اللّه ﷺ في غزوة بني المصطلق، «المريسيع» في السنة الخامسة من الهجرة (5هـ/ 626م) والتي دامت بضعة عشر يومًا، وفي طريق العودة، وفي أحد منازل الطريق، وعندما هَمّ الجيش بالرحيل، ذهبت عائشة لقضاء الحاجة وكان الوقت ليلًا، وعند عودتها وجدت الجيش قد غادر المكان، فلم تجد به داع ولا مجيب. إذ إن المكلفين بجملها وهودجها قد وضعوا الهودج على ظهر البعير وساروا مع الجيش ظنًّا منهم أن عائشة في هودجها، إذ لم يشعروا بثقلها حيث كانت صغيرة السن وخفيفة الوزن.

عندما لم تجد عائشة القوم في المكان تلففت بكسائها وظلت ترقب عودتهم للبحث عنها ظنًّا منها أنهم سرعان ما يعودون ولكن النوم غلبها ولم تستيقظ إلّا على صوت صفوان بن المُعَطَّل؛ الذي كان في ساقة الجيش. تقول عائشة: لم أستيقظ إلّا على استرجاعه؛ أي قوله: «إنا للّه وإنا إليه راجعون» وقَدَم لها الجمل واستأخر عنها حتى استوت عليه، فقاد بها البعير، ولم يدرك القوم إلّا في رابعة النهار. ومن ثم فقد أصبحت تلك الحادثة مادة دسمة تلوكها ألسن المنافقين الذين

---

(1) راجع: القرآن الكريم، (سورة النور:11)؛ ابن هشام، 3/ 317ـ 331؛ الواقدي، 2/ 426ـ438؛ الطبري، 2/ 610ـ619؛ ابن كثير، **سيرة الرسول ﷺ**، ص ص108ـ 111؛ ابن قيم الجوزية، 3/ 225ـ236.

يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، وكان الذي تولى كِبَر ذلك زعيم المنافقين في المدينة: عبدالله بن أُبيّ ابن سلول، وحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وحمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة أحد أقرباء أبي بكر الصديق وغيرهم.

القصة بكامل تفاصيلها مبثوثة في كتب الصحاح ولعل أشهر من بسط القول فيها الإمام البخاري وكذلك الإمام مسلم(1). يتبين من عرض حديث الإفك عند الإمامين وكذلك بقية المصادر أن واقعة الإفك تدور في حوادثها على «عقد عائشة» الذي اضطربت روايات المحدثين والمؤرخين بشأنه.

فقد جاء عند مالك رواية عن عائشة، أنها كانت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى كانوا بذات الجيش أو البيداء، فانقطع عقدها، فأقام رسول الله ﷺ لالتماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وأصبح الناس على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا. فقال أُسيد ابن الحُضير: «ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر» قالت عائشة: «فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه فوجدنا العقد تحته»(2).

وجاء عند مسلم بسنده عن عائشة؛ أنها استعارت من أسماء [أختها] قلادة، فهلكت ـأي ضاعت ـ فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة. فصلوا بغير وضوء. فلمّا أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه. فنزلت آية التيمم.فقال أُسيد بن الحُضير:

---

(1) البخاري، ص ص852ـ856 (ح: 4141)؛ مسلم، 4/ 2129ـ2136 (ح: 2770)، وقارن النيسابوري، ص ص172ـ176.

(2) مالك، ص ص53ـ54 (ح: 89)؛ البخاري، ص ص71ـ72 (ح: 344)؛ مسلم، 1/ 279 (ح: 367)؛ النسائي، 1/ 167 (ح: 310).

جزاك اللَّه خيرًا فواللَّه! ما نزل بك أمرٌ قط -يعني عائشة- إلّا جعل اللَّه لك منه مخرجًا وجعل للمسلمين بركة[1].

لعل ما يسترعي الاهتمام هنا هو أن هاتين الروايتين المتعارضتين تقريبًا، تتحدثان عن فقدان عقد عائشة، فالرواية الأولى تفيد بأنه تمّ العثور على العقد تحت بعير عائشة بعد بعثه من مبركه! بينما جاء في الرواية الثانية أنه لما فُقد العِقْد بعث رسول اللَّه ﷺ ناسًا من أصحابه للبحث عنه، ولم تذكر شيئًا فيما إن كانوا قد عثروا عليه أم لا.

الرواية الأولى تشير إلى المكان الذي فُقدَ فيه العِقد أو القلادة؛ وهو ذات الجيش أو البيداء - مواقع غير بعيدة من المدينة -. أما الرواية الثانية فلا تذكر شيئًا عن مكان فقدانه، وكذلك فإن الرواية الأولى تذكر أن عائشة كانت مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره ولم تفصح عن وجهة ذلك السفر أو القصد منه وكذلك الرواية الثانية لم تذكر شيئًا عن السفر أو وقته أو وجهته.

أما رواية ابن حنبل وهي الثالثة، فتتحدث عن ضياع قلادة عائشة، وأنهم كانوا في طريق عودتهم من السفر مع رسول اللَّه ﷺ، وأن القلادة فُقدت بموضع يقال له «تُربان»[2] بينه وبين المدينة بريد وأميال.

---

(1) مسلم، 1/ 279؛ ابن ماجة، 1/ 188 (ح: 568)؛ الدارمي، 1/ 208 (ح: 746)؛ ابن حنبل، 6/ 57.

(2) تُرْبَانُ: وادٍ بين ذات الجيش ومَلَل والسيالة على المحجة-الطريق-نفسها، فيه مياه كثيرة نزلها رسول اللَّه ﷺ،في طريق غزوة بدر. ياقوت، 2/ 20 مادة «ترب»؛ وتُربان: وادٍ من روافد وادي مَلَل، يأخذ من ثنايا مفرّحات على «24» كيلًا، عن المدينة ثم يدفع جنوبًا غربيًّا حتى يصبّ في فرش مَلَل، يأخذه الطريق من المدينة إلى مكة، من رأسه إلى مصبّه. البلادي، ص ص61-62.

وأن رسول اللَّه ﷺ حبس الناس لالتماسه حتى طلع الفجر، وليس مع القوم ماء. فأنزل اللَّه الرخصة في التيمم، فتيمّم القوم فصلوا. فقال لها أبوها أبو بكر: «واللَّه! يا بُنية إنك لمباركة، ماذا جعل اللَّه للمسلمين من حبسك إياهم من البركة واليُسر»(1).

يتبين بجلاء أن الرابط المشترك بين الروايتين الأوليين هو: فقدان العقد أو القلادة وأن نزول آية التيمم كان بمناسبة تلك الحادثة، وأن الصحابي أُسيد بن الحُضير هو القائل لعائشة: «جزاك اللَّه خيرًا ...» في كلتا المناسبتين أما رواية ابن حنبل فتشترك مع الروايتين السابقتين في أمر ضياع العقد أو القلادة، ونزول آية التيمم ولكنها تختلف عنهما في مكان ضياع العقد وهو «تُربان» وأن ذلك حدث في طريق عودتهم من السفر. وتختلف عن الروايتين أعلاه بأنها لا تذكر أُسيد بن الحُضير. وتذكر بدلًا عنه أبا بكر الصديق وأنه هو الذي بادر بالثناء على ابنته وأنها مباركة. وتظل المشكلة في الروايات الثلاث أنها لم تفصح عن جهة السفر الذي قدم منه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه وهل كان له علاقة بغزوة بني المصطلق أم لا؟.

والذي يمكن التأكيد عليه مما سبق من الروايات هو أنها جميعها لا علاقة لها بأمر حديث الإفك. وأن سبب نزول آية التيمم لا صلة لها بشأن حديث الإفك(2). وهذا يعني أن ضياع عقد عائشة أو قلادتها قد حدث أكثر من مرة!

إذا أصبح هـذا واضحًا للقارئ، فـإن المفاجـئ في الأمـر هو ما

(1) ابن حنبل، 6/ 272.

(2) انظر النيسابوري، ص ص173 ـ 175.

يسوقه الواقدي من رواية بهذا الشأن. ففي سياق حديثه عن غزوة بني المصطلق ـ المريسيع ـ، ذكر أن عائشة وأم سلمة قد رافقتا رسول اللّه ﷺ في تلك الغزوة، وأن عقد عائشة أي قلادتها قد فقدتها مرتين وهم في طريق عودتهم من الغزوة. ففي المرة الأولى التي فُقدت فيها القلادة، حبس رسول اللّه ﷺ الناس لالتماسها حتى أصبحوا، والناس على غير ماء. وقال أُسيد بن الحُضَير: «واللّه، إني لأرجو أن تنزل لنا رخصة»؛ ونزلت آية التيمم[1]. ثم إنه لما دنى المسلمون من المدينة، باتوا بعض الليل ثم نادى رسول اللّه بالرحيل، وذهبت عائشة لحاجتها متقدمة الجيش، وفي هذه الأثناء فقدت عقدها، ـ الذي أدخلتها أمها فيه على رسول اللّه ﷺ ـ فحبسها التماسه ولما عادت إلى العسكر وجدتهم قد ارتحلوا ... ثم جاء صفوان بن المُعَطَّل الذي كان في ساقة الجيش وحمل عائشة على بعيره ولم يدرك العسكر حتى اشتَّد الضحى من اليوم التالي، فارتَّج العسكر وقال أصحاب الإفك الذي قالوا[2].

اللافت في الأمر أن الواقدي هو المصدر الوحيد الذي أشار إلى أن عائشة لم تكن وحدها في تلك الغزوة بل كانت ترافقها أم سلمة، وهذا خلاف ما صرحت به بعض المصادر الموثوقة، حيث تذكر أن عائشة هي الزوجة الوحيدة المرافقة لرسول اللّه ﷺ في ذلك السفر[3].

(1) الواقدي، 2/ 426ـ427.

(2) المصدر السابق نفسه، 2/ 428ـ429.

(3) البخاري، ص ص852ـ853؛ ص1004 (ح: 4750) كتاب التفسير؛ مسلم، 4/ 2129ـ2130 (ح: 2770)؛ ابن هشام، 3/ 325؛ الطبري، تاريخ، 2/ 611؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، 6/ 193.

ومما يلاحظ على هذه الرواية كذلك الزعم بأن عائشة فقدت عقدها مرتين في تلك الغزوة. وفي حديث ابن سعد عن غزوة بني المصطلق، ذكر أن عائشة وأم سلمة كانتا ترافقان رسول اللّه ﷺ في تلك الغزوة. وقال أيضًا إنه سقط عقد لعائشة في ذلك السفر، ونزلت آية التيمم، وفيه كان حديث عائشة، وقول أهل الإفك فيها[1].

ويظهر من حديث ابن سعد عن غزوة بني المصطلق ـ المريسيع ـ أنه ينقل عن شيخه الواقدي، وإن لم يشر إليه، وروايته في الوقت نفسه مختصرة خالية من التفاصيل خلاف رواية الواقدي.

ولعل ما يدعو إلى التساؤل في هذا السياق أن حديث ابن إسحاق عن هذه الغزوة جاء خاليًا تمامًا من الإشارة إلى نزول آية التيمم، ولم يذكر كذلك فقدان عقد عائشة مرتين، بل ذكر أن حديث الإفك كان مرتبطًا بفقدان العقد[2]. بل لعل ما يزيد الأمر التباسًا، أن الطبري في حديثه عن الغزوة لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى نزول آية التيمم، إذ تحدث بإسهاب عن الغزوة وعن فقدان عائشة لعقدها وعن حديث الإفك[3].

وتأسيسًا على ما سبق وبالعودة إلى الروايتين الأوليين اللتين ذكرتهما عدد من المصادر واللتين تشيران إلى ضياع عقد عائشة في مناسبتين، ولم يجر الإفصاح عنهما. ذكر أحد المصادر أن روايتي ضياع عقد عائشة كان في حقيقة الأمر مرة واحدة لا أكثر. وربما كان

(1) ابن سعد، 2/ 64 ـ 65.

(2) انظر ابن هشام، 3/ 317 ـ 331؛ «خبر الإفك» ص ص325 ـ 331.

(3) الطبري، تاريخ، 2/ 604 ـ 610 (حديث الإفك: 610 ـ 619)؛ وانظر ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2/ 192 ـ 199؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، 6/ 181 ـ 202.

حدوثها في ذات الجيش، ـ القريب من المدينة ـ. إذ إن القرطبي في عرضه للروايات المختلفة ـ حول نزول آية التيمم ـ أشار إلى الروايتين الأوليين اللتين جاءتا عند مالك ومسلم بشأن فقدان عائشة لعقدها أي قلادتها. وقال: لا تعارض في الروايتين فهما تتعلقان بحادثة واحدة وهي أنه عندما بعث رسول اللّه ﷺ رجالًا للبحث عن القلادة، حضر وقت الصلاة ولا يجدون ماءً، فعادوا إلى رسول اللّه ﷺ وأخبروه أنهم صلوا بغير وضوء وأنهم لم يجدوا القلادة. فنزلت آية التيمم في هذه المناسبة. ويضيف القرطبي إلى ما سبق وأنه عندما همّ القوم بالرحيل، وبعثوا جمل عائشة، وجدوا القلادة تحته[1]. لذلك فليس من المستبعد أن الحادثة حصلت في غزوة أُخرى ونزلت آية التيمم بشأنها[2].

إن الروايات بشأن نزول آية التيمم في واقع الأمر كثيرة ومن الصعوبة بمكان الجزم بأي منها؛ ومن المستبعد أن تكون قلادة عائشة فُقدت مرتين في غزوة بني المصطلق «المريسيع»؛ والذي لا خلاف عليه، هو أن القلادة أو العِقْد، فُقد مرة واحدة في غزوة المريسيع، وكان تأخر عائشة عن الجيش واحتباسها في ابتغائه، كان سببًا في حديث الإفك.

هذا الاستنتاج يقود بالضرورة إلى التوقف في قبول رواية الواقدي

---

(1) القرطبي، 3/ 150؛ وقارن ابن كثير، **مختصر التفسير**، 1/ 398ـ399.

(2) جاء عند القرطبي أن المكان الذي فُقدت فيه قلادة عائشة، يقال له: «الصُّلصُل»، وقيل «الصَّلصَل». القرطبي، 3/ 150؛ وقال القرطبي في الموضع نفسه، نقلًا عن الترمذي أن المكان الذي فقدت فيه قلادة عائشة هو: «الأبواء» ولكن عند العودة إلى غزوة الأبواء لم تذكر المصادر شيئًا عن عقد عائشة. انظر ابن هشام، 2/ 302؛ الواقدي، 1/ 11ـ12؛ ابن سعد، 2/ 10.

التي أشار فيها إلى ضياع عقد عائشة مرتين في غزوة بني المصطلق وأن آية التيمم نزلت بشأن تلك الحادثة.

وإجمالًا، فإنه يمكن السؤال: لماذا هذه الزوبعة التي أثارها المنافقون حول ما حدث لعائشة في تلك الغزوة واضطرارها للتخلف عن الجيش؟

يجب أن نتذكر أن عائشة في غزوة بني المصطلق، كانت صبية صغيرة ربما لم تتجاوز الثالثة عشرة من العمر، صغيرة السن خفيفة الوزن. فما الذي يمنع من أن تفقد قلادتها، وتنشغل في البحث عنها؟ لأن أهمية القلادة، كونها مرتبطة بذكرى زواجها من رسول اللَّه ﷺ، كما جاء عند الواقدي، لذلك فعائشة حريصة كل الحرص على البحث عنها أو أن أهمية القلادة تعود لأنها قلادة مستعارة من أختها أسماء كما جاء في إحدى روايات مسلم، وهذا أيضًا وجه من وجوه الحرص على العثور على القلادة وإعادة العارية لصاحبتها.

ثم يجب ألا يغيب عن البال الظرف الزمني الذي انفصلت فيه عائشة عن الجيش أي إن ذلك كان في عماية الليل، ومن الطبيعي ألا يتنبه أحدٌ إلى ذهاب عائشة لقضاء حاجتها ومن ثم فقدانها لقلادتها، ولا إلى عودتها. إذ إنها ذهبت بمفردها ولم يكن معها من النساء من يرافقها؛ وهذا بخلاف ما جاء عند الواقدي من أن أم سلمة كانت ترافق رسول اللَّه ﷺ في تلك الغزوة إلى جانب عائشة[1]. إذ إن معظم المصادر التي تناولت غزوة بني المصطلق وقصة حديث الإفك، كانت

(1) انظر الواقدي، 2/ 426.

تؤكد أن عائشة كانت هي الوحيدة التي وقع عليها سهم الخروج مع رسول اللَّه ﷺ[1]. ولو كانت أم سلمة مرافقة لعائشة في تلك الغزوة كما جاء عند الواقدي لافتقدتها وطلبت البحث عنها[2]. وكان من غير المستغرب في الوقت نفسه ألا يفتقدها من كُلفوا بترحيل بعيرها حيث إنها تجلس في الهودج، ثم يضعونه على ظهر الجمل؛ ونظرًا لأن مسير الجيش كان في الليل ونظرًا لخفة وزن عائشة فإن المكلفين بها لم يشعروا بفقدانها فوضعوا الهودج على ظهر الجمل وساروا ظنًّا منهم بأنها في هودجها.

عادت عائشة إلى معسكر الجيش بعد أن عثرت على قلادتها ولم تجد أحدًا فانتظرت حتى مرّ بها صفوان بن المُعَطَّل وسار بها حتى لحق بالقوم في نهار اليوم التالي. ولو كان صحيحًا ما رُميت به عائشة من سوء الظن لما رضيت أن تعود مع صفوان لأنها بذلك تُشهد الملأ على نفسها وما ارتكبته من السوء! وكذلك الأمر بالنسبة لصفوان وربما قيل: ولماذا لم يفتقدها رسول اللَّه ﷺ؟ والجواب عن ذلك يسير وهو أن الرسول ﷺ كان مهمومًا بمقولة رأس المنافقين عبداللَّه بن أُبي بن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[3][4]. لذلك فقد كان رسول اللَّه ﷺ يواصل المسير طيلة الليل

(1) البخاري، ص ص852ـ856 (ح: 4141)؛ مسلم، 4/ 2129ـ2136 (ح: 2770)؛ النيسابوري، ص ص173ـ176.

(2) الواقدي، 2/ 428.

(3) النيسابوري، ص240؛ وانظر مناسبة مقولة ابن أُبيٍّ عند: ابن هشام، 3/ 318ـ319؛ الواقدي، 2/ 415ـ417؛ ابن سعد، 2/ 64ـ65.

(4) سورة المنافقون، الآية: 8.

والنهار في طريق عودته إلى المدينة، حتى لا ينشغل الناس بمقولة ابن أُبيٍّ فيكون بينهم من الفرقة والشحناء ما لا تحمد عقباه؛ وربما لهذا السبب لم يشعر بتخلف عائشة، اعتمادًا على من أوكل إليهم الاهتمام بأمرها. هذا إضافة إلى انشغاله ﷺ بهموم الأمة كلها، فالكل يرجع إليه في صغير الأمور وكبيرها.

وبعد أن أدركت عائشة القوم في ضحى اليوم الثاني برفقة صفوان ابن المُعَطَّل، سرت بين المنافقين شائعة الإفك، واتهموا عائشة بشرفها وعفتها! وأصبحت حديثًا تلوكه ألسن المنافقين من أهل المدينة. واستمرت قالة السوء هذه ما يزيد على الشهر، وعائشة لا تدري شيئًا مما يدور حولها ويقال عنها، حيث إنها مجرد أن وصلت المدينة أصبحت مريضة طريحة الفراش(1).

وفي الوقت ذاته كان النبي ﷺ يعاني ما يعانيه مما يُشاع عن أحب أزواجه إليه وأقربهن إلى قلبه، ومما زاد من محنة رسول الله ﷺ خلال تلك الشائعة أن الوحي استلبث، فلم يأت شيء من خبر السماء بشأن الإفك، وبسبب تأخر الوحي وبسبب ما يلهج به المنافقون عن عائشة وما يرمونها به من فاحش القول؛ استشار النبي ﷺ بعض أصحابه المقربين مثل: علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد عن رأيهم في عائشة وحتى زينب بنت جحش، وقيل: أيضًا استشار بعض من يخدمن في بيته وكل من هؤلاء قد أثنى عليها وقال عنها خيرًا(2).

---

(1) البخاري، ص853 (ح: 4141)؛ مسلم، 4/ 2131 (ح: 2770)؛ ابن هشام، 3/ 426ـ427؛ الواقدي، 2/ 429؛ وقارن الترمذي، 5/ 332ـ335 (ح: 3180).

(2) ابن هشام، 3/ 329؛ الواقدي، 2/ 430؛ ابن قيم الجوزية، 3/ 226ـ228؛ النيسابوري، ص174.

لقد مرّ شهر ونيف على قالة السوء تجرع خلالها النبي ﷺ من الغصص والآلام ما اللَّه به عليم جزعًا مما رُميت به أعزّ أزواجه إليه وأقربهن إلى قلبه، وابنة الصديق أقرب أصحابه إليه وأحبّهم إلى نفسه. وما من شك أن الصديق وأهل بيته كانوا يواجهون محنة الإفك وما يقال عن ابنتهم من سوء، بصبر وإيمان، قال أبو بكر في سياق هذه المحنة: «فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر. واللَّه ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد اللَّه ولا ندعو له شيئًا، فيقال لنا في الإسلام!»[1].

وأخيرًا، وبعد شهر ونيف، كان رسول اللَّه ﷺ في زيارة بيت أبي بكر، حيث كانت عائشة، وكاشفها بحقيقة ما يُشاع عنها من سوء، وطلب منها التوبة والاستغفار إن كانت قد ألمت بشيء من ذلك. لكن عائشة استنكرت ما قيل عنها، وانخرطت بنوبة من البكاء ودافعت عن نفسها؛ وفي هذه الأثناء نزل الوحي على رسول اللَّه ﷺ وهو لا يزال بجانب زوجته وفي بيت أهلها، فبشرها رسول اللَّه ﷺ ببراءتها من السماء وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ثم خرج رسول اللَّه ﷺ إلى الناس في المسجد وتلا عليهم ما نزل من الوحي ببراءة عائشة؛ ثم أمر بإقامة الحدّ على من أشاعوا وأذاعوا حديث الإفك، حيث أمر بمسطح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت وحمنة

---

(1) الواقدي، 2/ 433.

(2) سورة النور، الآية: 11.

بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فَضُرِبوا حدّهم[1]. واستُثني من الحد رأس النفاق عبداللَّه بن أُبيِّ ابن سلول، قيل إن رسول اللَّه ﷺ ترك حدَّهُ لمصلحة هي أعظم من إقامته، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارًا، وهي تأليف قومه ... وقيل في ذلك أسباب أُخرى[2].

(1) ابن هشام، 3/ 330؛ الواقدي، 2/ 434؛ ابن قيم الجوزية، 3/ 231.

(2) انظر ابن قيم الجوزية، 3/ 230 ـ 231.

الخاتمة

خلاصة الأمر أنه إذا أُمِعنَ النظر في زواج الرسول ﷺ من كل واحدة من أزواجه، وملابسات ذلك الزواج يتضح أنه لم يكن نتيجة رغبة طارئة أو نزوة جنسية غالبة، وإنما كان لكل حالة زواج ظروفها، الإنسانية والاجتماعية والسياسية الخاصة. وعلى وجه الاختصار يمكن القول:

أولًا: إنه من المعروف لدى دارس السيرة النبوية، أن الرسول ﷺ أمضى مع زوجته الأولى خديجة بنت خويلد أكثر من عشرين سنة وهي التي تكبره بخمس عشرة سنة تقريبًا! ومما يدعو للإعجاب والإكبار في الوقت ذاته، أنه بعد وفاة خديجة لم يلتفت رسول اللَّه ﷺ إلى فتيات قريش الموصوفات بالجمال البارع والحُسن الفائق، وإنما وقع اختياره على امرأة مسنة وأرملة من مهاجرات الحبشة، فبعد عودتها من هجرتها ووفاة زوجها في مكة تزوجها رسول اللَّه ﷺ تلك هي السيدة: سودة بنت زمعة.

أما عائشة بنت أبي بكر وهي أصغر أزواج رسول اللَّه ﷺ، حيث خطبها إلى أبيها وهي في سن السادسة ودخل بها في المدينة وهي في

سن التاسعة، فإن الروايات التي تمّ الرجوع إليها تكاد تؤكد أن الزواج من عائشة على صغر سنها، لم يكن خيارًا شخصيًّا ورغبة ذاتية، بل هو زواج باركته السماء، إذ أُريَ صورتها في المنام أكثر من مرة. ثم إن زواج رسول اللّٰه ﷺ، منها كان فيه تكريم لأبيها الصديق، لمواقفه الصادقة من النبي ﷺ ودعوته.

وكذلك الأمر بالنسبة لحفصة بنت عمر بن الخطاب، فقد تأيمت من زوجها خُنيس بن حذافة السهمي في السنة الثالثة من الهجرة، ولم تكن قد جاوزت العشرين من العمر، وعرضها أبوها على كل من أبي بكر ثم عثمان بن عفان فلم يلق منهما جوابًا، فشكاهما إلى رسول اللّٰه ﷺ، فأكرمه رسول اللّٰه ﷺ بالزواج منها. وعلى ما يظهر فلم يكن زواج النبي ﷺ من حفصة بدافع من جمالها، فقد شهد والدها عمر بأنه لا يمكن لها أن تسامي بنت أبي بكر، فزواج رسول اللّٰه منها كان في أغلب دوافعه إكرامًا لخاطر أبيها عمر بن الخطاب.

وفيما يتصل بزواج الرسول ﷺ من أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية، فله ظروفه وأسبابه، حيث إن أم سلمة قد هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى بلاد الحبشة في الهجرتين جميعًا، ثم عادا إلى مكة ومن بعدُ إلى المدينة، وفي السنة الرابعة من الهجرة توفي أبو سلمة، وتأيّمت أم سلمة على أربعة أطفال، ومعلوم أن زوجها أبا سلمة هو ابن عمة رسول اللّٰه ﷺ، فكان له في نفس الرسول ﷺ مكانة خاصة، فأحبّ أن يضم زوجه وأبناءه تحت جناحه ولطف رعايته، فكان زواجه من أم سلمة، المرأة التي ناهزت حينها الخامسة والثلاثين، وليس فيها مطمع لطامع. وليس من المستبعد أن زواج رسول اللّٰه ﷺ من أم سلمة

إضافة لما سبق من أسباب أن السبب السياسي لم يكن غائبًا؛ إذ إن أم سلمة من بني مخزوم وهم من بيوتات قريش نافذة الكلمة.

أما زينب بنت جحش، فهي كذلك ابنة عمة رسول اللَّه ﷺ، وكان زواجها من زيد بن حارثة على غير إرادة منها ولكن استجابة لقضاء اللَّه ورسوله، فانصاعت لهذا القضاء صابرة ومحتسبة، ثم نشأ الخلاف بين الزوجين كما كان متوقعًا لعدم التوافق بينهما فكان طلاق زيد لها، ثم كان زواج رسول اللَّه ﷺ منها بأمر من السماء، حيث نزل القرآن بذلك.

وزواج رسول اللَّه ﷺ من جويرية بنت الحارث وكذلك صفية بنت حُييٍّ فهما حالتان تحكمهما ظروف واحدة أو متشابهة، فكلتا المرأتين كانتا أسيرتي حرب، وكلتاهما ابنتا سيِّديْ قومهما: الحارث ابن أبي ضرار سيد بني المصطلق، وحُييِّ بن أخطب سيد بني النضير، فأراد الرسول ﷺ أن يشملهما بعطفه ويظلهما تحت جناح رحمته ويرفعهما من ذُل الأسر، إلى مصاف أمهات المؤمنين، ولا مجال هنا لإنكار أنهما كانتا من أجمل نساء زمانهما، وذلك بشهادة أم المؤمنين عائشة وكذلك أم سلمة، ولكن من شبه المقطوع به أن جمال الفتاتين وحده لم يكن العامل الحاسم في قرار الرسول ﷺ بالزواج منهما، بل لا بدّ وأن الاعتبارات الإنسانية والسياسية كان لهما فعلهما وأثرهما.

ثم إن زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان، كانت له مسوغاته الخاصة، فأم حبيبة قد هاجرت مع زوجها عُبيد اللَّه بن جحش إلى بلاد الحبشة، وبعد حين تنصر زوجها هناك وثبتت أم حبيبة على إسلامها، وقاست ما قاسته من مرارة ردة زوجها عن الإسلام،

ومعاناة الغربة وغصصها، فما أن علم رسول اللَّه ﷺ بمحنتها حتى بادر بكل شهامة إلى طلب الزواج منها، سيما وأنها لو عادت إلى مكة فلن تُستَقْبلَ استقبالًا كريمًا من أهلها، حيث كانوا جميعهم على الشرك ويناصبون الإسلام العداء. ويجب عدم استبعاد العامل السياسي وراء زواج رسول اللَّه ﷺ من أم حبيبة إذ إن والدها أبو سفيان كان سيد مكة، لذلك فإن زواج رسول اللَّه ﷺ من ابنته قد يؤثر إيجابًا على موقفه وقومه من الإسلام.

وتُعَدُّ ميمونة بنت الحارث الهلالية، آخر أزواج النبي ﷺ، وهي أخت أم الفضل زوج العباس عم الرسول ﷺ، وهي في الوقت ذاته خالة خالد بن الوليد المخزومي، وخاله عبداللَّه بن عباس، وهي أخت أسماء بنت عميس لأمها، زوج جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عُميس زوج حمزة بن عبدالمطلب، وهي امرأة مسنة حيث سبق لها قبل الزواج من رسول اللَّه ﷺ، أن عرفت الحياة الزوجية مع أكثر من زوج! ولا يستبعد أنها كانت ذات أولاد. لذلك فربما أن زواج رسول اللَّه ﷺ منها كان بسبب المسوغات التي سبقت الإشارة إليها أو لأسباب أخر لا نعلمها.

ثانيًا: يتبين مما سبق عرضه من روايات للمواقف التي وقعت من بعض أزواج النبي ﷺ والتي كانت سببًا في تعكير صفو الحياة الزوجية، هو أن الغَيْرَة كانت المحور الرئيس الذي كانت تدور عليه؛ حيث إن التنافس بين أزواج النبي ﷺ على الاستئثار بحبه وكسب وده هو المحرك الأساس لكل ما حدث، ومما تجب ملاحظته هنا هو أن ما تمّ التعرف عليه في هذه الدراسة ليس حصرًا دقيقًا لتلك المواقف بل هو بعض منها إذ إن أُسرة كبيرة بهذا الحجم لا يمكن حصر ما يصدر

عنها من مواقف انفعالية بعدد محدود، وما تمّ عرضه هنا ما هو إلّا مجرد أمثلة؛ إذ إن الهدف هنا هو التعرف على بعضها، وكيفية معالجة رسول اللَّه ﷺ لها. وقد تكفل القرآن الكريم بالإشارة إلى بعضها وتقديم الحلول لها؛ حيث إن لها صلة بالتشريع مثل: «قصة العسل»، و«حديث الإفك»، «والخلوة بمارية» أو المطالبة ببعض الأمور المادية مثل «الكسوة أو النفقة».

وفي الوقت ذاته فإنه يجب ألا يغيب عن البال، أن عائشة أم المؤمنين وحبيبة رسول اللَّه ﷺ، كانت طرفًا مباشرًا أو غير مباشر في كل ما تمّ التعرف عليه من تلك المواقف تقريبًا!.

أما بقية أزواج النبي ﷺ فقد كان لهن نصيبهن من تلك المواقف ولكن بدرجات متفاوتة ولا تقارن بنصيب عائشة منها. ولا بد وأنّ النبي ﷺ قد شعر بذلك وكان كثيرًا ما يتغاضى ويصرف النظر عما يصدر منها، إدراكًا منه لبعض الجوانب في شخصية عائشة؛ ومنها حساسيتها المفرطة وغيرتها الشديدة، ولعل ما يشفع لها لدى رسول اللَّه ﷺ هو صغر سنها، إذ إنها أصغر أزواجه سنًّا على الإطلاق، وهي في المقام الأول ابنة الصدِّيق.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت عائشة الزوجة المفضلة والحبيبة الأثيرة لدى رسول اللَّه ﷺ وكفى عائشة فخرًا أن رسول اللَّه ﷺ فارق الحياة وهو بين سحرها ونحرها ودُفن في بيتها.

أما الشيء الذي تجب الاستفادة منه في هذا العرض الوجيز لبعض المواقف الزوجية في بيت الرسول ﷺ؛ فهو أن العلاقة الحميمة بين النبي ﷺ وأزواجه ظلت قوية ومتماسكة، على الرغم من كل ما

اعترضها من منغصات، فلم يصدر عن رسول اللَّه ﷺ تجاه أيٍّ من أزواجه تعنيفًا لفظيًّا أو عقوبة بدنية، أو طلاقًا باتًّا إن كل ما كان يصدر عنه ﷺ في هذا الشأن مجرد ردود أفعال تجاه بعض تلك المواقف الانفعالية الطارئة مثل: الصمت وكظم الغيظ والتسامح، أو استعطاف التي صدر منها ما يعكر الصفو، أو الاعتذار الجميل إذا كان للاعتذار محلٌّ.

وغاية ما فعله رسول اللَّه ﷺ مقابل ما صدر من بعض أزواجه مما يثير الغضب كان الاحتجاج الصامت، واعتزالهن وهجرهن لما يقارب الشهر. وكفى بها من عقوبة تأديبية لجميع أزواجه! بل إنه حتى لما ابتُلي بالتشكيك في شرف وعفة أحبّ أزواجه إليه، في حديث الإفك، ولاكته ألسن المنافقين في المدينة، لم يبادر إلى عقوبة عائشة أو طلاقها، ولم يسارع إلى عقوبة أهل الإفك، بل ظل صابرًا، رابط الجأش يتجرع آلام هذه الفرية القبيحة لمدة أربَتْ على الشهر حتى جاء الفرج الإلهي من السماء ببراءة عائشة وفضح المنافقين وإنزال العقوبة التي يستحقونها.

إن الشيء الذي يجب الخلوص إليه هنا هو أن تعامل رسول اللَّه ﷺ مع ما قد يصدر من بعض أزواجه من مواقف، انفعالية والأساليب التي لجأ إليها في معالجتها. مدرسة يجب الولوج إليها واستيعاب الدروس منها، ولا غرابة في ذلك فهو الأسوة الحسنة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

(1) سورة الممتحنة، الآية: 6.

مسرد المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، **أُسد الغابة في معرفة الصحابة،** تحقيق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1418هـ/ 1997م).
- ......، **الكامل في التاريخ،** تحقيق: كارلوس جوهانس تورنبرج «نسخة مصورة» (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د. ت).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر،** تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي (بيروت: دار الفكر، د. ت).
- ابن إسحاق، محمد، **السِّير والمغازي،** تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى (د. م، دار الفكر، 1398هـ).
- ابن إسماعيل، حماد بن إسحاق، **تركة النبي ﷺ والسُّبل التي وجهها فيها،** تحقيق: أكرم ضياء العُمري، الطبعة الأولى (د. م، د. ت، 1400هـ).

- الأصفهاني، أحمد بن عبدالله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).

- الألمعي، زاهر عواض، **مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش**، الطبعة الثانية (القاهرة، البابي وشركاه، 1396هـ/ 1976م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى (الرياض، دار السلام، 1417هـ/ 1997م).

- البلادي، عاتق بن غيث، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، الطبعة الأولى (مكة، دار مكة للطباعة، 1402هـ/ 1982م).

- البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمد حميدالله، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت) الجزء الأول.

- ......، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالله وعمر أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، 1407هـ/ 1987م).

- البكري، عبدالله عبدالعزيز الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ/ 1996م).

- البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ/ 1985م).

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سُنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وجماعة، الطبعة الثانية (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1398هـ).

- ابن جماعة، عبدالعزيز بن محمد، **المختصر الصغير في سيرة البشير النذير**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، 1408هـ/ 1988م).

- الجميل، محمد بن فارس، **الهجرة إلى الحبشة: دراسة مقارنة للروايات**، الطبعة الثانية (الرياض: دار الفيصل، 1425هـ/ 2004م).

- ......، الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة عشرة، (1416 ـ1417 هـ/ 1996ـ1997م).

- ......، «حلية النساء في عصر الرسول ﷺ»: دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوي الشريف، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج7، الآداب (1)، (1415هـ/ 1995م) ص ص110 ـ75.

- ......، **بيوت النبي ﷺ وحجراتها وصفة معيشته فيها: «بيت عائشة أُنموذجًا»**، الطبعة الأولى (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1431هـ/ 2010م).

- ابن جنيدل، سعد، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري** (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1419هـ/ 1999م).

- ابن حبان، محمد بن حبان البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق: السيد عزيز بك وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ/ 1987م).

- ابن حبيب، محمد، **المُحَبَّر**، تحقيق: إليزه ليختن شنيتر (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د. ت).

- ابن حزم، علي بن أحمد سعيد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، الطبعة الثانية (دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م).
- الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون** (د. م، د. ن، د. ت).
- ابن حنبل، أحمد بن عبداللَّه، **المسند** (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ت).
- الخطيب، عبدالكريم محمود، «الجار ميناء المدينة القديم ـ البريكة حاليًا»، **مجلة الدارة**، العدد الرابع، السنة التاسعة، رجب 1404هـ، ص ص72 ـ 66.
- خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية (الرياض: دار طيبة للنشر، 1405هـ/ 1985م).
- الدارمي، عبداللَّه بن عبدالرحمن، **سُنن الدارمي**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان للتراث، 1407هـ).
- أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سُنن أبي داود**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجنان، 1410هـ/ 1990م).
- الدُّمياطي، عبدالمؤمن بن خلف، **كتاب نساء رسول اللَّه ﷺ وأولاده ومن سالفه من قريش**، تحقيق: فهمي سعد (بيروت: عالم الكتب، 1409هـ/ 1989م).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سِير أعلام النبلاء**، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، الطبعة التاسعة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ/ 1993م).

- الرازي، فخر الدين، **التفسير الكبير أو مفاتح الغيب** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/ 1990م).

- ابن زَبَالة، محمد بن الحسن، **منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ رواية الزبير بن بكار**، تحقيق: أكرم ضياء العمري (المدينة المنورة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، 1401هـ/ 1981م).

- الزبيري، المصعب بن عبداللّه، **كتاب نسب قريش**، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

- زكريا، عمر أحمد، **حياة النبي ﷺ في بيته**، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 2011م).

- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1995م).

- الزهري، محمد بن مسلم، **المغازي النبوية**، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر، 1400هـ/ 1980م).

- ابن سعد، محمد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، د. ت).

- ......، **الطبقات الكبرى**، الطبعة الخامسة عن الصحابة، دراسة وتحقيق: محمد بن صامل السلمي، ج1، الطبعة الأولى (الطائف: مكتبة الصديق، 1414هـ/ 1993م).

ـ ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد، **عيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر**، بيروت: دار المعرفة، د. ت).

ـ الصالحي، محمد بن يوسف، **سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1992م).

ـ الطبري، محب الدين أحمد بن عبداللّه، **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تحقيق: محمد علي قطب (القاهرة: دار الحديث، 1408هـ).

ـ الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

ـ ......، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبداللّه عبدالمحسن التركي (القاهرة: دار هجر، 1422هـ/ 2001م).

ـ عائشة عبدالرحمن، **موسوعة آل البيت**، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب العربي، 1387هـ/ 1967م).

ـ أبوعُبيدة، معمر بن المثنى البصري، **تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده**، تحقيق: كمال يوسف الحوت (بيروت: دار الجنان، 1410هـ/ 1990م).

ـ ابن عبد البَرّ، يوسف بن عبداللّه بن محمد، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، د. ت).

ـ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/ 2004م).

- ......، **تهذيب التهذيب**، تحقيق: خليل مأمون شيحا وجماعة، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1417هـ/ 1996م).

- ......، فتح الباري شرح **صحيح البخاري**، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م).

- العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، الطبعة الأولى (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/ 1995م).

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م).

- فكا، ف: «زينب بنت جحش»، **دائرة المعارف الإسلامية**، تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشد (بيروت: المعرفة، د. ت) 11، 29 ـ 28.

- ابن قتيبة، عبداللَّه بن مسلم، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، 1419هـ/ 1999م).

- القسطلاني، أحمد بن محمد، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1996م).

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: عرفان عبدالقادر العشا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، 1418هـ/ 1997م).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ**، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيى الدين مستو، الطبعة الأولى (دمشق وبيروت: مؤسسة علوم القرآن ودار القلم، 1399هـ/ 1400هـ).

- ......، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة السابعة (بيروت: دار القرآن، 1402هـ/ 1981م).

- ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب، **جمهرة النسب**، تحقيق: ناجي حسن، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، 1407عـ/ 1986م).

- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **سُنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت).

- مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار الحديث، د. ت).

- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، 1403هـ).

- المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والإشراف** (بيروت: دار مكتبة الهلال، 1981م).

- المقدسي، يوسف بن حسن، **الشجرة النبوية في نسب خير البرية ﷺ**، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، الطبعة الثانية (دمشق وبيروت: دار الكلم الطيب ودار ابن كثير، 1415هـ/ 1995م).

- المقريزي، أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمود محمد شاكر (د. م، د. ن، د. ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د. ت).

- موسى بن عقبة، **المغازي**، جمع ودراسة وتخريج: محمد باقشيش أبو مالك، (الرباط: مطبعة المعارف، 1994م).

- النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد، الطبعة الثالثة (د. م، دار المسيرة، 198م).

- النسائي، أحمد بن شعيب، **سُنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ/ 1988م).

- النيسابوري، علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول** (بيروت وصيدا: المكتبة العصرية، 1422هـ/ 2002م).

- الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة (بيروت: عالم الكتب، 1404هـ/ 1984م).

- ابن هشام، عبدالملك الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة، الطبعة الثانية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ/ 1997م).

- هيكل، محمد حسين، **حياة محمد**، (دون معلومات نشر).

- ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1376هـ/ 1957م).

المراجع الأجنبية:

- Abbott, Nabia. Aishah. **The Beloved of Mohammed**, (Chicago: The University of Chicago press, 1942).
- Andrae, Tor. **Muhammed: The Man and his Faith**. Translated by Theophil Menzel, (1935).
- Rodinson, Maxim. **Muhammad**, Translated From the French by Ann Carter (The New Press, New York).
- Muir, William. **The Life of Muhammad** (Edinburgh, 1923)
- Watt, W. Montgomery. **Muhammad at Medina**, (Oxford, Oxford University Press, 1956).





الكتاب

في هذا الكتاب يواصل محمد بن فارس الجميل، الأستاذ المختص في تاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة الملك سعود، دراساته وأبحاثه التي تناولت جوانب متعددة من السيرة النبوية متناولًا في هذا الكتاب نساءَ النبي، ليقدّم صورة شبه مكتملة عن حياتهن وعلاقتهنّ به.

يتضمن الكتاب تعريفًا بنساء النبي والظروف التي نشأت فيها كل واحدة منهن، وكذلك ظروف زواجه بكل واحدة منهن، كما يُلقي الضوء على العلاقات المتداخلة فيما بينهن وعلاقتهن بالنبي، وما قد يطرأ على العلاقات الزوجية بين النبي وزوجاته من أسباب الغيرة والتنافس على قلبه.

رجع الباحث إلى كثير من مصادر الحديث النبوي ليتمكن من فهم بعض الإشكالات المفقودة في كتب التاريخ الإسلامي.


ISBN 978-614-418-226-0
9 786144 182260


Jadawel جداول
www.jadawel.net